

تأليف: الكسندر ديماس  
ترجمة: حلمي مراد

كتابي



Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

الكونت دي مونت كريستو  
أمير الانتقام



- ١ -

## عودة « فرعون » الى مرسيليا

■ في يوم ٢٤ من فبراير من عام ١٨١٥ ، في نحو الساعة الرابعة بعد الظهر ، اقتربت السفينة « فرعون » Le Pharaon من ميناء مرسيليا ، قادمة من ميناء Smyrne (إزمير) بتركيا ، وحين دارت السفينة حول جزيرة ( قصر ليف ) خرج قائدها إلى ظهرها ، وسرعان ما امتلأت أرصفة الميناء بالمتفرجين ، وتمجّل أحدهم فلم ينتظر وصول السفينة إلى الميناء ، بل ففر إلى زورق صغير وانطلق به إلى عرض البحر لقائها هناك .

وكان على ظهر « فرعون » شاب يقف باعتياده قائدها ، فلم يكذب بلع راكب الزورق حتى ترك موقعه ومضى مسرعا إلى حاجز السفينة فاطل منه ملوحا لراكب الزورق بقيعته في صمت .

كان شابا وسيما ، طويل القامة ، نحيفا ، تتراوح سنه بين الثامنة عشرة والعشرين ، ذا عيّن سوداوين وشعر قاحم - في لون جناحي الغراب - وفي هيئته العامة ما يدل بوضوح على الهدوء والعزم المألوفين في الرجال الذين تفرسوا بالأخطار منذ نعومة أظفارهم .

Le Chateau d'If



Locieo

www.duel4mab.com

وصاح به الرجل الذى فى الزورق وهو يدنو من السفينة :  
 - اهذا أنت يا إدمون ! ماذا جرى ! ما سبب هذه المكثبة  
 التى تبدو عليك ؟ !  
 فأجاب الشاب :

- لقد أصبنا بخطر جلل يا مسيو « موريل » ، فقد فقدنا  
 عند ( سيفيتا فيشيا ) قائدنا الشجاع القبطان « ليكلير »  
 Leclère . مات متأثرا بالحمى الخبيثة ، وكان منظر  
 احتضاره رهيبا يفتت الأكباد . . . . . والآن ، حين تصعد إلى السطح  
 سوف تجد فى خدمتك مسيو « دانجلر » Dangles  
 العامل المنوط به شحن السفينة ، وسوف يتكفل بكل  
 ما تريد !

وامسك مسيو « موريل » ، وهو صاحب السفينة ،  
 بالبحل الذى دلى إليه ، ثم تعلقه إلى ظهرها .

كان « دانجلر » شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ،  
 ذا وجه متفر ، وكان مكروها من البحارة بقدر ما كان « إدمون  
 دانتيس » Dantes محبوبا منهم ! .. فلما رأى دانجلر صاحب  
 السفينة ، ابندره قائلا :

- هل سمعت يا مسيو « موريل » بالخطب الذى وقع ؟  
 لقد كان القبطان « ليكلير » النعسى بحارا من الطراز الأول ،  
 وهذا ما أعله لأن بضطلع بقيادة سفينة تابعة لمؤسسة لها  
 مكانتها مثل مؤسسة « موريل وولده » !

فقال له مسيو « موريل » وهو يرمى « إدمون دانتيس »  
 بنظرة ذات معنى :

- هذا صحيح ، ويلوح لى أيضا أن صديقنا « إدمون »  
 - نائب القبطان - يفهم هذه التبعة جيدا !

فقال « دانجلر » وهو يتحدث زميله « إدمون » بنظرة تفيض  
 بالكراهية :

- نعم يا سيدى ، ولهذا لم يكذ القبطان بلفظ نفسه  
 الأخير حتى تولى « إدمون » القيادة دون أن يستشير أحدا ،  
 ثم مكث بالسفينة يوما ونصف يوم فى جزيرة ( إلبا ) بدلا من  
 القدوم إلى مارسيليا مباشرة !

وهنا قال « دانتيس » مبررا موقفه :

- التمس المساعدة يا مسيو « موريل » Morrel

عن ذلك التأخير ، وعلى أية حال فالسفينة الآن تلقى مراسيمها ،  
 وأنا فى انتظار ما تأمر به .

فقال « موريل » :

- لست أريد إلا أن أعرف لماذا توقفت فى جزيرة إلبا ؟

فأجاب « دانتيس » :

- كان ذلك استجابة لآخر تعليمات القبطان « ليكلير » ،  
 فقد أعطانى وهو يحتضر طردا صغيرا كى أوصله إلى المارشال  
 « برتران » !

— لقد فعلت الصواب يا « دانتيس » بتفكيرك وصية  
القبطان « ليكلير » والتوقف في الباب ولو أن ذلك قد يجلب  
عليك المتاعب فيما لو علمت السلطات أنك قد حملت طردا  
إلى المارتال !

— وكيف يجلب ذلك على المتاعب يا سيدي ، وأنا لم أعرف  
شيئا عن محتويات الطرد الذي حملته ؟

— هل لك أن تأتي لتناول العشاء معنا ؟

— شكرا لك يا سيدي على هذا الشرف الذي تسبقه علي ،  
لكنني أرجو التفضل بإعفائي من هذه الدعوة . إن ريارتي  
الأولى ينبغي أن تكون لأبي .

— إذن فسوف ننتظرك بعد أن تفرغ من زيارة أبيك .  
فاحمر وجه الضابط الشاب ، وقال وهو يغالب حياءه :  
— مرة أخرى أرى نفسي مجبرا على الاعتذار يا ميسيو  
« موريل » ، فبعد الفراغ من هذه الزيارة تبقى أمامي زيارة  
أخرى أنا في أشد الشوق إلى القيام بها !

فاينضم صاحب السفينة ، وقال :

— أنت على حق يا « دانتيس » .. إن هناك من تتربص  
بوصولك بليفة لا تقل عن ليفة أبيك .. واعتنى بها « مرسيديس »  
الحشاء ! Mercèdes

وهنا ازداد احمرار وجه « دانتيس » ، وقال في تلعثم :  
— أشكرك يا سيدي ، وبهذا المناسبة أرجو أن تسمح  
لي بإجازة لبضعة أسابيع .

فقال له ميسو « موريل » :

— إذن أنت تعترم إمام زواجكما ؟

فاوما موافقا ، وقال :

— وسنصافر بعد ذلك إلى باريس .

فقال ميسو « موريل » :

— حسنا ، لك الإجازة التي تطلبها يا « دانتيس » .. على

أن تعود بعد ثلاثة أشهر .

ثم ربت على كتف الشاب ، واستطرد قائلا :

— أن ( فرعون ) لا تستطيع أن تبخر بغير « قبطانها » !

وامام هذه البشري بتثبيت اختيار الشاب قبطانا للسفينة  
التي مات قبطانها السابق . فلفظ الشاب على يد صاحب  
السفينة هوقال وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، لقرط تائه :

— آه يا ميسو « موريل » ! إنني أشكرك باسم أبي ..

واسم « مرسيديس » !

فشد ميسو « موريل » على يد الشاب مهنئا ومودعا ،

وقال له :

— إنك شاب كفء طيب القلب ، وإن أعوفك من الذهب

الآن ، ولنصحك السلامة !

وعلى أثر ذلك مضى « دانتيس » إلى شارع ادي بواي التي

حي لاكانا بير .. وهناك دخل متزلا صغيرا إلى سيار

ممر (دي ميلان) ، وصعد سلمه المعتم عدوا إلى الطابق

الرابع ، حيث تميل امام باب تطبق مفتوح ، ترى المنظر

خلاله جميع محتويات الحجرة التي بغضى إليها . وهناك في  
 تلك الحجرة كان يجلس والد « دانتيس » ، فما كاد يلمح إليه  
 حتى أطلق صيحة فرح ، ثم خف إلى استقباله واحتضنه  
 مرمقاً من شدة الانفعال . ولحظ الشاب شحوب وجه  
 أبيه ، فسأله في الزعاج :

— ماذا بك يا أبي العزيز ؟ هل أنت مريض ؟ أين تحدث  
 بنبيدك ؟

فاجاب الشيخ المسن :

— لا فائدة من الإنكار يا بني .. لم يعد عندي نبيد !  
 فتسائل « دانتيس » وقد شحبت وجهه :

— ماذا ؟ ليس عندك نبيد ؟ هل كنت في حاجة إلى نقود  
 يا أبي ؟ .. لقد أعطيتك مائتي فرنك حين رحلت منذ ثلاثة  
 أشهر !

— نعم هذا صحيح يا « إدمون » ، لكنك نسيت الدين  
 الصغير الذي كان علينا لجانبا « كادروس Caderousse »  
 حائك الثياب ! لقد ذكرني به وانقدرني إن لم أدفعه بأن يطالب  
 به مسيو « موريل » .. وهكذا خشيت أن يعيبك الرجل  
 بأذى ، ودفعت له دينه !

فقال « دانتيس » متعجبا :

— دفعت كل الدين الذي في ذمتي « لكادروس » ، دفعت  
 مائة وأربعين فرنكا ؟ !





نتمتع الأب المن موافقا . على حين واصل « دانتيس »  
كلامه قائلا :

« إذن فقد عشت ثلاثة أشهر بستين فرنكا فقط ؟ ! إن  
هذا ليحزننى كثيرا يا أبى !

وسكت الشاب فجأة إذ سمع وقع خطا شخص قادم . ثم  
ظهر « كادروس » عند الباب ، وكان شابا فى نحو الخامسة  
والعشرين ، تحيط بوجهه لحية سوداء ، وفى يده قطعة من  
القماش ينهأ لحياكتها . ولم يكذب بلمح « دانتيس » حتى  
ابتدره قائلا :

« اهذا أنت يا « إدمون » ؟ ! .. إنك فيما سمعت مستمتع  
بالخطوة عند ميو « موريل » فى هذه الأيام . لكنك أحطت  
برفض دعوته إلى العشاء ، فلكى يصير المرء قبطانا ينفى أن  
يتقرب بالزلقى إلى رؤسائه !

فاجابه « دانتيس » :

« أرجو أن أصير قبطانا بغير هذه الوسيلة !

فقال « كادروس » :

« إن أصدقاءك القدامى جميعا على أية حال سيعبرهم  
هذه الترقية ، وأنا أعرف - يقينا - من الذى سستكون  
أشدهم سرورا !

فالتفت الأب الشيخ إلى الخياط « متانلا :

« أتعنى « مرسيديس » ؟

وسارع ابنه إلى الإجابة ، قائلا :

« نعم يا أبى العزيز . ولهذا أرجو أن تأذن لى فى أن أذهب  
لزيرة أسرقتنا الآن .

فقال والده على الفور :

« هذا واجب يرنى أن تؤديه يا بنى العزيز . ولتبارك  
السماء لك فى زوجتك ، كما باركت لى فيك !

ثم عانق الفتى أباه ، وأوما إلى « كادروس » برأسه ،  
وغادر البيت . . فى حين مضى « كادروس » بعد لحظة  
يلحق بصديقه البحار « دانجلر » ، الذى كان فى انتظاره .  
فابتدره هذا ، قائلا :

« هيه ؟ هل أشار « إدمون » إلى أمه فى أن يعين فبطا ؟  
فاجاب « كادروس » :

« لقد تكلم عن هذا الامر كما لو كان شيئا مقروا !

فتمنم دانجلر :

« لو كان للإنسان أن يختار ، لأن الفتى أن يظل حيث  
هو ، بل لأن أن يهبط درجة عن مرتبته الحالية !

ولما سأله « كادروس » عما يعنيه ، اجاب بقوله :

« لا شيء ! .. كنت أحدث نفسى !

ثم تهجد واستطرد متسانلا :

« هل ما يزال بحب تلك الفتاة التى تنتمى إلى عشيرة  
كانالان ؟

فقال « كادروس » :

— نعم ، إنه ما يزال يحبها بكل مشاعره .. ولكن ، إذا لم  
أكن مخطئاً فسوف تتورعاسقة في ذلك الحى .. فها من مرة  
رايت فيها « مسيديس » تاتى إلى المدينة إلا كان معها شاب  
أسير طويل القامة ، مقتول العضلات ، فاحم العينين ، تبدو  
طلبه الشراسة .. وهى تدعوه يابن العم !

فأله « دانجلر » :

— متى يذهب « دانتييس » لزيارة فتاهه ؟

— لقد اسلك لاداء هذه المهمة قبل أن أحضر إليك مباشرة !

— إذن ، يحسن أن نمتنى الآن إلى هناك للجلوس في حانة  
« لاريزوف » ، حيث نشرب قديما من تبيد ( مالافا ) وننتظر  
ما يجد من الأنباء !



- ٢ -

## اتهام خطير

كانت القرية التى تقطنها عشيرة « كاتالان » تقع على بعد مائة خطوة من الحانة التى جلس فيها « داتنجر » وصديقه « كادروس » يحتسيان البيلد ، وكانت هذه العشيرة القامضة قد هاجرت منذ زمن بعيد من وطنها الأصلي ( اسبانيا ) واستقرت فى تلك البقعة من الأرض ، الشبيهة باللسان الممتد فى البحر . وقد لبث القوم حوالى ثلاثة قرون أو أربعة لا يختلطون بأهل مرسيليا ، وإنما يتزاجون فيما بينهم ويحافظون على تقاليد بلادهم الأصلية ، ولغتهم ولربها .

وفى بيت من بيوت تلك القرية ، كانت تجلس شابة حسنة ذات شعر قاحم كالكرمان الأسود ، وعينين مثل عيني القزالي . . . وقد استندت ظهرها إلى الجدار . وعلى قيد ثلاث خطوات منها جلس على مقعد هناك شاب طويل ، فى العشرين أو الثانية والعشرين من عمره ، وأخذ يحدثها بنظرات ملؤها القلق والحيرة . . ثم قال لها :

— ها هو ذا عيد الفصح قد اقترب مرة أخرى يا « مرسيديس » ، فماذا تزين فى مسالة زواجنا ؟  
فأجبت له الفتاة :

— لقد أجبت عن هذا السؤال مائة مرة يا « فرناند »  
Fernand ، وما زلت أؤكد لك أنى أحبك كاخ ،

وأرجو إلا تآلنى أكثر من هذا الحب الأخرى ، لأن قلبى ملك لآخر أنت تعرفه ، وهو « إدمون دانتيس » !  
وهنا حدق « فرناند » فى وجه الفتاة ، ثم سألها وهو يصير بأسنانه :

— وإذا فرضنا أنه مات ، فماذا يكون رايك ؟

فأجبت على الفور :

— إذا مات « إدمون » فانى أموت أيضا !

وفى تلك اللحظة هتف صوت طروب من الخارج :

« مرسيديس » . . . « مرسيديس » !

فصاحت الفتاة وقد توود وجهها غبطة ، وكاد الحب يجعلها تنقر من مكانها :

— آه . هذا هو !

وعندئذ اندفع « فرناند » إلى الخارج وقد شحبه وجهه وارتمجت أوصاله . . . وهتف يحدث نفسه وهو يمدو ويشد شعر رأسه كالمجنون :

— أوه ، من يخلصنى من هذا الرجل . . . يالى من تعس !

وفىما هو كذلك ، سمع صوتا يناديه :

— « فرناند » ! . . إلى أين تعدو هكذا ؟

فتوقف الشاب فجأة ونظر حواليه ، فرأى « كادروس » جالسا مع « داتنجر » إلى مضدة ، تحت تكعيبية خشبية خارج الحانة المجاورة للمنزل .

وقال « كادروس » وهو يرمى إلى صديقه :

— اتري يا « داتنجر » ؟ . . « فرناند » شاب شجاع



طبيب من عثميرة كاتالان - وهو يحب فتاة تدعى  
« مرسيديس » .. ولكن يبدو أن هذه الفتاة تحب نائب  
قبطان السفينة ( فرعون ) !  
فقال « فرناند » :

« إن الأمر يكاد يدفعني إلى هاوية اليأس »  
فقال له « كادروس » :

« لماذا تستسلم لليأس بدلا من أن تفكر في حل لمشكلتك »  
لم أكن أعتقد أن هذا داب عشيرتك !  
فزفر « فرناند » زفرة حسرى ، وقال :

« إنني على استعداد لأن أضع خطيبتها ذاك بسكين ، لكنها  
أكدت لي أنها لو وقع له أي مكروه فسوف تقتل نفسها !  
وهنا قال « دانجلر » :

« هناك حل ناجح لا يقل أثره عن أثر موت ذلك الخليل ..  
لو أن جذران السجن مثلا حالت بين « إدمون »  
و « مرسيديس » ، لأدى هذا إلى انفصالهما ومنع زواجهما ..  
وهكذا ترى أن لا حاجة بك إلى قتله !

فتنهده « فرناند » مرة أخرى ، وقال :

« ومن لي بالوسيلة التي تكفل إلقاء « دانتيس » في  
غياهب السجن ؟ .. هل لديك هذه الوسيلة ؟  
قال « دانجلر » :

« يغفل إلى أنه بعد رحلة كالتي قام بها أخيرا ، وخرج  
فيها على جزيرة ( الباي ) .. يمكن بسهولة أن تخرج به السلطات  
الملكية في السجن ، بتهمة أنه من أتباع بونايرت !

فيتف « فرناند » متحمسا :  
« حسنا ! .. سأشأ أنا به إلى السلطات الملكية !

فقال « دانجلر » مقاطعا :

« كلا ! .. لو قررنا اتخاذ هذه الخطوة لكان الأفضل أن  
نأخذ هذه الريشة - كما أفعل الآن - ونقمصها في هذا الحجر ،  
ثم نكتب الاتهام الذي نتفق عليه - باليد اليسرى - وبغير  
توقيع - كيلا يعلم أحد بأن لنا يدا في الأمر !  
ثم كتب « دانجلر » - يسراه - السطور التالية ، وقرأها  
بعده « فرناند » بصوت هامس :

« من صديق للعرش والدين ، إلى فخامة النائب العام لمصاحب  
الجلالة الملك : أن من يدعى « إدمون دانتيس » ، نائب قبطان السفينة  
( فرعون ) ، وصل هذا الصباح قادما من أزمير ، بعد أن مر بنسايوكي  
و ( بورنوفراجو ) - وقد عهد إليه « بورا » في مهمة حمل خطاب إلى  
القاضي « نابوليون بونايرت » .. كما عهد إليه هذا القاضي ، حين أجمع  
به ، في حمل رسالة منه إلى جماعة من أنصار « لوي الخضر » في باريس ..  
وسوف نجيبون الدليل الذي بثت هذه المجموعة عند القبض عليه ، لأن  
خطاب القاضي ما زال معه ، أو عند أبيه ، إن لم يكن في غرفته الخاصة  
بالسفينة !

ثم قال « دانجلر » معقبا :

« هذا عظيم ! .. والآن يبدو انتقامك معقولا ، فهو  
لا يمكن أن يرتد إليك - وما علينا الآن إلا أن نقلف هذا  
الخطاب ، ثم نكتب على المظروف : ( إلى النائب العام لمصاحب  
الجلالة ) ، وبذلك ينتهي كل شيء !

وما إن أتم « دانجلر » عبارته حتى كان قد انتهى في اثوتت نفسه من كتابة العنوان .. على حين قال « كادروس » مؤكداً :

— نعم ، وبذلك ينتهى كل شيء !

وكان هذا الأخير قد استطاع ، بإجتهاد قواه الذهنية إلى آخر ما تحتمل ، أن يتابع عبارات الخطاب في أثناء « ملاوة » فرناند « إياه ، ويدرك مدى فظاعة النتائج التي قد يفضي إليها الالتزام .. فعاد بكرر قول صديقه « دانجلر » :

— نعم ، بذلك ينتهى كل شيء ! لكنها تكون فعلة دنيئة تجلب العار !

ثم مد الرجل يده محاولاً انتزاع الخطاب من يد « دانجلر » ، فلم يمكنه هذا من الوصول إليه ، وقال له وهو يبعد الخطاب عن متناول يده :

— إن الأمر مجرد مزاح ، وإنى لأول من يحزن إذا وقع أى مكروه لصديقنا الهمام « دانتييس » ! .. وعلى هذا فيما إذا اذف بالخطاب إلى الأرض بين الميملات والقاذورات !

ثم نهض « دانجلر » بعد أنلقى الخطاب في ركن من أركان الحانة ، وأخذ طريقه ومعه صديقه « كادروس » عائدتين من حيث جاءا . وبعد أن مشيا خطوات ، التفت « دانجلر » إلى الخلف ، قرأى « فرناند » يلتقط الخطاب ويضعه في جيبه ، ثم يمضى نحو المدينة !

— ٣ —

## زفاف .. الى السجن !

في اليوم التالي كانت قد أعدت العدة لزفاف « مرسيديس » إلى « دانتييس » . وهناك في الطابق الثانى من حانة القرية التي اجتمع فيها المتأثرون في اليوم السابق ، امتلات الشرفة بالمدعوين إلى المأدبة ، قبل أن يعين الموعد المحدد لها بساعة كاملة .. وكانوا خليطاً من بحارة السفينة « فرعون » ، زملاء « دانتييس » ، ولقيف من خاصة أصدقائه ، وقد ارتدى الجميع أحسن ثيابهم .

وحينما لاح موكب العروسين عبط مسبو « موريل » ليستقبله ، إمعاناً في تكريم القبطان الجديد في أسعد مناسبات حياته ، وتبعه جمع من الجنود والبحارة ، وكانوا قد علموا منه بنيا اختيار « دانتييس » قبطاناً للسفينة « فرعون » ، خلفاً للقبطان « ليكلير » ، فتصاعفت قرحتهم بهذا الاختيار .

وحين بلغت العروس منتصف المائدة الكبرى وقفت والتفت إلى أبيها قائلة : « أرجو أن تكرم يا أبى بالجلوس إلى يمينى » . ثم أومات إلى « فرناند » بابتسامة لطيفة وقالت : « أما عن يسارى فسيجلس ذلك الذى ظالما كان بمثابة أخ لى ! » .

وكانما أثارت عبارتها وابتسامتها اللواعج الكامنة في صدر الفتى ، فتشعب وجهه على أثر ذلك شحوباً مخيفاً . وتقلصت شفتاه ، وبدأ مضطرباً غاية الاضطراب :

وهناك في الجانب الآخر من المائدة كان « دانتيس » بدوره يتولى معاونة ضيوفه المعتازين على الجلوس ، عاجلهم مسيو « موريل » إلى حبه . و « دانجلر » إلى يساره . ثم أوما إلى بقية المدعوين فجلسوا حيثما رآى لهم أن يجلسوا . وفيما هم يقولون : « دانتيس » خذنيهم !

— أي أصدقائي الأتراء .. يسرني أن أخبركم أننا بفضل نعود مسيو « موريل » حصلنا على إذن بالتجاوز عن الميزة القانونية المشروطة لعقد القران . وعلى هذا فسوف ننظرنا عمدة مارسيليا في قاعة المدينة في الساعة الثانية والنصف . أي بعد حوالي ساعة . ولن سمى ساعة أخرى حتى يتم الزواج . و صباح غد أسافر إلى باريس لإنجاز المهمة الموكولة إلي . وسوف أعود إلي هنا في أول مارس . وفي اليوم التالي أقيم المائدة الحقيقية للزواج . حيث يسمعونني أعودكم جميعا إليها منذ الآن !

وبعد حين سمع صوت « مرسيديس » العذب وهي تقول :  
.. علا تحركنا ؟ .. لقد دثت الساعة الثالثة . ولم يبق إلا أربع ساعات على موعد الذهاب إلى البلدية !

وفي تلك اللحظة سمعت على الباب ثلاث طرقات .. وصاح صوت عال من الخارج :

— افتحوا باسم القانون !

ثم فتح الباب : ودخل منه محقق من وكلاء النائب العام ، معه عدد من الجنود ، وصاح المحقق على الفور :

— « إدمون دانتيس » : إني أخبض عليك باسم القانون .. وسوف تعثر بالأسباب التي دعت إلى ذلك في بداية التحقيق : وساد القاعة على أثر ذلك سكون رهيب . ثم خط « دانتيس » السلم خلف المحقق . يتبعهما الجود .. وكاتب أمام الباب عربة استقلها برفقة المحقق واثنين من الحراس .. ثم درجت بهم العربة عائدا إلى مارسيليا .

وصاح مسيو « موريل » يخاطب بقية المدعوين :  
— انتظروني هنا جميعا . ساهرع إلى مارسيليا ثم أعود لأتبعكم بالخبر اليقين عن تطور الأمور !

وفي الوقت نفسه كان القاء القبض على « دانتيس » موضوع تعليقات مختلفة اللبحة من جانب بعض المدعوين . فقال أحدهم يسأل « دانجلر » :  
— وما رأيك في هذا الحادث ؟

فأجاب « دانجلر » : ( اعتقد أن « دانتيس » لابد فد اتهم بتهريب مادة تافهة من المواد الممنوع دخولها إلى هذه البلاد ) .

وهنا قال والد الشاب في صوت متعرج :

— الآن تذكرت .. لقد ذكر لي ابني المسكين أمس أنه أحضر لي صندوقا صغيرا من البن وآخر من التبغ !  
وأخبروا عتف واحد من المدعوين كان مطلا من الشرفة :

— أخبار طيبة ! أخبار طيبة ! .. هذا هو مسيو « موريل » قد عاد . لا شك الآن أننا ..  
صديقنا « دانتيس » !

وهرعت « مرسيديس » والوالد الشيخ ليستقيل صاحب السفينة عند الباب ويستطلع منه الأنباء .. لكن هذا حاطب الحاضر .. قائلا بلهجة جادة :

— ان الامر قد اتخذ اتجاهها اخطر مما كنت اظن ايها الاصدقاء .. ان « دانيس » متهم بانتمائه الى حزب بوناپورت ! في الوقت الذي جرب به تلك الاحداث المتلاحقة في مادية زفانه « مرسيديس » الى « دانيس » كانت هناك في احد القصور الارستقراطية الواقعة في شارع الجران كور اتجاه نافورة « ميدوزا » حفلة زفاف اخرى . شبيها جمع من صفوة المجتمع الرفيع في مرسيليا .

وفي هذه الحفلة يقض رجل مسن يحلى صدره بصليب « سان لويس » . مقترحا شرب نخب سحرة الملك لويس الثامن عشر . ولم يكن ذلك الشيخ سوى المركز « سان ميران » . وكانت المركزية زوجته امرأة ذات وجه عبوس ومظهر مشرف جليل ، ورغم الخمسين سنة التي انصرفت من عمرها .. فقالت معلقة :

— اه . لو كان الثوريون هنا الآن لما استطاعوا إلا ان يعترفوا بان الملك الشرعي هو راعينا « لويس المجوب » في حين ان عقيرهم الشرير « نابليون اللعين » كان دائما ، وسوف يكون في كل حين هو الغاصب النفس ! .. السمت على حق يا « مسيو دي فيلفور » !

DE VILLEFORT

والثفت هذا إلى المركزية حين سمعها تذكر اسمه ، وقال في هدوء :

— اسالك المعفرة يا سيدتي .. اننى في الواقع : واعتذر مرة اخرى عن ذلك ، لم اكن اتبع النقاش !

وهنا قالت « رينيه دي سان ميران » — وهى شابة حسنة بكلل هامتها تاج من الشعر الكستنائى الجميل وتزين وجهها عينا كانهما تسبحان في بلور سائل :

— لا بأس يا أمي العزيزة . لقد كنت انا المسئولة عن .. عقل انتباه المسو دي « فيلفور » . بحيث لم ادعه بصفي إلى حديثك .. والان يا مسيو « دي فيلفور » . دعنى اذكرك بأن أمي تخاطبك !

وعلى اثر ذلك عادت الام تكرر رايها . فقالت :

— كنت اقول يا « فيلفور » ان انصار بوناپورت ليس لهم حماسنا وثقافتنا في الإخلاص .

فقال « فيلفور » :

— إن لهم مع ذلك . عوضا عن هذه الصفات الرائعة . تعصبهم لزعيمهم إلى أقصى حد .. إن نابليون يكاد يكون معبود اتباعه ، وليس هذا لأنه زعيم ومشرع للفوانين فحسب . بل لأنه دامية مثالي للمساواة !

— هل تعلم يا « فيلفور » انك تتكلم بلهجة ثورية مخيفة ؟ لكنى اهدرك ! فمن المستحيل ان تنتظر من ابن « الجبروندى » ان يكون معصوما من آثار الخميرة القديمة !

وعندئذ اصطبغ وجه « فيلفور » بحمرة القرمز . واحاب محدثه ، قائلا :

« صحيح يا سيدتي ان ابي كلن من انصار «الجيرونديين» . لكنه لم يكن بين اولئك الذين صوتوا طالبين إعدام الملك . اما عن غنى فقد وضعت جانبا كل اعتبار ، حتى اسم ابي . وفصلت من مبادئه السياسية . لقد كان - بل يحتمل انه ما زال حتى الآن - من أتباع بوناپرت . وهو يسمى نفسه «نوارتييه» . ما انا ساعلى العكس منه ملكي متحمس ، وقد خلعت على نفسي لقب «دي فيلفور» . وعلى كل حال مدعي مخلقات الوفاء الثوري حتى تذهب بارز من لقاء نفسها ! فاجابته المركيزة :

« من صميم قلبي ارجو ان ينسى الماضي إلى الأبد . وكل ما اطلبه ان يكون «دي فيلفور» في المستقبل حازما لا يلين في مبادئه السياسية . ولتبقى بانه او ومع في يدك اى نحصى متأمر على الحكومة فإن واجبك يعنى ان يعاقبه عقسا صارما . ولا سيما انك معروف بالانتماء إلى اسرة كانت من انصار «الجيرونديين» ! فقال فيلفور :

« إننى يا سيدتى ، بحكم مهنتي والزمن الذى نميش فيه ، مضطر إلى ان اكون صارما . لقد توليت توجيه محاكمات علنية عديدة بنجاح تام . وارفعت بالعندين العقاب الذى يستحقونه . لكننا لم نقض على الخطر بعد !

وهنا هتفت حسناء شابة . هي ابنة الكونت «سالفيو» والصديقة الحميمة للآنسة «دي سان ميران» .

« اواد ! .. بريك يا ميو » دي فيلفور « حاول ان تعقد بعض المحاكمات المثيرة في أثناء وجودنا في مارسيليا . فإني لم ادخل محكمة في حياتي . وبقال إنها متعة مصلية ! فاجاب المدعى الشاب :

« نعم إنها تكون مصلية بلا شك . إذا اعتبرنا مشاهدة مأسى الحياة تلية ا .. وعلى اية حال . فلنكوني على ثقة يا سيدتى من انه لو سئحت اية فرصة قريبة فلن اتردد في دعوتك لكي تحضري إحدى المحاكمات !

وفي هذه اللحظة دخل خادم وهيس في اذن « فيلفور » . فتنهض هذا معتبرا باضطراره لفارادة القاعة قليلا . لعمل طاريء . ثم عاد بعد لحظات متهلل الوجه ، وقال ردا على استفسار من الآنسة «دي سان ميران» :

« لقد دعيت لتولى التحقيق في مسألة خطيرة تد تتهى على يد الجلاذ . وإذا صحت المعلومات التى تلقيتها فإن هناك مؤامرة «بوناپرتية» ، وساقرا لكم الخطاب الذى حوى الاتهام !

ثم تلا عليهم الرسالة التى أعدها «دانجلر» و «كادروس» و «فرناند» في حانة القرية . متهمين فيها «إدمون دانتيس» بالمرور على جزيرة (إليا) حيث يقيم «تابلون» متفرا . وتوصيل رسالة إليه ! .. ولم يكذ «فيلفور» يفرغ من القراءة حتى هتفت الفتاة «رينيه» مصفقة . هي ترنبا لخطيبها في لهفة وإشفاق :



— أود يا « فيلفور » كن رحيما في يوم خطبتنا هذا !  
فأجابها مبتسما :

— إرضاء لك يا عزيزتي « رينيه » . أعدك بأن أظهر كل التسامح الذي في طاقتي . ولكن إذا كانت التهمة ثابتة على هذا المتآمر البونابرتي . فينبغي أن تاذبي لي في أن أقدم رأسه للمفصلة !

وغادر « فيلفور » المكان على الفور فاصدا إلى مكتبه .  
الملحق بمصر العدالة . وهناك جلس إلى المكتب مكتئبا . .  
وبعد لحظة أدخل عليه « دانيس » . الذي قال في هدوء ردا على سؤال المحقق :

— اسمي « إدمون دانيس » .

— هل خدمت في عهد الفاضل ؟

— كنت على وشك الانخراط في سلك البحرية حين سقط بونابرت .

وعندئذ خاطبه « فيلفور » وهو يخرج الخطاب من جيبه ويعرضه عليه :

— هل تعرف لك أعداء ؟

فأجابته الحار الشاب بعد أن قرأ الخطاب . وقد غامت على وجهه سحابة قاتمة :

— كلا يا سيدي : لست أعرف هذا الخطأ !

ثم أضاف وهو ينظر إلى المحقق نظرة امتنان :

— إنه لمن حسن حظي أن يحقق معي رجل مثلك . فهذا الخطاب لا يصدر إلا من عدو حاسد !

فقال له « فيلفور » :

— الآن حدثني بصراحة . حديث الرجل إلى رجل يهتم بأمره : « أي نصيب من الحقيقة في الاتهام الوارد في هذا الخطاب . المجهول المصدر » ؟

فأجاب دانيس :

— لا شيء البتة ! سأروى لك الوقائع على حقيقتها : عندها غادونا نابولي . . أصيب القبطان « ليكلير » بجرح مخيف . وفي نهاية اليوم الثالث . إذ أحس بدنو أجله . استدعاني وقال لي : « يا عزيزي دانيس » : أقسم أمامي لشؤون المهمة التي سأكلفك بها . . إن قيادة السفينة سوف تنول إليك بعد موتي . بوفتك نألي . وأنا أريد منك أن تعمرح بالسفينة على جزيرة « إلبا » ، وأن تهبط إلى البر في ميناء « بورتو فيراجو » . ثم تسأل عن مكان « المارشال الأكبر » . وتسلمه هذا الخطاب : وإذا أعطاك — ردا عليه — خطابا آخر . فلتجمله إلى حيث يطلب منك . . ولتذكر دائما أن رغبات الإنسان المحتضر مقدسة ، علاوة على أن الرغبات الأخيرة الصادرة إلى بحار . من رئيسه . تعتبر بمنابة الأمر !

« وهكذا أبحرت إلى جزيرة « إلبا » . وهناك أمرت جميع البحارة بالبقاء على ظهر السفينة . . .

الر . ثم مضيت إلى حيث سلمت الرسالة للماريشال الأكبر . فزودنى برسالة لأحلبها إلى شخص فى باريس .

نقال « فيلقور » على القور :

— إذا كنت قد ارتكبت ذنبا فهو ذنب عدم الحيطة . أنتى جعلك تطيع أوامر رئيسك .. لتبذل أمر الخطاب الذى أحضرته من ( إلها ) ، ولتعدنى بشرقك أن تحضر متى استدعيناك ، والآن اذهب إلى أصدقائك !

فساءل « دانتيس » فوجا :

— إذن فانا مطلق السراح يا سيدى :

فقال « فيلقور » :

— نعم . ولكن أعطنى ذلك الخطاب أولا !

فأجاب البحار :

— لقد أخذوه منى حين فتشونى . هانذا أراه صمم

الأوراق التى أمامك !

ثم تناول « دانتيس » قبعته وقفازيه وهم بالخروج . لكن المحقق استوقفه ، قائلا :

— انتظر دقيقة .. إلى من كتب الخطاب ؟

— إلى مسيو « نوارتييه » NOIRTIER ، بشارع

« كوك جيرون » بباريس .

ولو أن صاعقة سقطت فى الحجرة . لما كان دعول

« فيلقور » أشد منه لدى سماته هذا الاسم .. فقد نجح

لوجه شحوبا مخيفا ، ثم سأل محدثه :

— حل اطلعت أحدا على هذا الخطاب ؟

— كلا يا سيدى ! وأقسم بشرقى !

— اليس لك علم بشئ مما فيه ؟

— كلا .. وأقسم بشرقى يا سيدى !

فغمغم « فيلقور » ، محدثا نفسه :

— أه لو علم بمحتويات هذا الخطاب . وبأن « نوارتييه » هو والذى . إذن ليكنت !

ثم اضاف محدثا « دانتيس » :

— لم يعد فى وسعى يا سيدى . كما كنت أوئل — أن أطلق

سراحك فورا . لكنى سأجاهد كي أجعل مدة اعتقالك أقصر

ما يمكن . ذلك لأن التهمة الرئيسية ضدك هى هذا الخطاب ،

وسترى الآن ما أنا قاعل به !

ثم اقترب من المدفأة . وألقى الخطاب فى النار . وانتظر

حتى احترق عن آخره . وعندئذ قال مستطردا :

— هائب ذا ترى انى أحرقت الخطاب .. وسوف أحجزك

حتى الماء فى قصر العدالة ، فإذا استجوبك أحد غيرى

فقل له ما ذكرته لى ، ولكن حذار أن تسير بحرقه إلى هذا

الخطاب ، ونق بأنك إذا أضعت هذه التعليمات فلا ضمير

عليك البتة !

فتنهده « دانتيس » وقال :

— اطمئن يا سيدى . لن أشين إلى بحرقه !

وإذ ذاك دق « فيلفور » الجرس . فلما ظهر أحد الجنود على الباب همس في أذنه ببعض كلمات .. ثم قال يحاطب « دانتيى » :

— اتبعه !

ولم يكد الباب يفتح بعد انصرافهما حتى التقى « فيلفور » بنفسه متهاكاً على معدده وراح في شبه إغماء .. فلما أفاق راح يحدث نفسه قائلاً : « لو كان النائب العام موجوداً فى مارسيليا اليوم لهلك . ولدمر هذا الخطاب اللعين كل آمالي ! .. أواد يا أبى . إلى متى يظل ماضيك يعزل مستقبلى ونجاحى » ؟

وفجأة أضاع وجهه خاطر مباحث . ورمق على ممد ابتسامة .. ثم تحجرت عيناه من الانفعال فى التفكير . وراح يحدث نفسه : « هذا يكفى ! من هذا الخطاب الذى سيقضى على . سوف أجمع ثروة من الملك ! .. والآن إلى العمل » .. وهرع فيلفور لمقابلة الملك . لويس الثامن عشر ليطلعه على تفصيلات المؤامرة التى اكتشفها وقضى عليها فى مهدها !

\*\*\*

أما « دانتيى » فقد خرج . يتوسط حامية حراسه . إلى حيث كانت عربة تنتظر فى الخارج .. فصعد سلمها وجلس بين اثنين من جنود البوليس على حين جلس فى مواجيتهم جنديان آخران .. ثم بدأت المركبة سيرها فوق الطريق المرصوف بالأحجار .. وحين وقفت أخسر الأمر : طلب الحراس إليه أن يعط . وتقدمه بعضهم إلى رصيف يفضى



عبد الله

إلى البحر . فاركبوه قاريا انطلق بهم في الماء . تدفعه مجدنيك  
أربعة من البحارة !

ونسأل : دانتيس :

— إلى أين جديونى ؟

لكنه لم يثلّق أى جواب ! .. وحين تطلع حوالبه . وقعت  
بينه على الصخرة السوداء الكثيرة التى يقوم عليها سجن  
القصر « إيف » .. القلعة الوحشة التى كانت مادة لانتع  
الأساطير المخيفة خلال أكثر من ثلاثمائة عام !

وأحسن « دانتيس » ، وهو يصعد سلم القلعة . كأنه فى  
حلم ! .. ولم يلبث أن أغلق دونه الباب الضخم الذى يفعل  
بينه وبين عالم الأحوار .. ولم يلق نظرة ، وهو داخل . إلى  
البحر .. على ذلك الحاجز الرهيب الذى ينظر إليه  
المسجونون نظرة يأس بالغة !

وقاده حارس إلى زنزانة تكاد تقع تحت مستوى الأرض .  
وكانت جدرانها العارية مبللة ببخار البحر . كأنها مشربة  
بالدموع . يضيئها مصباح خافت الضوء . موضوع فوق  
كرسى صغير بغير ظهر . وخاطبه الحارس . قائلا :

— هذه غرفتك التى ستقضى فيها الليلة .. فالوقت متأخر  
وحاكم السجن نائم ، وقد ينقلك غدا إلى غرفة أخرى ..  
وإليك طعامك من الخبز والماء . وهو كل ما يستطيع السجن  
أن يطمع فيه . طابت ليلتك !

عز دانتيس « وحيدا ، فى الظلمة والسكون . يحس  
كان انبعاثا وظلالا تنفّس على جبهته الملتفة ! .. وعند

ظهور أول طلّاع الفجر . عندما عاد إليه السجن يحمل أمرا  
بتركه حيث هو . وجده واقفا فى الوضع الذى تركه عليه فى  
أول الليل . وكأنه تحول إلى تمثال جامد . وقد تقرحت  
أجفانه من اليكأ .. لقد قضى الليلة واقفا . بلا نوم !

واقترب السجن منه . فلم يد على « دانتيس » أنه تنبه  
إلى اقترابه .. ثم سأله هذا :

— ألم تم ؟

— لست أدري !

— هل انت جائع ؟

— لست أدري !

— ألا تريد شيئا ؟

— أريد مقابلة حاكم السجن !

وعندئذ هز السجن كنفقه وفادر المكان سامتا . بعد أن  
أغلق باب الزنزانة كما كان !

فانفجر « دانتيس » باكيا . ثم ألقي بنفسه على الأرض  
وراح يسأل نفسه : « أية جريمة ارتكبتها . حتى أعاقب  
على هذه الصورة » ؟

وانقضى اليوم على هذا المنوال ! .. لم يكد يدوق طعاما .  
وإنما راح يدور فى الزنزانة كالوحش الحبيس . ويلوم نفسه  
على أنه جنس ساكن مستلما فى الزورق فى أثناء نقله إلى  
السجن . فى حين كان يستطيع أن يقفز إلى البحر فيبلغ  
الشاطئ . بعض براعته المشهود بها فى السباحة .. وهناك  
يخفى نفسه حتى تصل أية سفينة تنقذ من هناك

اسبانيا أو إيطاليا ، حيث يلحق به أبود . وخطيبه « مرسيديس » .. ولن يجره التفكير في الوسيلة التي يكسب بها عيشه هناك ، فالمبحارة الافذاذ امثاله يجدون ترحيبا حيثما حلوا ، وهو يتنن الإيطالية والاسبانية كأبنائهما !

وكاد يجن ندما على أنه وثق بوعد « فيلفور » . قالتي نفسه في حقيق لوق القش المفروش على أرض الزنزانة . وغمض عينيه لعله ينام !

وفي الصباح التالي دخل عليه السجان يصحبه جاوش وأربعة من الجنود : وقال لهم السجان على الفور : « هيا . لقد أمر حاكم السجن بنقل هذا السجن إلى الطابق الأسفل . ليودع مع امثاله من المجانين هناك ! » .

وأمسك الحراس « بدانتيس » . فتبعهم مستلما . وبعد ان هبط خمس عشرة درجة من السلم . فتح امامه باب قبيو معتم . ثم القى فيه وحده واغلق الباب كما كان !

وتقدم « دانتيس » ماذا ذراعيه في الظلام الحالك حتى لمس الجدار . فارتمى إلى جواره يائسا . وراح يحدث نفسه قائلا : « حقا ، لقد صدق السجان . إن الخيط الذي يفصلني عن الجنون المطبق صار الآن أوهى من خيط المنكبوت » !!

- ٤ -

## بريق من الأمل

كان قد انقضى عام على استرداد الملك لويس الثامن عشر عرشه . بعد هزيمة نابليون في معركة ووترلو .

وذهب المفتش العام للمسجونين ليزور « قصر إيف » .. فسمع « دانتيس » وهو في زنزانه يقبى ذلك السجن تمحيج الاستمداد لزيارة المفتش العام . فادرك ان هناك شيئا غير عادي يجري في عالم الأحياء . وإن لم يدرك ما هو ذلك الشيء بالضبط !

وهبط الزائر السلم إلى الطابق الأسفل . المظلم الموحش ، فلم يملك ان صاح :

- أود ، من يستطيع ان يعيش هنا !! !

فاجابه حاكم السجن الذي يرافقه :

- يعيش هنا متأمر خطير . لدينا تعليمات متددة بأن نراقبه بمنتهى الدقة والصرامة . نظرا لجراحه وشدة بأسه ، وأنه الآن لاشبه بمجنون . ولن يمضي عام آخر حتى يكون جنونه قد اكتمل ! .. وفي الزنزانة السفلى التي سنبط إليها سيلم آخر لا يزيد طوله على عشرين قدما ، يوجد راهب سجين كان يرأس احد الأحزاب الإيطالية ، وهو هنا منذ سنة ١٨١١ . وقد جن بعد سنتين من دخوله السجن . وهو يضحك احبانا ويبكي احبانا .. واقتضينا جميعنا ان نبعده.



لكنه بدا الآن يمتلئ ويصير بدينا . ولعله يروثك ان تراه .  
فإن جنونه مسل إلى حد كبير !

وفيما كان « دانيس » مستلق في ركن من القبو . سمع وقع خطوات يفرط الباب . ثم صوت المفتاح يدار في القفل . فهب واقفا متربضا . وما كاد المفتش يدخل حتى هف بخاطبه في ضراعة تثير الإشفاق :

— أريد ان اعرف أية جريمة ارتكبتها : . . أريد ر  
أحاكم . فإذا ثبت أنني مذنب أعدم رهيا بالرصاصة .  
وإلا اطلق سراحي !

فأجابه المفتش :

— سوف نرى .

ثم التفت إلى الحاكم وهمس قائلا :

— إن حالة هذا المسكين تفت قلبى . ويجب ان تعرض على  
الادلة التى تثبت جرمته !

وخرج المفتش فأغلق الباب من جديد . ولكن بقي مع  
« دانيس » فى زنازنته هذه المرة رفيق جديد . هو الأمل  
الذى بعثته فى نفسه كلمات المفتش العام !

وسأل حاكم السجن ضيفه المفتش :

— هل تريد الاطلاع على السجل أولا . أم نتابع الجولة  
لزيارة القبو الآخر ؟ إن الراهب السجين الذى فيه تخيل

انه يملك كنزا هائلا . وقد عرض فى العام الماضى ان يدفع  
مليون فرنك . مقابل الإفراج عنه . وفى العام التالى عرض  
مليونين . . وهكذا دواليك . وهو الآن فى عامه الخامس . فلن  
استغرب لو عرس عليك خمسة ملايين :

\*\*\*

وهناك فى وسط ذلك القبو . رأى الزائران شيئا لا تكاد  
اسمائه البالية تغطى حده . ولم يتحرك السجين حين  
سمع جلبة الداخلين . بل استمر مشغولا بأعماله الحسابية  
الخاصة بكنزه . حتى إذا أقضت المساعل القبو . ورفع رأسه  
وحقق قللا فى الزائرين . ثم أسرع يلف غطاء الفراش حول  
حجمه !

وسأله مفتش السجن :

— ماذا تريد يا سيدى ؟

فأجاب : « سيدى . أنا الراهب « فاريا » . ولدت فى روما  
وعملت عشرين عاما سكرتيرا للكاردينال « سيادا » . . وبعد  
اعتقلت سنة ١٨١١ لسبب لا أعلمه .

ومنذ ذلك التاريخ وأنا اطلب الإفراج عنى . نازة من  
الحكومة الفرنسية ونازة من الحكومة الإيطالية . . وإبنى  
منعد لأن أدفع فى مقابل الإفراج عنى خمسة ملايين من  
جيبى !

فأجابه المفتش :

— سيدى العزيز . إن الحكومة  
إلى ملائكت . ونحن نبحثها حتى  
نجد ذلك !

فقال الراهب السجين :

— إذا لم يفرج عني وبقيت هنا حتى أموت . فسوف يضع الكنز . إني أعرض عليك ستة ملايين . وسأقنع بالباقي في مقابل أن ترد إلي حريتي . . إني لست مجنونا . والكنز الذي أتحدث عنه موجود هنا . وأنا على استعداد لأن أوقع على تعهد بالإرشاد إلى مكانه : فإذا لم تجده فاعيدوني إلى هنا . . ولست أطلب أكثر من ذلك !

فقال المفتش :

— إنها خطة باوغة . فلو طلب جميع السجناء ذلك لانتحت لهم فرصة رائعة للفرار !

ثم خرج الزائر ومراقوه . وأغلق السجان الباب د...  
السجين !

ووفى المفتش بوعده « لدانتيس » . ففحص سجله . ووجد فيه هذه العبارة : « بونايرتي عفيف شديد الخطر . قام بدور إيجابي في فرار الفاصب من إلبا . . . ! وله استطاع المفتش إزاء هذه القيمة إلا أن يكتب على هامش السجل معلقا : « لا شيء يمكن عمله في أمره » !

\*\*\*

في نهاية العام التالي وصل إلى السجن حاكم جديد . وكان عسيرا عليه أن يعرف المسجونين بأسمائهم . لأن عددهم يزيد على الخمسين . فصار يرمز إلى كل برقم زنانيته . . وكان رقم القبو الذي يعيش فيه « إدمون دانتيس » ٣٤ .

وفي الوقت الذي بلغ فيه اليأس بالسجين الشاب غايته — حتى دفعه إلى التفكير في الانتحار — فوجيء ذات ليلة بسماع صوت أجوف صادر من وراء الجدار الذي بنام إلى جوارده . وكأنه صوت آلة حديدية تدق الإحجار . . فحدث نفسه . قائلا :

— لا شك في أن هناك سجيننا يحاول الفرار . آه لو استطعت مساعدته !

ومضى إدمون إلى ركن تبود فتناول حجرا ودق به الجدار ثم انتظر قليلا فلما لم يسمع شيئا . أقع قلبه بالأمل في نجاح مساعدته لذلك السجين زميله المجهول . ونفض فتقل فرائسه من مكانه وأخذ يبحث عن شيء بثقب به الجدار حتى يتترع حجرا منه . ولكنه لم يجد ما يصلح لذلك غير آنية شرابه . على أن يحلها ويستخدم قطعة مديبة منها في الغرض المطلوب !

وكان أمامه الليل كله يعمل في اثناؤه برغم أن الظلام كان يعوقه إلى حد ما . . . وحين وجد الجدار شديد الصلابة أعاد الفراش إلى مكانه ليخفي آثار المحاولة وآثر الانتظار إلى الصباح . . أما زميله فقد داب على عمله طيلة الليل .

ولما أشرق النهار وجاء السجنان إلى « دانتيس » بالطعام . أخبره هذا بأن الآنية وقعت فانكسرت . . فما كان من هذا إلا أن ذهب لإحضار أخرى دون أن يعنى بجمع شظايا الآنية المكسورة . . .

وبعد ثلاثة أيام نجح « دانتيس » . بفضل مراعاته منتهى الحذر . في إزالة طبقة الاسمنت التي تكمو الجدار والكشف عن حجر كبير وراءها . . وصار عليه ان يحفر حول الحجر حتى يستطيع اقتلاعه من مكانه . ولكن بماذا يحفر . . . إن الآنية الخزفية تمجز عن ذلك . وهنا خطر له ان يفسد الحديديّة التي يحفر له فيها السجان الحصار . . . تحت يدريه غدا يذبحه حين يدخل لآخر الصباح . . . فنتفكر ! . . ففكر له ذلك وفق الحفنة التي ريسها . . . إلى الحارس ان يدع بعباء الآنية المكسورة إلى التفتيش . . وصادف هذا الطلب هوى من نفس السجان الكسول . فقبل !

وكاد « دانتيس » بجن فرحا . . فلما خرج . رحسرح الفراش من مكانه واهوى ببعض الآنية اللدب على جوانب الحجر . . فلم تمض ساعة حتى أمكن اقتلاعه من مكانه . وانفتحت في الجدار نفرة سعتها قدم مكعب ونصف قدم . . وإذ ذاك أخذ « دانتيس » المخلعات التي نتجت عن ثقب الجدار ودفتها في شقوق الجدران . . ثم أعاد فرائشه إلى مكانه ليخفي آثار فعلته ونافم قزير العين !

وبعد مجهود مماثل دام يضع ليل . فوجيء « دانتيس » في ذات ليلة بسماع صوت كأنه صادر من تحت الأرض . فوقف شعر رأسه دهشة وإجفالا . . ثم قال له صاحب الصوت : « لا تحفر أكثر من ذلك . ولكن قل لي فقط ما ارتفاع نفرتك ؟ » .

ثمهمس قائلا : « إنها في مستوى أرض الحجرة » .

— وعلام يفتح باب حجرتك ؟

— على ممر يؤدي إلى غناء السجن !

— اعتقد ان الجدار الذي تثقبه هو جدار السجن الخارجي .

فلتوقف عن العمل حتى اتصل بك . أنا السجين رقم ٢٧ .  
وسأصل بك غدا ! . .

وفي الصباح التالي سمع « دانتيس » ثلاث طرقات . . فركع على ركبتيه وراح ينصت . ثم قال له ذلك السجين .

— هل خرج سجانك ؟

— نعم . وهو ان يعود قبل المساء . ومن ثم فإمامنا اثنتا عشرة ساعة للعمل . وبعد لحظة أنهار الجزء من الأرض الذي كان « دانتيس » متكئا عليه بيديه . في حين كان رأسه في الثغرة . . فاراد إلى الخلف في الوقت الذي هوت فيه كتلة من الأحجار والأرض فاختفت في حفرة انفتحت تحت الثغرة التي فتحتها هو . . ثم من أعماق هذا الممر رأى رجل يبرز أولا ثم يتبعه جسده . . وإذا السجين رقم ٢٧ قد صار معه في رزاقته !

وأخذ « دانتيس » زميله السجين بين ذراعيه معانقا . بل كاد يحملهُ نحو النافذة كي يرى ملامح وجهه . . كان رجلا ضئيل الجسم . أبيض شعره من الآلام . ذا عين نافذة تكاد تكون مدفونة خلف حاجبه الإغبر القزير . وكانت له لحية طويلة تصل إلى صدره . أما وجهه النحيل وخطوط ملامحه الجسورة فتتم عن رجل لاف أن يستخدم قواد الفجدة أكثر من قواد الجسمية .

وعلم « دانتييس » من زميله أنه انتزع بعض « شسناكل »  
سريره كي يستعين بها على حفر الطريق الذى سلكه من  
زنازاته إلى زنازاة جاره ، وطوله نحو خمسين قدما .

نهتف دانتييس ، شبه مذمور :

— خمسون قدما !!

— نعم . على المسافة بين حجرتك وحجرتى . ولكنى لسوء  
حصص أخطأت تبين اتجاه الطريق الذى حفرته . بسبب نقص  
الأدوات الهندسية اللازمة . بدلا من أن ينهى بى إلى  
الجدار الخارجى المائل على البحر ، قادنى إلى الممر الذى  
تفتح عليه حجرتك . وهكذا ذهب جهدى كله هباء . فإن الممر  
يطل على فناء مزدحم بالجنود !

فقال « دانتييس » :

— هذا صحيح : لكن الممر الذى نتحدث عنه لا يحاذى غير  
جانب واحد من زنازاتى . وهناك ثلاثة جوانب أخرى . فهل  
تعرف شيئا عن موقعها !!

— هذا الجانب ينتهى إلى الصخر الصلب . . وهناك  
جانب آخر ينتهى عند الجزء الأسفل من مسكن حاكم السجن ،  
ولو تقيناها لوصلنا إلى زنازات مغلقة . أما الجانب الرابع  
والآخر من زنازاتك فهو يطل على مكان مفتوح يمر فيه الحراس  
بلا انقطاع ، ويسهرون على حراسته ليل نهار . . ومن هذا  
تعيين الاستطالة المطلقة فى الفرار عن طريق زنازاتك !!

وبعد أن قضى السجنتان ثغرة يتشاوران فى تأمل عيسى .  
هتف « دانتييس » فجأة :

— لقد وجدت ما كنت تبحث عنه . . إن الممر الذى سلكته  
من زنازاتك يمتد هنا فى اتجاه الرواق الآخر ، ولا يرتفع عنه  
أكثر من ١٥ قدما . وإذا نى ينبغى أن نثقب جدار الممر لفتح ثغرة  
جانبية فى منتصفه . . وفى هذه المرة سنضع خططك بحسب  
تجىء اقرب إلى الحواب . فسوف نهبط فى الرواق الذى  
وصفته ، فنقتل الحارس الذى يحرسه ونلوذ بالفرار ! . .

— لحظة واحدة يا صديقى العزيز . . لقد جعلت دأبى حتى  
الآن أن أعلن الحرب ضد الظروف ، لا البشر . . لم أجد بأسا  
أو خطيئة ما فى أن اتعب جدارا أو احطم درجة من سلم . ولكنى  
لا أستطيع إقناع نفسى بسهولة بأن اتعب قلبا حيا أو أنفزع  
حياة . . فتعال زرنى فى زنازاتى يا صديقى العزيز . وسوف  
أريك عملا أدبيا كاملا ، هو ثغرة افكارى وتابلاتى طيلة  
حياتى !

— على أى شيء كتبت مؤلفك هذا ؟

— على قصير من قصصانى : لقد اخترعت تركيبا يجعل  
القليل مثل ورق البرشمان فى نمومته وسهولة الكتابة عليه .

— ولكن ، مم صنعت الحبر الذى كتبت به !

— كانت فى زنازاتى يوما ما مدعاة ، نغطيا طبقة كثيفة من  
« الهباب » فأخذت قليلا منه وأذقته فى جزء من التيفيز الذى كانوا  
يحضرونه إلى كل يوم أحد ، وأزيتته إلى الحبر . .

هذا الخليط لا يضارع . لكنى فى المسائل والملاحظات الهب  
كنت آخر إجبعى بابرة واكتب بدهى ذاته . . اتبعنى !

وبعضى الراهب يتبعه زميله عبر المر تحت الارض حتى  
وصلا دون صعوبة نذكر إلى نهاية الممشى الذى يعنى إلى  
رفرائه الراهب . وهناك فى تلك البقعة كان المر مزداد خسة  
حتى لا يسمح بمرور احد منه إلا إذا زحف على يديه وركبتيه .

واخيرا بلغا قبو الراهب . فأخرج هذا من أحد المخابى .  
ثلاث سلطوانات من النيل مكتوبة كلها . وقال « لدانقيس :

— هاك المؤلف كاملا . . لقد كتبت كلمة « النهاية » فى آخر  
الصفحة الثامنة والستين منذ نحو اسوع . فلو خرجت من  
من هذا السجن ووجدت فى إيطاليا انتم انتم الحر . على  
ما كتبت . فإن سمعنى الأدبية تكون قد توطدت نباتيا .

ثم عرض الراهب على « دانقيس » « الريشة » التى كان  
يستخدمها فى المكتابة ، وهى عصا صفيرة طويلة ست  
بوصات . ربط فى طرفها فضروف مأخوذ من رأس سمكة  
وقد دبب طرفه وشق مشمل الريشة العادية . . فقال له  
« دانقيس » .

— الشيء الذى بحرنى هو كيف تعمل فى ظلام الليل ؟

فاجابه « ناريا » :

— لقد فصلت الشحم من اللحم الذى يجيئنى فى الطعام .  
وصهرته فتتج عنه زيت للوقود ، ثم صنعت لى مصباحا صغيرا

من قطعيتين من الصوان وقطعة من الكتان المحروق . ٣٠—  
الكتاب فقد اضطررنى تدبير امره إلى التظاهر بنى بصواب  
بمرض جلدي . ثم طلبت قليلا من مادة الكبريت لهذا الغرض .  
مجلبوعا لى . . إنك لم تر بعد شيئا من أفانيسى !

ثم ازاح الفراش من مكانه فظهرت خلف احد الاحجار عمرة  
فى داخلها سلم من الحبال طوله يتراوح بين خمسة وعشرين  
مترا وثلاثين مترا . وقد وجده « دانقيس » من المائدة بحيث  
يحمل اى ثقل ! . . فسأل زميله الراهب .

— كيف صنعتها ؟

فاجابه « ناريا » :

— صنعتها من اقمصى التى مزقتها !

ثم سد الراهب الثغرة بالحجر واعاد الفراش إلى مكانه .  
وقال :

— هل لك الآن أن تروى لى قصتك انت ؟

واخذ « دانقيس » يسرد له قصته حتى انها . باطسرف  
الراهب برهة يفكر ثم سأل :

— من الذى يستفيد من اختفائك ؟ . إن الأمر واضح  
كفيمس . لكن يساطنك وطيبة قلبك قد أخفيا الحقائق عليك .  
والآن قل لى . هل كان « دانجلو » يعرف « فرناند » ؟

— لا . . بل نعم : فالآن تذكرت افنى رايتها جالسين معا  
فى الليلة السابقة للزفاف ، وكان « دانجلو » يمزح فى مزح .



حين بدا « فرناند » شاحبا قلعا ، ولست ادرى كيف لم أفكر في هذا الأمر من قبل ؟ إننى لأذكر الآن جيدا أنه كان أمامها على المنضدة حبر وريشة وورق ! يا للأذال القساة القلوب !

— هل ثمة شيء آخر أستطيع أن اعينك على كشفه ؟

— نعم ، أريد منك أن تعلق لى سبب إلقاءى فى السجن دون محاكمة أو تحقيق !

— هذا شيء آخر ! .. إلى من كان ذلك الخطاب الذى أعطى لك فى « إلبا » موجها ؟

— إلى سيو نوارتييه رقم ١٣ شارع ( كوك هيرون ) بباريس .

— نوارتييه . نوارتييه ؟ كنت أعرف شخصا بهذا الاسم من النجبر وندبين فى أثناء الثورة .. وماذا كان اسم المحقوندى استجوبك ؟

— « دى فيلفور » !

وعندئذ أغرق الراهب فى الضحك ، وقال :

— كيف هذا ؟ .. ألا أستطيع استنتاج شخصية « نوارتييه » هذا ، بعد أن حرص المحقق على إخفاء اسمه ؟ .. إنه أبوه !

ولو أن ساعة سقطت على « دانتييس » . لما كان أشد فزعاً منه لدى سماع هذه العبارة ! .. وومض فى ذهنه ضوء

خاطف مباغت أثناء وأوضح كل ملايسات الموقف التى كانت غارقة فى الظلام !

وحين عاد إلى زخرفته ارتقى على قرائشه ، حيث وجده الحارس حين دخل عليه فى المساء محملا فى الفضاء صامتا ، بلا حراك .. لقد انتهى من تفكيره وتأملاته الطويلة إلى قرار مخيف أقسم لينفذه ما وجد إلى ذلك سبيلا !

وأخيرا أفاق « دانتييس » من شروده على صوت « غاربا » الذى جاء على أثر خروج سجنائه ليدعوه إلى مشاركته عشاءه .. فقال له « إدمون » :

— سبى أن تعلمنى بعض ما تعلم .. على الأقل حتى لا أسل صبحنى ! .. وأنا أعدك بالأا أشير بكلمة واحدة بعد ذلك إلى الفرار من السجن :

فأجاب الراهب العلامة متواها : « إن المعارف البشرية بائنة محدودة داخل دائرة ضيقة ، فإذا علمتك الرياضيات والمعلوم والطبيعة والفاريخ واللغات الثلاث أو الأربع التى انتخبها نسوف تضارعنى فى العلم .. وهذا يستغرق حوالى عامين ! »

فنهف « دانتييس » :

— عامين فقط ؟ أعتقد أن عامين يكتفيان لاستيعاب كل هذه العلوم ؟

وفى تلك الأسمية وضع السجنان برنامجا للدراسة . وفى اليوم التالى بدأ تنفيذه !

- ٥ -

## سر الكنز المفقود

في نهاية ذلك العام كان « دانيس » - بغض ما تعلمه - قد صار وكأنه خلق من جديد . لكنه لاحظ أن « فاريا » يزداد كل يوم كآبة ووجوما . وكان فكرة ما لا تقف تلح عليه وتطارده .. وذات يوم سمعه يقول في سروره :

- اه . لو لم يكن هناك ذلك الحارس الدبدب

سأله مطلقا :

- هل فكرت في وسيلة لاسترداد حريتنا ؟

نقال : « نعم . ولكن هل انت قوى البنية ؟ » .

نقاول الشاب إرميل الراهب وثنا يديه حتى صار كهيئة حدوة الحصان . ثم عاد يقوم أعوجاج الإرميل حتى عاد كما كان :

وبدا الاغتباط في وجه الراهب الحزين . ثم قال له :

- هل تعدنى بالأا تصيب الحارس بأذى . إلا عند الضرورة القصوى ؟

- أعدك بشرى !

- إذن نستطيع أن نشرع في تنفيذ خطة الحرب . وسوف نستغرق منا حوالى عام !

وأخذ الراهب يشرح « لدانيس » خطته . وهى تتلخص في حفر نفق تحت المر المرسل بين زنزانتهما . بالطريقة التى تحفر بها المناجم . ثم الخروج من نافذة قريبة إلى جدار السجن الخارجى . ثم السيوط إلى البحر بواسطة الجبل الذى قتل الراهب وجعل منه سلما !

وفي اليوم نفسه بدا السجينان حفر النفق . بالنشاط الذى توافر لهما بعد طول الراحة . مدفوعين بأمالهما في الحرية والخلص .. ولم يكن يعوق عملهما غير حرص كل منهما على العودة إلى رمزاته في الموعد المناسب قبل زيارة السجن الفهارية أو الليلية ! ..

وانقضى عام .. وفي نهاية الشهر الخامس عشر تم خسر النفق ، وصار السجينان يسمعان بوضوح صدأ خطوات الدبدبان وهو يروح ويحيى فوق راسيهما .. ولم يبق أمامهما غير انتظار حلول ليلة حالكة الظلام كي ينفذا خطة الفرار !

وفي ذات ليلة سمع « دانيس » صوت الراهب بناديه في الخارج قائما من ألم شديد . وكان قد تركه في زنزانته هو ، تخف إليه على عجل . ليجده واقفا في وسط المكان . شاحبا شحوب الموتى . وقد تصيب جبينه عرقا وتقلصت بداه ، وما كاد يراه حتى ابتدره قائلا :

- اصغ إلى ما سأقوله بعناية .. إنى مصاب بوبئة من نوبات مرض رهيب قاتل . وقد أصابني النوبة الأولى في .. العالم السابق لاعتقالي ، وليس لها غير علاج واحد .

بريك إلى زنزانتي وأخضع إحدى قوائم السرير . تجدد في دخلي فارورة صغيرة مملوءة إلى نصفها بسائل أحمر .. أحضرها إلى بسرعة .. أو فلأخذني أنا إلى فراشي لنلا مفاجئتي الحراس غائبا عن زنزانتي . خدني قبل أن أفقد ما بقي لي من قوة على جر ساقي !

وحين أوقد « دانيس » رفيقه على قرائنه قال له هذا وهو يرتجف :

— شكرا لك !... إنني أوشك أن أصاب بنوبة كالصرع .  
وحين تبلغ حدثها قد ترائي رائدا بلا حراك كالليت . أو قد تزداد النوبة شدة فتسبب لي تشنجات مخيفة . إذا حدث ذلك فأحرص على ألا تبلغ صرخاتي مسامع أحد . وإلا غرقوا بيننا إلى الأبد وأحبطوا كل خططنا .  
وحين يبرد جسدي ويسكن كالجنة الباردة . نمتدئذ — وليس قبل ذلك — افتح فمي عنوة يسكين أو نحوها . واسكب في حلقى ثماني قطرات أو عشرة من السائل الذي في القنينة . وبذلك قد أنقذت من نوبتي !

فمسأل « دانيس » في لهجة المفجوع :

— قد نشفى ؟

وفجأة صاح « فاريا » :

— النجدة .. النجدة ... إنني أموت !

وبلغ من عنف النوبة أن المسكين عجز عن إتمام عبارته . وراح جسده يمتز هزات مخيفة وتنطلق منه صرخات مروعة

كنها « دانيس » بوضع الغطاء فوق رأسه .. واستمرت النوبة ساعتين . استرد المريض في نهايتها هدوءه وسكن جسمه كالميت .. وانتظس « دانيس » حتى زالت منه كل علامات الحياة ثم فتح فمه عنوة وسكب قطرات السائل في حلقه .. وانتفض ساعة والمريض لا يبدي بادرة من بوادر العودة إلى الحياة ! .. وأخيرا صعد إلى خديه لون باهت . وارتد الوعي إلى مقلتي العين . وبذل الراهب محاولة متخاذلة للتحرك .. وحين استرد قدرته على الكلام قال :

— إن النوبة الماضية لم تدم أكثر من نصف ساعة . وقد أفقت منها دون معاناة أحد .. أما الآن فإني عاجز عن تحريك ساقي اليمنى أو ذراعي . ورأسي ثقيل ، ما يدل على حدوث نريف دموي في المخ .. وأغلب الظن أن النوبة الثالثة .. رب تقضى علي أو تخلفني مشلولاً مدى الحياة . بل إن هذه النوبة التي انقضت قد حكمت علي بالبقاء رهن السجن بقية عمري . فقد شلت ذراعي نهائيا .. أرغمها وأحكم بنفسك إذا كنت مخطئا !

ورفع الشاب ذراع الراهب فلما سقطت من تلقاء نفسها بحكم ثقلها ، قال له في أسى :

— إذن فسوف أبقى أنا أيضا !

ثم مسح بيده في رفق رأس الراهب المريض وأضاف قائلاً :

— اتسم بكل ما هو مقدس إلا أتركك ما دمت على تسد الحاة !

فنظر « غاريا » إلى صديقه الشاب نظرة شغف وقرأ في وجهه توكيدا لإخلاسه المكين . فغمغم وهو يعد إليه يده :

« اشكرك - وأقبل بما تعد به .. ولكن لما كنت لن استطيع مغادرة هذا المكان ، فلا مناص من سد الفجوة التي في نسيابة النفق خشية أن تفهار الأرض عندها بمضى المدة فيكشف أمر ما دبرنا ويفصل بيننا مدى الحياة .. فامض وأتم هذه المهمة ولا تحضر إلى غدا إلا بعد أن يخرج السجنان من عندي .. من لدى امرأ على أعظم درجة من الأهمية أود الإفشاء به إليك :

وحين عاد « دانتيس » في صباح اليوم التالي وجد « غاريا » جالسا وقد بدت عليه الراحة . وفي يده البسري ورقة لوج له بها - قائلا :

« انظر إلى هذه الورقة يا صديقي ! .. إن في وسعي أن أمزق لك الآن - بعد أن ثبت لي وعاؤك - بأن فيها مفتاح كنزى الذى يخصك نصفه منذ اليوم ! .. لا تحسنى مخبولة ، فهذا الكنز موجود فعلا يا « دانتيس » ولئن لم يتح لى أن أقدر به فسوف يتاح لك ذلك . والآن اقرأ هذه الورقة :

وكانت الورقة تحوى هذه الكلمات :

« في هذا اليوم - الخامس والعشرين من إبريل سنة ١٤٩٨ ، دعيت إلى العشاء عند صاحب القداة البابا « الكسندر » السادس .. وخشية أن يطلع قدامته في أن يغدو وارثى ، وان يدخر لى مصير الكردينال « كابرارا » . والكردينال

« نيبوجوليو » اللذين قتلوا بالسم . أعلن هما لابن آخر « جينو سبادا » ورثى الوحيد أنى دفنت في مكان يعرفه هو وقد زارده معى . وأعنى به كهوف « جزيرة موت كريستو » الصغيرة . كل ما املك من المال والذهب والجواهر والأحجار الكريمة . وهى ثروة تقدر بمئو مئو مئو من الريالات الرومانية ، وبسطيح أن يجدها إذا رفع الصخرة العشرين من الأخدود الصغير الواقع إلى الشرق على امتداد خط مستقيم . ولعله الكهوف فتحنا . والكنز يوجد في الزاوية البعيدة من ثائيفها ، وهذا الكنز أثره ناكمله له « ثاعناره ورثى الوحيد » ..

■ قيصر سبادا ■

ونظر الرابع حتى اتم « دانتيس » قراءة الورقة ثم قال له :

« هذه هى وصية الكردينال « سبادا » التى عين فيها مكان كنز الأسره الذى حاول البابا « الكسندر » السادس اغتصابه بقتل الكردينال . على أن هذا الكنز لم يعثر عليه أحد . وقد كنت أنا سكرتير الكردينال « سبادا » وهو آخر من حملوا هذا الاسم . وبعد موته اكتشفت هذه الورقة بين طيات كتاب صلوات خلفه لى . وقبل أن أصل إلى « جزيرة موت كريستو » لأبحث عن الكنز ، اعتقلت ! .. غلو أننا هربنا يوما معا فسيكون لك نصف هذا الكنز .. أما إذا مت هنا وهربت أنت وحدك فإنه يكون لك بأكمله ! ..

وتسأل « دانتيس » متلعثما :

« ولكن .. ألم يعد للكنز ورثة ؟ »

نقال « فاريا » :

— كلا ! . لقد اقترضت أسرة « سبادا » . علاوة على ان الكرد ينال الاخير منهم جعلني وريثه الشرعي . . فلو اننا وضعنا أيدينا على الكنز ففى وسعنا الاستمتاع به شون أدنى وخز من ضمير . . وهو يساوى بمثلنا الحالية نحو ثلاثة عشر مليون ريال ! » .

وخيل إلى « دانتيس » انه فى حلم . فتراجع بره بين الفرح وعدم التصديق . على حين استعطرد « فاريا » :

— لقد كنمت عنك قصة هذا الكنز حتى الآن كي اخبر خلفك ثم اناجلك بها . . ولو كنا قد هربنا قبل ان تصيبنى النسوبه نقدتك بنفسى إلى « جزيرة مونت كريستو » . فاننا « عدك بمثلها ابن لى . وقد اوصلك الله إلى كى تواسينى فى الوقت الذى لم بعد فى استطاعتى ان اكون حرا . ولا والدا !

ثم مد « فاريا » ذراعه السليمة إلى « دانتيس » فأخذها الشاب بين يديه وانخرط فى البكاء !

ولم يكن الراهب يعرف « جزيرة مونت كريستو » . ولكن « دانتيس » كان يعرفها . فقد طالما مر بها ، وهى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من « بيانوزا » بين « جزيرة كورسيكا » و « جزيرة إلبا » . وقد كانت الجزيرة — وما تزال — مهجورة تماما ، وهى صخرة مخروطية الشكل تبدو كأنها قد تفتت بها قوة بركانية من جوف المحيط . . وقد رسم « دانتيس » خريطة

تقريبية للجزيرة ، وأدلى إليه « فاريا » ببضع نصائح تتعلق بطريقة البحث عن الكنز .

ولكن . . كأنما شاء القدر ان يحرم المسجونين من فرصتهما الأخيرة . . فقد أعادت سلطات السجن بناء الجناح المطل على البحر . لأنه كان قد تهدم فى كثير من المواضع . وسدت بكتل ضخمة من الأحجار تلك الشفرة التى أغلقها « دانتيس » مؤقتا ، على نصيحة الراهب . . وهكذا قام سد جديد منبع يهدم كل آمال السجينين فى الفرار !



- ٦ -

## الميت الهارب

«سيدى دانتيس» من نومه فجأة على صوت نداء صادر من زنزانه «فاريا» زميله الراهب السجين - فسارع إليه منزعجا - وعلى ضوء الصباح الصغير هناك رآه صاحب الوجه غائر العينين يثقلها بقوائم السريير - وقد تقلصت تسمانه بتلك الاعراض المخففة التي ظهرت عليه في النسوبة السابقة !

وقال له « فاريا » بصوت خائر :

« واسناء يا صديقى !.. إن الثوبية الغظيمة تعاودنى . ولن يمضى ربع ساعة حتى أكون ساكنا كالجثة الباردة .. فأفعل ما فعلته في المرة السابقة - ولكن لا تفل الانظار .. فإذا رأيت بعد أن تسكب في حلقى اثنتى عشرة قطرة - بدلا من عشر - اننى لا أبق .. فاسك بغية محتويات الزرورة أيضا في قمى !

واخذ « دانتيس » صديقه المريض بين ذراعيه وأرقدده على الفراش .. وانتابت الراهب على الأثر تشنجات عنيفة : غرقع رأسه بمجهود أخير - وهمس له :

« اموت كريستو ) لا نفس اموت كريستو ! ! .

وحين غادر « دانتيس » أن اللحظة المناسبة لإسعاف صديقه قد حانت ، فتح نكبه وسكب بينهما اثنتى عشرة قطرة ثم انتظر .

وكانت القريعة تحوى بعد ذلك ضعف هذا القدر .. وانقضى نصف ساعه دون أن يحدث أى تغيير في حالة المريض موضع غم القنينة بين شفتى الراهب القرمزيتين وسكب ما فيها في حلقه ! .. فأحدث الدواء أثرا مؤقتا هز كيان المريض هزا عفيفا ثم عاد جسده - إلى سكونه الاول - وظلت نبضه مفتوحين .. وشمينا فشمينا سرت فيه برودة الموت - وضعف نبضه تدريجا حتى توقف آخر الأمر !

وكان موعد مرور السجان قد اقترب ، غاطسا « دانتيس » المصباح واخفاه بعناية ثم خرج إلى الممر السرى وأغلق الثغرة بالحجر بكل ما وسعه من إقنان .. وحين وصل إلى زنزانه لم يلبث أن سمع جلبة السجان وهو يكتشف موت السجين - ثم اصوات الحاكم وطبيب السجين والحراس - وكان الحاكم يقول :

« إنه سوف يدفن الليلة بكل تكريم في أحدث غرارة ( جوال ) نجدها هنا !

ثم سمعت خطوات أخرى : وضجيج اعقبه تحريك سريير الميت واصوات مختلفسة .. وبعد حين هذا كل شيء وعاد سكون الموت يخيم على السجن .. فتلألأ « دانتيس » إلى الممر - وإذ أيقن من خلو زنزانه صديقه من أى إنسان - رفع الحجر في حذر وذلك إليها !

كانت الجثة قد وضعت في كفنها داخل غرارة من الخشب ، استعدادا لإلقائها في البحر ، كما نقلني جوالين السجون ..

وإذ رأى « دانتييس » ذلك المنظر الذى يعدده للفراق الأبدى  
عن صديقه الذى كان سلواه الوحيدة فى سجنه . علاوته فكرة  
الانتحار التى كانت تراوده من قبل ، فراح يذرع المكان جيشه  
وذهابا .. وفجأة وقف إلى جوار الفراش جامدا . وغيمه !

— يا إلهي ! .. يا الذى أوحى إلى بهذه الفكرة ؟ .. أحيى من  
وحبك ؟ .. لكن ما دام أن أحدا غير الموتى لا يخرج حرا من  
هذا المكان . فلاخذ مكان الميت !

ولم يتحمل ليتدبر هذا القرار الملائس . بل جذب الجثة من  
الفرازة وحملها عبر النفق إلى زنزانته هو . حيث وضعها فوق  
فراشه . ولف رأسها بالغطاء الذى يتدثر به فى أثناء نومه ..  
ثم قبل جبين صديقه الوثقى التعس وأدار رأسه نحو الحائط  
كى يحسبه السجان نائما حين يدخل فى الزيارة التالية . ومرى  
عائدا إلى الممر حاملا معه إبرة وخيطا وسكينا !

وحين بلغ زنزانه الراهب دلف إلى داخل الجوال واتخذ  
الوضع الذى كانت عليه الجثة ثم خاط الفرازة من الداخل كما  
كانت !

وانقضى الليل على هذه الحال ، دون أن يحضر أحد . وفى  
الساعة السابعة من الصباح بدأ عذاب « دانتييس » الحقيقى !  
.. ولم تستطع يده التى وضعها فوق قلبه أن تخفف من عنف  
ضربات الشديدة ، وراح يمسح بيده الأخرى قطرات العرق  
المصبوب على وجهه ، ومن وقت لآخر كانت تسرى فى جسده  
شعيرة باردة تعتصر قلبه ، حتى خيل إليه أنه سوف يموت !  
وأخيرا سمع صدى خطوات تتنوع . فتذرع بكل ما بقى له من

شجاعه وحبس انفاسه ! .. ثم فتح الباب ، ودخل منه رجلان .  
فى حين وقف ثالث عند الباب يحمل مصباحا بلغ ضياؤه الخافت  
عين الشاب عبر الفرازة السمكية .. وحمله كلا الرجلين  
من طرفى الفرازة ، وسبع أحدها يقول للآخر :

— إنها ثقيلة هذه الجثة مع أن صاحبها كان عجوزا نحيل  
الجسم !

فأحانه زميله :

— يقولون إن وزن العظم يزداد بمقدار نصف رطل كل عام !

ثم سارت القافلة ، يتقدمها حامل المصباح . فصعد رجالها  
السلم المؤدى من القبو إلى الطابق الأول .. وفجأة أحس  
« دانتييس » هواء البحر الرطيب المنفث بضد جبهته .. ثم  
وضعه حاملا وهو فى الفرازة على حاجز ، وثبتا ثقلا جديديا  
يقدميه فى عنق كاد يرغمه على أن يصرخ من الألم ! .. ثم عادا  
فحملاه واستأنفا السير حتى سمع اصطفاق أمواج البحر وهى  
تضد الصخور التى يقوم عليها بناء السجن .. ثم قال أحد  
الحاملين :

— يا لها من ليلة باردة ! لا تناسب القمص فى البحر !

فأجابه الثانى :

— إن الراهب سوف يصاب بالبلل !

ثم انفجر كلاهما ضاحكين فى وجعته ! فوق ظهر رأس  
الشاب من الفرع ! .. وعاد الأول يقول

— ها قد وصلنا أخيرا ! . .

فاعترض زميله ، قائلا :

— بل لنصعد بضع درجات أيضا . فملكك نذكر ان الميت الذي القيناه آخر مرة قد اصطدم بالصخور . فليهما الحاك بالإهمال . . .

ثم صعدا خمس درجات أو سنا ، وتوقفا أخيرا . . . وأحد « دانتيس » أيديهما تורجحه ذهابا وحينما ناهيا لإلقائه في . . . وسمع أحدهما يقول :

— واحد . . . اثنين . . . ثلاثة ! . .

وفي « اللحظة شعر بيما بطوحان به في الفضاء بقوة . . . فيهوى من حلق كالطير الذبيح . . . بسرعة مروعة جعلت دمه يجهد في عروقه !

وبدا له كأن سقوطه استمر قرنا من الزمان ! . . . وأخيرا اصطدم في عنف بالماء البارد ، فاطلق برغمه مسحة حادة أحذفت حين غاص في أعماق البحر . . . بجذبه إلى قاعه ثقل زنته سنة وثلاثون رطلا . وما لبث قليلا حتى شعر بأنه استقر في قاع البحر . . . في مقبرة سجن ( قصر إيف ) .

وبرغم ما لقيه من الفزع خلال « رحلته » الرهيبة هذه . . . كان من حضور الذهن بحيث لم يكبد بنفوس في لجة البحر حتى مد يده اليمنى بالسكين إلى الغرارة التي تحتويه تشقيا . . . وأخرج ذراعاه ثم جسمه ، لكنه عجز برغم جهوده أن يخلص



نفسه من القتل الذي يجذبه نحو القاع .. وأخيرا اتحنى على نفسه . وبمحاوله أخيره يائسة قطع الرباط الذي ثبت القتل في قدميه ، في اللحظة التي كاد فيها يموت مختنقا .. ثم رجع جسمه نحو السطح بكل ما بقى له من قوة . وحين بلغه جذب نفسا عميقا من الهواء ثم غاص في الماء مختارا ، خشية أن يلحقه أحد « زبانية » السجين !

وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان قد ابتعد عن البقعة التيلقى فيها نحو خمسين قدما .. وكانت تنبسط فوق رأسه سماء سوداء تنفخ بالعاصفة . ويمتد البحر أمامه فسيحا سميرهييا . تزار أمواجه وترغى وتزيد .. وخلفه كان يقوم كالشيخ ذلك البناء الصخري الموحش التي تمتد مسخوره المديسة كالأذرع التي تتأهب للانقضاض على قريستها . وفوق المنخرة العليا كان مصباح يضيء وجرى رجلين . خيل إليه أنها الحمالان اللذان تنابها إلى البحر وقد سيما صيخته فوقها يرتبان ظهوره فوق صفحة الماء .. وعلي هذا لم يجد بدا من أن يعود فيغموس ويبقى تحت اللجة أطول فترة ممكنة . ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه وهو المشهود له بأنه أبرع سباح في مارسيليا .. وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان المصباح قد اختفى !

واعتزم « دانتيس » أن يهرع نحو اقرب جزيرة ، وكانت تبعد غرسخا عن ( قصر إيف ) ، وبعد انقضاء أكثر من ساعة في السباحة المتواصلة ضد الريح ، أحس ألما حادا في ركبته ، فمد يده .. وإذا هي تصطدم بعائق من الصخور .. وبوتبة

أخرى بلغ شاطئ جزيرة ( تيبولين ) . وبعد هناك غرق الصخور الجرانيت وهو يرفع إلى الله أحر صلوات الشكر .. ثم لما لمب غليلا حتى راح في التعلس . بعد أن نال منه الجهد الذي بذله في الوصول إلى هناك !

وبعد حوالي ساعة استيقظ من نعاسه على هريم .. وحين تيقن كان البرق يضيء الظلمة بومضات خاطفة في على هديا زورقا من زوارق الصيد تنفذ الأمواج وقد تعلق أربعة من ركابه بشراعه الممزق في حين تعلق الخامس بدهنه الكسور .. فاندفع « دانتيس » يمشو عابدا الصخور . فلما بلغ الشاطئ لم ير للزورق الرا ..

وهذه العواصف بالتدريج .. ثم اشرق النهار . فقال الشاب محدثا نفسه :

— بعد ساعتين أو ثلاث سوف يدخل المسبحان زفوانتي فيكتشف الحادث وتطلق سلطات السجن صفارة الإنذار ..

واستدارت عيناه في اتجاه ( قصر إيف ) . فلمح عن بعد سفينة شراعية صغيرة من طراز سفن الجوة القادمة من ميناء مارسيليا .. فقفز جدلا :

— هل يعقل أن أكون بعد نصف ساعة على ظهرها .. إن هؤلاء المجرمين الذين يرتدون مسح التجار سوف يغفلون عن يميني على أن يقوموا بعمل إنساني . لكنني سأزعج أي بحار غرقت في عواصف الليلة المظلمة .. سوف يلاحظون أنني لم أكن أحدا من بندقها أو يتم لها !

وحانت منه نظرة إلى حيث فرق زورق الصيد ، فلمح  
 غطاء رأس البحر من اغطية البحارة متعلقا بطرف صخرة .  
 ووضع قطع من اخشاب عائمة فوق الماء .. وفي لحظة  
 رسم خطته : سبح إلى مكان غطاء الرأس حتى بلغه ثم وضعه  
 على رأسه ، وتعلق بإحدى قطع الاخشاب الطافية وانجى  
 إلى حيث وقف في طريق السفينة المقتربة .. !



- ٧ -

## في جزيرة مونت كريستو

تضى « دانتيس » شهيرين ونصف شهر يعمل بحارا في سفينة الميرين . ويبر جزيرة مونت كريستو ذهب وإيما بدون ان يجد الفرصة الملائمة للهبوط . . . وأخيرا اقترح الربان الوقوف عندها للراحة . وكانت مجبورة تماما بحيث بدت مكانا موفجيا لتجارة التبريد . وفي اليوم التالي لم يرتب احد في نوايا دانتيس . حين علم عزمه على اصطاد بعض الوعول البرية التي تقتر بين الصخور . . . ثم تظاهر بأنه سقط من صخرة واصيب في ركبته إصابة تعجزه عن الحركة . . . وحين اقترح عليه زملاؤه ان حملوه إلى السفينة . أبى قائلا : إنه يفضل الموت على الام التحرك . . . ثم طلب من إخوانه ان يتركوا له بعض اللبن ويعودوا إليه بعد يومين أو ثلاثة ، أو يرسلوا إليه اى رزق سيد يصادفونه في البحر . فلم يسعهم إلا إجابته إلى طلبه . . . ولم تكد سفينتهم تبحر حتى عاب من برقة في حلقه تعري حاملا معه بندقيته وغاسه . وهرع نحو المكان الذى حددته خريطة الرامب مكانا للكثير . . . وهناك لمح آثارا على الصخور تؤدي إلى اخدود صغير يكفى اتساعه وعمقه لمرور رزق صغير وإخفائه عن العيون ، فرجح ان يكون المكرودينال « سيادا » قد احضر كنزه إلى هذا المكان في رزق ضده في الاخدود ثم دفن كنزه في نهايته ، عند صخرة ضخمة تغطى تلك النهاية !



ومتشبا مع هذه الفطرية راح يحفر بنفسه مجرى صغيرا بين الصخرة العليا والتي تحتها . ثم ملأه بالبارود واسهل طرف الفتيل وانسحب . فلما حدث الانفجار رجع الصخرة العليا عن قاعدتها وحطم السفلى تحطيمًا - وفر من شقوقها آلاف الحشرات ، يتبعها ثعبان ضخم كان كانه سيطان لحفر الحارس ، لكنه لم يلبث أن تسلسل إلى الظلمات واختفى !

واقترب « دانفيس » من الصخرة العليا . التي مالت نحو البحر . ثم وضع جذر شجرة ربتون في أحد الشقوق وبدن كل قواد واجهد كل اعصاب جسمه كي يزحزح الحجر . . وأخيرا تداعت الصخرة . وانزلت تندرج من قمة إلى قمة حتى اخلقت آخر الأمر في جوف البحر . . !

وكانت البقعة التي تفطيمها الصخرة مستديرة الشكل . تكشف عن حلقة حديدية مثبتة في بلاطة مربعة . فوضع « عطة » شجرة الزيتون في الحلقة وجذبها بكل قوته : فانكشفت البلاطة عن سلم يؤدي إلى كهف عميق تحت الأرض !

وهبط « دانفيس » السلم ، لكنه بدلا من أن يجد ظلمة في قاع الكهف وجد ضوءا خافتا يشرب من شقوق الصخور . . وتذكر أن وصية الكاردينال حددت مكان الكنز بأنه في « أبعد زاوية من الفتحة الثانية » . . وإذن فعليه أن يبحث الآن عن الكهف الثاني . وخطر له أن هذا الكهف المنسود لابد أن يوجد في مكان أبعد من شاطئ الجزيرة ، فراح يذق الصخور وينصت إلى رنينها عله يسمع رنينا اجوف

ينم عن وجود الكهف . . وأخيرا خيل إليه أنه يسمع الرنين المطلوب . فعاد يذق الصخور ليؤكد من الأمر ، فتبينت طبقة خارجية تكسو الصخرة وكشفت بذلك عن حجر أبيض كبير !

لقد غطيت فتحة الكهف بالاحجار ثم كست ذلك القاسم وطلبت بحيث تشبه ما حولها من الجرايت !  
والقاس التي كانت ثقيلة في البداية صارت الآن في حله الريشة . .

وحين تم « لدانفيس » الكشف عن الفتحة هبط إلى الكهف القاسي . ماذا عو عبق وأحلك ظلمة من الأول . . وإلى يسار الفتحة كانت توجد زاوية عميقة مظلمة . قدر الشاب من منظرها أن الكنز لو وجد فلن يوجد إلا فيها . . ومن ثم قدم نحوها وأهوى بقاسه على أرضها . . !

وعند الضربة الخامسة أو السادسة استطاعت القاس بسطح ذي رنين يشبه الحديد ، وسرعان ما رأى الشاب خزانة من خشب البلوط مثبتة بأحزمة من الفولاذ . . وفي وسط غطائها لوحة فضية حفر عليها شعار أسرة « سبادا » !

وأمسك الصندوق من مقبضه وحاول أن يرفعه ، فلم يفلح . . فحاول همه إلى محاولة فتحه . . وبعد جهود جبارة يختلف الوسائل لانت الأفعال وانكسرت . ولكنه أصيب بدوار ، فأغضى عينيه وفتحهما ، ليستوقف من أنه لا يحطم ! كان الصندوق مقسما إلى ثلاثة أقسام : لمت في الأول منها اكوام من العملة الذهبية اليراقط . . .

يحوى كتلا من الذهب غير المصقول .. أما الثالث فتش  
أغترف الشاب منه بيديه حفنات من الجواهر الخلابة . من  
ماس ولؤلؤ وياقوت ...

وحين استرد هدهد - وأطرفته فريحتة - عكف على إحصاء  
محتويات كنزه : كانت هناك ألف سبيكة من الذهب الخالص ،  
زنة كل منها من رطلين إلى ثلاثة .. ثم خمسة وعشرون ألف  
ريال : يساوى كل منها نحو ثمانين فرنكا من العملة المتداولة ،  
ويحمل رسم البلبا « الكسندر السادس واسلافه ..  
أحصى عشرين حفنة من الماس واللآلئ الفادرة .

وكان النهار قد أوشك أن ينقضى ، نخشى « دانتيس » أن  
يفاجئة أحد في الكيف فنادره ويندقيته في يد .. روى  
تناول عشاءه بضع قطع من البسكويت وكأسا من الروم . ثم  
اختلس من الليل بضع ساعات ناميا فوق قوّة الكيف . نوما  
متقطعا تتخلله مشاعر مختلفة من الفرح والفزع !



ولما اشرق النهار التالي بعد أن انتظره « دانتيس » بفارغ  
الصبر . هبط إلى مكان الكنز حيث ملأ جيوبه بالجواهر ثم  
أغلق الصندوق بإحكام وأعاد كل شيء إلى مظهره الأول سواء  
في داخل الكيف أو خارجه . بحيث لم يترك وراءه أثرا ينم  
عن اقتراب إنسان من المكان ! .. ثم ريش على الشاطئ  
في انتظار وصول قافلة من البحارة !

وفي اليوم السادس عاد المبريون إلى الجزيرة . فلم يكد  
« دانتيس » يلمح شراع السفينة « إمبليا الشابة » حتى خف



إلى الشاطئ ليستقبل إخوته .. وخرج على السفن  
 إن إصابته لم تنصف نصاباً .. وإن جئت حدة الاله .. وجهاً عو  
 يثرثر معهم فممن من حديثهم أنهم يخطون .. ان يلقى بهم سفينة  
 من سفن حراس السواحل علموا أنها عذرت .. بناءً على  
 لطارتهم !.. ولم تضيق الجماعة وقتاً في الانتظار فاقطع  
 الجميع بسفينتهم إلى ميناء ( ليجهورون ) .. وهناك عرج  
 " دانتيس " على جوهري يهودي باع له أربعة من  
 السفيرة التي بجعلها في جيوه يفترون لف غرنا ..  
 يقول لزملائه البحارة المهرين إن مراثا قد آل إليه من عم له  
 وأنه سوف يتركهم نهائياً .. ثم قدم لصديق له منهم فدحبه  
 .. ويدعى " جاكوبو " - سفينة شرعية جديدة على سبيل  
 " البند " علاوة على بلع ان المال سمعهم ..  
 لحسابه والاستقلال بالعمل .. مقابل شرط واحد اشترطه  
 " دانتيس " عليه .. هو ان يذهب من قوره إلى مار .. سيليا  
 ويستقضي أبناء شيخ مسن يدعى " لويس دانتيس " بطن  
 حارة ( دي ميان ) .. ونداء شابة تدعى " مرسيدس  
 قاطنات قرية ( كاتالان ) .

وفي صباح اليوم التالي أبحر جاكوبو بسفينته إلى  
 مارسيليا .. على ان يعود فيلقى بولي نعمته في جزيرة ( مونت  
 كريستو ) .. حيث يقدم له تقريراً عن المهمة التي اداها في  
 مارسيليا !

وبعد ان ودع " دانتيس " زملاءه " المهرين " ووزع  
 عليهم الهبات والهدايا لمناسة الإرث الذي آل إليه .. رحل

وحده إلى جنوة .. وعند وصوله كان احد اساطين بناء  
 السفن يجري تجربة " يخت " حديث صنعه لثري إنجليزي ..  
 مقابل مبلغ اربعين الف فرنك .. يمرض عليه " دانتيس " ان  
 يبيعه إياه بشئ يزيد عشرين الفا أخرى ! .. ووجد الصانع  
 ان في وسعه بناء يخت آخر مماثل قبل موعد وصول الثري  
 الإنجليزي لفسله .. فقبل ما عرضه عليه الشاب .. وعندئذ  
 فاده " دانتيس " إلى منزل تاجر يهودي حيث خلا هو إلى  
 التاجر وترد باعه خلالها عدداً من الجواهر التي حملها في  
 جيوهه .. ثم خرج فدفع إلى صاحب اليخت الثمن المتفق عليه  
 .. وطلب إليه ان يصنع خزانة سرية توضع في مخبأ غير  
 منظور في كابينة الخاصة باليخت .. فاتم الصانع المهمة  
 المطلوبة منه في اليوم التالي ..

وبعد ساعتين أبحر " دانتيس " باليخت من ميناء جنوة ..  
 بين حشد من المتفرجين الذين تجهزوا ليروا النبيل الاسباني  
 الذي يتود يخفه بنفسه ! .. وعند غروب شمس اليوم التالي  
 رسا " دانتيس " بيخته في احد خلجان جزيرة امونت كريستو  
 ولم يكذ يشرق النهار حتى عكف على نقل كنزه الضخم إلى  
 المخبأ السري الذي في كابينته .. فسرغ من مهمته قديلاً  
 الغروب !

ثم قضى " دانتيس " اسبوعاً آخر يتجول بيخته حول  
 الجزيرة - في انتظار عودة " جاكوبو " - ويدرس معالمها  
 بعينه الفارس البارح الذي يدرس مؤهلات جواده الجديد  
 الذي يعده للأشتراك في سباق حاسم !

وفي اليوم الثامن لمح سفينة " جاكوبو " الصغرى تنمو ..

الجزيرة . وحين رسا بنا صاحبها إلى جوار يفت مولاه حمل  
إليه تيجة أبحائه بصدد اليتمين اللتين عهد بيعا إليه ..  
وكانت نتيجة غير سارة : فان ه لوييس تافتي « قد مات  
.. أما مرسيديس فاختفت ولا علم أحد عنها شيئا !

أعفى الشاب إلى هذه الأبناء بهوء مبتكف . ثم قسّر نحو الشاطئ في خفة . مغرباً عن رغبته في أن يترك وحده بعض الوقت . . . وحين عاد بعد بضع ساعات أمر اثنين من بحارة " جاكوبو " بإعداد البيت للمسيح . في انجاء مرسيليا ! . . لقد كان " دانتيس " مذهباً لب موت أبيه . . . إخفاء خطيئته الغامض فلم يدرك كيف بعله !

ولم يكن في وسعه أن يزود أحداً من رجاله بطلبات راضحة بمسدد المستقبل . بغير أن يفشي سره . . غذا إلى أن بعض المعلومات التي كان يريد الوصول إليها لم تكن تصلح بطبيعتها لأن يستقصيها سواه ! وكانت المرأة عند ذلك عند وصوله إلى اليجيورن ، على أن هيئته قد تغيرت بحيث لم يعد في إمكان أحد أن يعرف حقيقة شخصيته . . هذا بالإضافة إلى كونه يملك الآن من وسائل التنكر ما يكفل اتخاذ أي اسم وانة شخصية تقع اختياره عليها .

وهكذا رسا بيخته ذات صباح جميل في ميناء مارسيليا .  
تبعه سفينة « جاكوبو » الصغرى .. واختار ليرسود  
الرصيف المواجه لذاك الذي حمل منه إلى القارب الذي ألقه  
إلى سجن قصر إيف الرعيب في تلك الليلة السوداء التي  
تسمى !

وبرغم انه كان يرتجف رجفة غير إرادية كلما وقع بحره  
على أحد وجال الشطوط . فإنه تنوع بقدرته على تمالك  
نفسه ، وكان قد تعود ذلك في أثناء معاشته للراغب الماشي  
« غاري » في السجن . فلم يبد عليه أدنى انفعال وهو قد  
إلى شريطة الميناء جواز سفره الإنجليزي الذي حصل على  
( أليجتيون ) . وبفضل ذلك الجواز الأجنبي الذي يحرره  
في فرنسا أكثر من جوازات البلاد نفسها ، استطاع أن يقرر  
أنه ليس بلا صعوبة تذكر !

وكان أول من است نفره على أرضه المياء حمار :  
مروسيه القدامى فى السفينة « فرعون » . فحطرو له أن  
يبتحن نكره بالحدث إلى الرجل .. فأنجبه إليه وراح يلقي  
عليه بعض الأسئلة المخلطة وهو يرقب معجب .  
.. حتى أصبح له بعض منه طاعة أو مشاورة .  
أنه قد رأى محدثه يوما من الأيام من قبل . . . وفى النهاية  
منحه « دانيس » قلعة من النقود جزاء له على أسبابه  
والصرف !

وكانت كل خطوة بخطوها تقبض قلبه وتثير في نفسه  
عواطف وذكريات شتى .. فلما بلغ نهاية شارع ادى نواى  
ولم يجد حارة ادى ميان ) اهتزت ركبته لغرط تأنره حتى كاد  
يسقط تحت عجلات عربة عابرة ! .. واخيرا بلغ المنزل  
الموجود الذى كان يقطعه أبوه !

كان المسكن الضيق الذي عاش فيه الاب بقرع . طالب  
الخامس . حيث يكن الآن شاب وعروس لم يضر على  
زواجهما اسبوع . ولم يكن قد خرج من مظالم المسكن الضيق .

غير جدرانها .. غالتمس الزائر رؤية المسكن .. وحس لحظ  
الزوجان عليه علانه التأثير العميق انما ان يحترم غداسته  
حزنه فلم يسأله عن سببه وملايساته وتركاه يتأمل المكان كما  
يشاء .. فلما انسحب آخر الامر من موطن ذكر انه راى  
حتى الباب ووجها اليه الدعوة كى يعود لزيارة سكان  
الوقت الذى يروقه !

وفى أثناء نزول « دانتييس » السلم توقف فى الطابق الرابع  
ليستفسر عما إذا كان « الفرزى » المدعو « كادروس » مايزال  
يقطن مسكنه القديم .. فقيل له إن الرجل قد أصيب  
بضائقة جعلته يهجر مهنته ، وأنه الآن يدبر حانة صغيرة على  
الطريق بين « بيلهارد » و « بوكير » .

ثم استفسر عن مالك المنزل ، فلما عرعه ومز ...  
للعقود فانتاعه له من مالكه باسم « اللورد ويلمور » - وهو  
الاسم المثبت فى جواز سفره الإنجليزى - مقابل مبلغ خمسة  
وعشرين ألف فرنك ، وهو مبلغ يساوى عشرة - عشرة  
قيمتها الحقيقية .. ولو طلب المالك نصف مليون من الفرتكات  
ثمنا له لحصل عليها ! .. وفى اليوم نفسه أخطر مسجل  
العقود قاطنى الطابق الخامس أن المالك الجدد يمرض  
عليهما ان يختارا أى مسكن آخر فى المنزل بالإيجار الزهيد  
نفسه ويخطيا مسكنهما الصغير !

وقد أثارت هذه القصة الغريبة اهتمام أهل الحي  
وفضولهم ، فراحوا يملأونها بشئى التعليقات . لكن تعاملوا  
واحدا منها لم يقترب من الحقيقة الخفية أو يحوم حولها !



- ٨ -

## جزاء الوفاء

لعل الذين طافوا بجنوب فرنسا . مروا خلال الطريق بين مدينة « بوكير » وقريّة « بيلجارد » بطناء صغيرة يؤرخ بها الهواء على واجبتها لافتتها المصنوعة من الصفيح . . . اشتد على إدارتها خلال السنوات السبع الأخيرة رجس وزوجته . بعاونيهما اثنان من الخدم ، أما الرجل لسان صاحبنا « الفرزي » القديم « جاسبار كادروس » . زوجته فكانت امرأة شاحبة تبدو عليها المرض . لا تكاد ترحم مخدعها في الطابق الثاني . و حين بشرت زوجها على استقبال الرواد وإجابة طلباتهم !

وفي ذات يوم رأى « كادروس » رجلا يرتدى مسوح رجل الدين السوداء ويمتطي جوادا . مقبلا من جيبه « بيلجارد » . وعلى رأسه قبعة مظلّة الأركان . . غلبا ترعر أمام باب الحانة استقبله صاحبها ، مرحبا ، فالتقى عليه القس نظرة طويلة غامضة ، ثم قال بسال في لهجة إيطالية هوية :

— أنت ميسيو « كادروس » على ما اعتقد . . . أما إ فادعى القس « بوزوني » . . هل عرفت في سنة ١٨١٤ . أو ١٨١٥ ، بحارا شابا يدعى « دانتيس » ؟

فاجابه « كادروس » وقد أحمر وجهه تحت نظرة القس الصافية الهادئة :

— « دانتيس » ؟ نعم . . لقد كان « إدمون دانتيس » من « صديقي » .

ثم استطرد بعد حين قائلا :

— أخبرني إذا سمحت أيها الأب : « ماذا جرى لإدمون التمس ؟ هل تعرفه ؟ هل هو حي مطلق السراح ؟ هل هو موثر وسعيد ؟ » .

— من إنه . . . . .

عندئذ غامت على وجه « كادروس » سحابة من لسحوب الشبهة يشحوب الموتى . ثم أدار وجهه . . . ورآه القس يمسح الدموع من عينيه بطرف التدبيل الأحمر المربوط حول رأسه . . ثم أردف :

— هل كنت تعرف الفتى « المسكين إفن » !

— لقد استدعيت لأراه على غرائس الموت ، كي أدخل على نفسه عزاء الدين . ولقد أقسم « دانتيس » في حضرة الموت أنه يجبل كل شيء عن سبب سجنه !

تغمغم « كادروس » :

— هذا صحيح . . آه يا سيدي ، إن الفتى « المسكين » . ذكر لك الحقيقة !

تقال القس :

— لهذا السبب ناشئني أن أقسم أيضا . . .

يستطيع يوما ان يحله . وان اتقى ذكرا من اية وصمه او  
شائبة تكون علق بها .

وهنا استراحت نظرات القس على وجه « كادروس »  
الذي تهست فيه كاية وانقباض شديدا . . . ثم استمر  
القس . قائلا

— لقد عرف « دانتيس » في سجنه ثريا انجليزية طمو  
سراحه في عهد الإمبراطورية الثانية ، كان يملك حصة كبيرة  
القيمة اهداها يوم خروجه من السجن إلى « دانتيس » .  
إعرايا من ابدانه و... في العنابة والخطبة القس  
اظهرهما الشاب نحوه وهو يرضه في لقاء اقداسه مرس  
خطر في سجنه . وتقدر الماسة بنحو خمسين الف فرنك .

وأخرج القس من جيبه علبة فتحتها فبهرت الماسة القس  
في داخلها عيني « كادروس » ، الذي سألته ملهوقا

— ولكن كيف وصلت الماسة إلى حيازتك يا سيدي « كل  
أوتسي لك » « إيتوي » « ندا »

نقال القس :

— كلا . . . بل جعلني منفذا لوصيته ، وقد ذكر لي  
كان يوما له أربعة أصدقاء أوفياء ، إلى جانب العذر . في  
كان خطيبها . وقد شمر بانهم جميعا تألوا لقيامه أشد الأكم  
.. اهدهم يدعى « كادروس » ..

وهنا ارتجف صاحب الحانة لذكر اسمه . . في حس  
استطرد محدثه يروي على لسان « دانتيس » . يتظاهر به  
لا لاحظ ارتباك « كادروس » :





ولا ضرر من مزاحهما البهجة . . ومع ذلك فإن وخر التسمير  
يعطاردنى ليل نهار !

— لقد اشرت إلى شخص يدعى مسيو ٥ موريل ٥ ٥ ٥  
يكون ؟

— إنه صاحب السفينة ( قيرغون ) ورئيس " دانتييس " .  
معد توسط من أجله عشرين مرة . وحين عاد الإمبراطور إلى  
فرنسا طالبه بالبقاء في السجن بدل إخلاء جثث القوم  
بضمليهم . فيما بعد باعتباره من انصار بوناپرت . . .  
وقد ذهب لزيارة والد " دانتييس " عشر مرات . ودعا كي  
يزوره في بيته . وقبل وفاة الرجل بيوم أو اثنين ترك مسيو  
■ موريل « كيس نقوده فوق رف المشاة . فدخلت منه ديون  
الميت وانفتحت على دفنه بالخضر اللائق . وهكذا مات وتبد  
« إدمون » ، كما عاش ، دون أن يؤدي أحدا . وما زلت  
أحتفظ بكيس النقود المذكور . إنه كبير . ومنسوخ من الحبر  
الأحمر !

— وهل ما برال مسبو " موريل " على قيد الحياة ؟ لا ريب  
انه الآن نرى سعيد ؟

فابتسم ■ كادروسى " فى مرارة . واجاب :

— إنه في أسوأ حال . يكاد يشرف على الإفلاس والدمار بعد خمس وعشرين سنة من العمل المتواصل الذي أكسبه أحسن سمعة في دوائر مارشليا الفجارية . لقد فقد الرجل جميع سفن في مدى عامين . وخمس أعواك طائلة بسبب

إفلاس ثلاثة من البيوت الملهة الكبرى . والأبنات أمه  
الوحيد معلقا على وصول السفينة " فرعون " سالمه وهى  
السفينة التى كان " دانيسى " المكين رهاها . ويتنظر  
وصولها من جزر الهند حاملة شحنة من النيلة ودود القز ..  
.. عرفت هذه السفينة مثل سابقتها فعلى الرجل السلام !  
.. إن له زوجة كانت تصرفاتها بورغم كل الظروف أشبه  
بتصرفات الملائكة .. كما أن له ابنة كانت على وشك الزواج  
من الشاب الذى نحبه لكن أسرته سوف تحول الآن دون  
زواجه من ابنة تاجر غنى .. وله بنت ابن دعى  
" مكسيميان " يعمل ملازما فى الجيش .. وهناك ابن آخر - كل  
ذلك يزيد فى أحزانه وأحجانه . فلو كان وحدا فى الدنيا لصرخ  
بصاحبة فى رأسه واستراح ..

— هذا عظيم !

— وهكذا تكافئ السماء الفضيلة يا سيدي .. غانا الذي  
 لم يفعل يوما شرا — عدا الذي ذكرت لك قصته — اعانى  
 ضائقة شديدة . وزوجتى تموت من الحمى أمام عيني . وأنا  
 عاجز عن أن اصنع شيئا من أجلها . انى سوف اموت جوعا  
 كما مات والد « دافنيس » . على حين يتمرع « دانجلر وقرئانه »  
 في الشراء الفاخشة .. لقد جلبت عليهما افعالهما الحظ الحسن  
 في حين اماب الشقاء والبؤس الرجال الشرفاء .. !

— وماذا صار من امر « دانجلر » المتأمر الأول كما تقول ؟

— لقد غادر مارسيليا على اثر  
حيث عين — بواسطة " موريل "

جريمته - صرافا في بنك اسباني . وخلال الحرب مع اسبانيا استخدم في توميسرية الجيش الفرنسي حيث جمع ثروة . ثم ضارب بيا في البورصة فضاعفها ثلاث او اربع مرات ، وقد تزوج اولا ابنة صاحب البنك الذي كان يعمل فيه ، لكنها ماتت . فتزوج للمرة الثانية من ارملة تدعى بدم « دي نارجون » . هي ابنة مسيو « دي سرفيو » . . . . .  
الملك « انه » ملبومير وقد اتمعوا عليه بلقب « بارون » . . .  
نصار يدعى « البارون دانجلر » . . وهو يقطن قصرًا فاخر في شارع « مون بلون » به حظيرة تضم عشرة جياد ، وسد من الخشب . أما بلايبه التي في البنك فليست اعرف عددها . .

— « وفرناند » ؟

— إن له قصة مشابهة . . فعلى اثر عودة الإمبراطور جند للجيش . كما جندت أنا أيضا ، لكنني كنت اكرمه سنة ، ومنزوجة حينها من زوجتي المسكينة ، فارتلت إلى الساحل . . أما هو فقد انضم إلى الجيش العامل ومضى مع فرقته إلى الجبهة حيث اشترك في معركة « البني » وفي الليلة التالية للمعركة عيّد إليه في الوقوف (ديديانا) أمام باب جنرال كان على اتصال سرى بالأعداء . . وفي تلك الليلة كان على الجنرال أن يذهب إلى خطوط الإنجليز ، فعرض على « فرناند » أن يرافقه . . فوافق هذا ، وهجر مركز «رامسة» وتبع الجنرال . . . . . ولو بقي « نابليون » على عرشه لحوكم « فرناند » أمام مجلس عسكري ، لكن بلاط الملك كلفاء على فعلته . . . وهكذا عاد إلى فرنسا برتبة صف ضابط ، ويقض

عطف الجنرال ووساطته رقى إلى بوربانشي في سنة ١٨٢٢ ، خلال الحرب الأسبانية . . أي في الوقت الذي قاهر فيه «دانجلر» ببطارباته الأولى . ولما كان « فرناند » من اصل اسباني فقد ارسل إلى اسبانيا ليعمل على تجهيزه شعور مواطنيه ، وهنا التقى « دانجلر » وقولدت بينهما صلوات . . وما لبث أن ظفر بمعاونة الملكيين في العاصمة ، وادى من الخدمات خلال تلك الحلة القصيرة ما تجت عنه تربيته عقب معركة «تروكاديرو» إلى رتبة اميرالاي ومنحه لقب كونت . وبعده الضابط « فرقة الشرف » لحضور « زيمر » .

تقبضه القس . . . . .

— « فرناند » ؟

واستطرد « كاندروس » :

— عند صحبه ، ولكن اسمع القصة : فعند انتهاء الحرب الأسبانية تفر مستقبل « فرناند » ومصالحه بالسلام الطويل الذي بدا أنه يسود أوروبا ، ولم يعكره غير إقدام اليونان على شن الحرب ضد تركيا . من أجل استقلالها . . وعندئذ استدارت العيون جميعا نحو أثينا ، حتى صار شعار العصر كله الإشتياق على اليونانيين وتعصيدهم . . ومن هنا سمحت حكومة فرنسا بتأليف جيش من المتطوعين لنصرة جارتها . دون أن تتولى ذلك التعضيد رسميا . . فسمى « فرناند » حتى حصل على إذن بالسفر للخدمة في اليونان ، وكان اسمه ما يزال مدرجا في سجلات الجيش . وبعد فترة من الزمن أعلن أن الكونت « دي مورس » قد تم إعدامه .



الاسم الذى صار يعرف به — قد التحق بخدمة الوالى  
الالبانى « على باشا » فى درجة « مشير عام » .. وقد  
قتل « على باشا » .. لكنه قبل ان يموت رأى ان يكتب  
« فرناند » على خدماته بان يترك له مبلغا من المال عاد به هذا  
إلى فرنسا . حيث رقى إلى رتبة لواء .. وهو الآن يملك  
قصورا فاخرا — رقم ٢٧ شارع « دى هيلدر » بباريس !  
فتح القس فيه دهشة . وتردد لحظة ، ثم عد جريدا  
كبيرا كي يمالك نفسه . واخيرا قال :

— و « مرسيديس » ؟ ماذا كان مصيرها ؟ يقولون إنها  
اختفت !

فاجاب « كادروس » :

— « مرسيديس » اليوم من أسعد نساء باريس ! .. لقد  
أصبحت عقيب اعتقال « دانتيس » بقوة من اليأس البسيع  
كادت تقضى عليها .. وكما استطعت المحقق مـيـو  
« دى فيلفور » .. ولكن بلا جدوى ! .. وأخيرا جعلت معها  
أن تعنى بالشيوخ المهتم والد « إدمون » . وفى غمرة ينسبها  
أسبابا مكروه جديد . هو رحيل « فرناند » إلى الحرب . ولم  
تكن قد عرفت بدور « فرناند » فى اعتقال حبيبها . إدمون ..  
والجريمة التى اقترن بها نحوه ! .. فلما ذهب بدوره « حسنت  
إنها فقدت أخاها بعد خطيبها ، وبقيت وحيدة ! .. وانتفضت  
ثلاثة أشهر بدون أن تتلقى أى نبأ من « إدمون » .. أو من  
« فرناند » ، فصار البكاء ملاذها الوحيد .. لم تبق لها  
غير رفقة شيخ مخدم يقتله اليأس قتلا بطيئا ! .. وذات مساء

سمعت خطوات أدركت أنها خطوات « فرناند » .. وظاهر  
هذا أماليا بسفرة صف الضابط . لم يكن هو حبيبها المنشود  
« دانتيس » .. لكنها أحست كان جانبها من حياتها الماضية  
قد رد إليها .. لقد ملك آخر قلبها ، لكن هذا الآخر — إدمون  
دانتيس — غائب . مختلف . ولعله قد مات ! .. ولدى هذه  
الفكرة الأخيرة كانت « مرسيديس » تنخرط فى البكاء . وقسم  
بديها فى لوعة وضراعة .. لكن الخاطر الذى طالما استبشعته  
من قبل . حين كان يقترحها عليها أحد . غرض نفسه الآن من  
تلقاء ذاته على ذهنها .. وفى الوقت عينه كان « دانتيس »  
الشيخ لا يفتأ يقول لها : « مات حبيبنا « إدمون » .. وإلا  
ماد إلينا ! .. ولكن لو عاش الشيخ لما صارت  
« مرسيديس » زوجة لآخر ، غير ابنه .. فإنه لم يكن ليكف  
عن تأنيبها وتحذيرها من الخيانة .. وقد أدرك « فرناند »  
ذلك ، فلما سمع بوفاة الرجل ، عاد — وكان قد صار  
ملازما — وفى الزيارة الأولى لم يتفوه بحرف « لمرسيديس »  
عن حبه إياها .. وفى الثانية ذكرها بأنه يحبها .. فطلبت  
إليه أن ينتظر ستة أشهر أخرى تحزن خلالها على « إدمون »  
وترتدى السواد !

فقال الأب « بورونى » وهو يتقسم ابتسامة مريرة :

— إذن فقد أخلصت لحبيبها ثمانية عشر شهرا فى الجبلة .  
فقيم بطبع أكثر من ذلك أعظم العشاق ولها وهماها .. ثم  
ردد مغمغما كلمات الشاعر الإنجليزي :  
.. يا وهن المزيمة .. إن اسمك : المرأة ! ..

— إنني من الذكاء بحيث كتبت نفسها حسب مركز زوجها  
وغيرها . تعلمت الرسم . والموسيقى . وكل شيء . واعتقد  
أنها فعلت ذلك كي تشغل نفسها عن التفكير في حبيبها القديم  
تشي المخفي . لقد ملأت نفسها كي تخفف العبء الذي يقبل  
عليها . وهي الآن غارقة في الفراء والمجد والألقاب . لكنها  
نفسا اعتقد غير سعيدة !

— وما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

— عندما استدعت بي الضائقة فكرت في أن الجنا إلى  
الصدائي القدامى . لتعلم مساعدوني . فذهبت إلى  
« أنجلار » . ولكنه أبى أن يستقبلني . ثم ذهبت إلى  
« مرسيدس » . فمرسل إلى مائة غرنك مع خادمه . وفيها إذا  
بها سقطت عند قدمي كيس نقود يحوي خمسة وعشرين  
جنيها إنجليزية . فركعت راسي نحو مصفوه بسرعة . وإذا  
بـ « رابت » « مرسيدس » في المفاجأة . لكنها سارعت إلى  
إغلاقه !

— و« ميسو » دي بيلفور ؟ لا هل تعلم ما صار إليه . .  
وينسيه في المأساة التي حلت « بإدمون » ؟

— كلا . كل ما أعلمه عنه أنه بعد اعتقال « إدمون » بزم  
وجيز تزوج من الأنسة « دي سان ميران » ثم غادر مرسيليا  
على الأثر . ولا شك أنه كان محظوظا مثل الآخرين . . وهكذا  
م يبق فقيرا تمسا منسيا سواي !

— أنت مخطيء يا صديقي . . قد يبدو أحيانا كأن الله ينسى  
أن ينصف المظلوم فترة من الوقت . لكن الله لا ينسى . .  
ولا تهمل . وإليك الدليل !

واستطرد « كادروس » :

— وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ تم زفافها إلى  
« فرناند » في كنيسة أكلوا :

فغفم الكاهن :

— الكنيسة ذاتها التي كان سيعقد فيها زواجها من  
« إدمون » ! . . لم يطرأ غير تغيير في شخص الزوج !

واستأنف « كادروس » حديثه :

— وهكذا تزوجت « مرسيدس » لكنها كادت يغمى عليها  
وهي ترم أمم حانة « لاريزوفا » حيث احتفل قبل عام  
وتنصف عام بخطبتها إلى ذلك الذي لو أمعت النظر الآن في  
أعناق قلبها لأدركت أنها ما تزال تحبه ! . . وفي حمى « زرع  
« فرناند » من عودة « دانتيس » ، حرص على الابتعاد بنفسه  
وبزوجته عن المدينة . فلم تنقش عشرة أيام على الزواج  
حتى غادرا مرسيليا !

— وهل لم تر « مرسيدس » بعد ذلك ؟

— بل لقد رايتهما ، خلال الحرب الأسبانية ، في أربرج .  
حيث كان « فرناند » قد تركها تعنى بتربية ولدها .  
— أبنا . . ؟

— نعم . . « البوت » الصغير !

— ولكن ، كي تستطيع تثقيف أبنا لا بد أن تكون هي على  
قدر من الثقافة . وقد فهمت من « إدمون » أنها ابنة صبيد  
بسيط . . جبيلة ولكن ليست متعلمة !

وأخرج القى من جيبه العلبة التى تحوى الماسة الثمينة  
وأعطاهما للرجل ، قائلا :

— إليك يا صديقى . خذ هذه الماسة . ففى لك !

فصاح « كادروس » :

— ماذا ؟ . لى انا وحدى ؟! .. بريك لا تسخر منى  
يا سيدى !

— كان المفروض أن يقدم لمن عذه الماسة بين أصدقاء  
" إدمون " جميعا .. ولكن لم يكن له فى الحقيقة غير صديق  
واحد . وإذن فلا داعى لتجزئتها . خذ الماسة إذن وبعها .  
إنها تساوى خمسين ألف فرنك ، وأرجو أن يكفى هذا المبلغ  
لأنقاذك من خائفتك !

فقال « كادروس » وهو يمد إحدى يديه فى خجل لبأخذ  
الماسة ، ويجفف العرق المتصبب على جبينه باليد الأخرى :

— سيدى .. لا تسخر من سعادة إنسان أو شقائه !

— إننى أعلم ما هى السعادة وكيف يكون الشقاء .  
وحاشاى أن أسخر من عواطف الناس ومشاغهم .. خذ  
الماسة إذن .. وأعطنى فى مقابلها كيس النقود الحربرى  
الأخضر الذى تركه مسيو « موريل » فوق رف مدفأة  
« دانتيس » الأب : والذي تقول إنه فى حيازتك !

— ٩ —

## عادة الكرنفال

فى أواخر سنة ١٨٢٧ وصل إلى روما لحضور « كرنفالها »  
الكبير شابان ينتميان إلى مجتمعات باريس الرفيعة . هما :  
« فيكونت » « الفرت دى مورسيف » و« البارون » « غرانز  
ديبينى » .

وكان الجناح الذى أقاما به فى الفندق مؤلفا من حجرتين  
صغيرتين وورده . أما بقية الطابق الفسيح الذى به هذا  
الجناح فكان يشغله ثرى من نبلاء صقلية أو مالطة يدعى  
« الكونت » « دى مونت كريستو » .

وأوصى الشابان الشهور « ياستورنى » صاحب الفندق  
أن يبحث لهما عن عربة تكون تحت تصرفها فى أثناء احتفالات  
« الكرنفال » .. لكنه عجز عن العثور على العربة المطلوبة ،  
من غرط ازدحام المدينة بالسائحين .. وفى اليوم التالى عاد  
إليهما الرجل يقول : « إن الكونت » « دى مونت كريستو »  
بعرض عليكما مكانا فى عريقته ومقعدتين فى نافذته بقصر  
( روسبولى ) كى تشاهدا منيا الاحتفال ! » .

ثم قادهما إلى جناح الكونت . ودق الجرس ، فظهر خادم  
دعاهما إلى الدخول وأجلسهما فى حجرة استقبال مآخرة  
حافلة بالرياش والطنائس . والسجاد التركى اللعين  
والأرائك المريحة والمقاعد الوثيرة والتمسك والتمسك

الشمينة .. وظهر خلفها الكونت صاحب كل هذا الثراء ..  
وكان برغم شحوبه ذا وجه وسيم وعينين نفلنتين برأقتين ،  
وانف مستقيم ، واسنان بيضاء ناصعة كاللؤلؤ ، يعلوها  
شارب أسود فاحم يزيدا جبالا .. اما قامته فكانت مقومطة  
الطول متناسبة التكوين .. وكانت يداه صغيرتين . وقدماه  
صغيرتين ايضا شأن اهل الجنوب .

وابندر الكونت « دى مونت كريستو » ضيقه قائلا :

— أرجو أن تغفرا لى دموثكا إلى زيارتى أولا ، فقد  
خشيت أن أزعجها لو سبقت إلى زيارتها !

لم قال الكونت وهو يشير إلى الشابين كى يجلسا :

— الواقع أن ذلك الغبى « باستريفى » هو المسئول عن  
عدم مبادرتى إلى ذلك قبل هذه الساعة ، فهو لم يشر بكلمة  
إلى جيتكا قبل اليوم ، فى حين أنه يعلم مبلغ ترحيبى — فى  
وحدتى وعزلى — بانتهاز كل فرصة للتعارف مع جيرانى  
.. والآن أرجو أن نشرغافى بتناول الإفطار معى !

فقال « البرت » :

— إننا يا سيدى الكونت لنشكر لك كرمك واربحتك ونرجو  
الآن نكون قد اثقلنا عليك !

فقال الكونت « دى مونت كريستو » :

— كلا ! بل إنكما سوف تدخلان الدور على قلعة  
ولملى اتشرف يوما بزيارتكما فى باريس !



ثم تطور الحديث بعد حين إلى حكم بإعدام اثنين من زعماء العصابات كان مزعما تنفيذه في ذلك اليوم . فغاض الكونت في الحديث عن هذا الموضوع . حتى قال له « غرانز » :

— يلوح لى يا سيدى الكونت أنك درست مختلف العقوبات وأساليب التعذيب عند كل شعوب العالم !

فاجاب الكونت في برود :

— بل هناك وسائل معدودة منها لم اشاهدها !

فسأله « غرانز » :

— هل تجد مقعة في مشاهدة هذه المناظر البشعة ؟

فاجاب الكونت بقوله :

— كنت أول الأمر أرتاع لمشاهدتها ، ثم صرت أفسح إزائها بعدم المبالاة . وأخيرا صار الفضول هو الذى يدفعنى إلى مشاهدتها !

وهنا غفم « ألبرت » قائلا :

— الفضول .. يالها من كلمة رهيبة !

فالتفت إليه الكونت وقال :

— إن شغلنا الشاغل في الحياة هو الموت . وليس عجب أن يشتد بنا الفضول لدراسة مختلف الوسائل التى تؤدى إلى فصل الروح عن الجسد . أو التى يقابل بها مختلف الناس انتقالهم من الحياة إلى الموت . ومن الوجود إلى العدم ، تبعا لاختلاف شخصياتهم وطباعهم وعادات بلادهم المختلفة ! .. وإننى لأؤكد لك أنك كلما رأيت عددا أكبر من

الناس يموتون ، سئيل عليك أن تواجه الموت .. وفي اعتقادى أن الموت قد يكون عذابا ، لكنه ليس تكفيرا ! » .

فقال « غرانز » مأخوذا :

— لست أفهم ما تعنيه تماما يا سيدى الكونت ، فهل لك أن توضحه لى ؟ .. إنك تثير فضولى إلى أقصى حد !

فاجابه الكونت وقد بدت في وجهه أمارات الاستياء العميق :

— سأوضح لك الأمر بمثل أضربه لك : فافرض أن إنسانا قضى على حياة أبك أو أمك أو خطيبك أو أى عزيز لديك . ليس فعده يترك جرحا لا يندمل في صدره . وما يزال حرك عليه يزررك ويعذبك ما حييت ؟ .. إن القصاص الذى يأخذ به المجتمع ذلك القاتل بفصل رأسه عن جسده بالمقصلة في ثوان معدودات ، لا يمكن أن ينسبك العذاب النفسى الذى تقاسمه بسبب الجريمة التى اقترعها ، في حين أنه هو لا يقاسى مثل ذلك العذاب إلا بعض الوقت . ريثما يؤخذ إلى المقصلة حيث يتالم جسمه بضغ ثوان ، ثم ينهى كل شيء بالنفسيه له !

فقال « غرانز » :

— نعم .. إن العدالة البشرية لا تكفى لتعزيتنا ، وكل ما نفعله أيتها نفسك دما مقابل دم .. لكن لا ينبغي لنا أن نطالبها بما ليس في طاقتها !

— دعنى أعرض عليك مثلا آخر : فافرض أن إنسانا لا يعلم المجهنم . أو

من غير ان يكفل له المجتمع الوسائل الكافية للانتقام . . .  
وهناك جرائم لا يعاقب عليها المجتمع . في حين ان عقابهم  
يجب ان يكون اشد من ( خوازيق ) الاتراك ، و ( بريمة )  
الفرس . ووشم الهنود بالنار ! . . الا تقع هذه الجرائم كل  
يوم ؟

— نعم : إنها تقع بلا ريب . . ولعل المبارزة ما شرعت  
إلا لتكون وسيلة يلجأ إليها المعتدى عليه للانتقام من المعتدى !

— كلا يا سيدى . . ليس هو الانتقام المنشود . . غانا  
الرجاء إلى المبارزة في الأمور النافذة . وغالبا لا ينجو حصص  
من الموت بفضل براعتي في أنواع الرياضة البدنية ، وعمودي  
الاستهانة بالأخطار . . اما الانتقام بمعنى التعذيب البطيء  
العبيق المستمر ، فمن رأيي ان يتبع المرء فيه القاعدة القديمة  
« العين بالعين والسن بالسن » ، كما يقول الشرقيون —  
استأذنا في كل شيء — أولئك المحظوظون الذين رسموا  
لأنفسهم حياة من الأحلام وجنة من الحقائق !

— لكنك تبعنا لهذه النظرية التي نجعل نفسك بها قاضيا  
وجلادا في قضيتك الشخصية ، يكون من العسير ان تنجو  
دائما من الوقوع تحت طائلة القانون . . فالكراهية العنيفة  
والحدق يحلانك على ان تركيب الصعب من الأمور : ومن  
يسكب الانتقام في كتوس الآخرين يعرض نفسه لخطر الشر  
من كأس امر !

— هذا صحيح إذا كان المرء غفيرا وغير مجرب . . لا غنى  
حافيا . . ثم إن أسوأ ما قد يصيبه لن يخرج عن حد العقاب

السريع السهل الذى تحدثنا عنه . والذى اتخذته السورة  
الفرنسية الرحمة بدلا من التمزيق تحت سنانك الجياد  
او العجلات . وما انفك هذا العقاب ما دام الشخص قد  
انتقم لنفسه ؟!

\*\*\*

— وفي هذه اللحظة سمعت دقات الأجراس في كنيسة  
" مونتى سينوريو " ولم تكن تدق إلا عند وفاة البابا او افتتاح  
الكرسفال . فقال الكونت :

— لقد بدأ الاحتفال : ويحسن ان نسارع إلى ارتداء ثياب  
التنكر الخاصة به . .

ثم أشار إلى ازياء كثيرة اثيقة من حرير الساتان كانت  
متراكمة على بعض المقاعد . ليختاروا من بينها ما يشاءون .  
وحين فرغ ثلاثتهم من هذه المهمة ، هبطوا إلى حيث كانت  
العربة في انتظارهم . . فدرجت بهم في شوارع المدينة الحافلة  
ببوابك المبرجين وعربات الزهور وجموع المتنكرين في اغرب  
الازياء والأقنعة . وكلهم يضحون ويتصايحون ويتساذفون  
كرت الورق الملون والبيض المحشو بالدقيق !

وحين بلغت العربة ثاقي منعطف في الطريق . اثار  
الكونت إلى الحودى بالوقوف . واستاذن ضيعبه في الإنصراف  
قالا : « حين تيلان الاشتراك في التثليل ولا تبغيان ان تصيرا  
متعرجين . يمكنكما الحضور إلى حيث حجزت لكما مكانا في  
نوافذى . . وفي انتظار ذلك اترك العربة والحودى والخدم  
من إشارتكما ! » .

ف شكر ، برانز « الكونت على كرمه واهتمامه ، في حين  
انثفل « البرت » باللقاء الزهر والورق الملون على عربة  
علاى بالمفكرين في رى فلاحى الرومان .. ثم تابعت عربته  
والعربة الأخرى سيرهما في اتجاهين متضادين - ففتقد  
الشباب مختصرا وقال لصديقه : « إنك لم تريا غرانز ركب  
تلك العربة . لست أشك في أنهم جميعا من النساء الغائبات  
المشكوكات في رى الفلاحين ! فعسى ألا ينهى الكريغال مسهل  
أن نقاي لنا عربة ثنتين مرة أخرى ! » .

والى ذلك ربه . فقد سقطت العربة من بعد قليل في حشد  
الزهر . فالتفت إحدى السيدات المنحدرات بالقد من راس  
« السبع على مرسيهما . فلمعها « البرت » بيده .. وعلمت  
وعند « برانز » صديقه الماخن بين يفتع هو في اليوم التالي  
من عده الكريغال من النافذة وترك له العربة يتابع مساه  
مازلاته .

وفي المساء تلقى « غرانز » رسالة مكتوبة بخط « البرت » ..  
فقرأها مرتين إمعان قبل أن يغيب مدلولها . وكان نصها :  
« يا صديقى العزيز ..

في اللحظة التي تصل فيها هذه الرسالة إليك . أرجو  
أن تذكر . سأخذ دفتر الشيكات الذي يخصني من درج المكتب  
الصغير « الوحد في حجرة نومى . ثم أنصف إلى محتوياته كل  
ما تملك من مال .. وتجرع إلى بنك « تورلونيا » لتسحب منه  
المبلغ مورد وتسلمها لحامل هذا التذكرة .. والتي سأستد



عليك فى إمدادى بلا إبطاء بالمال المطلوب لسبب غايية فى  
الاهمية ! » .

وكانت هناك تحت هذه الأسطر ، ملاحظة بخط البرت  
نفسه يقول فيها :

« لقد آمنت الآن بالعصابات الإيطالية ! » .

كما كانت هناك عبارة أخرى كتبت تحت هذه الملاحظة  
بخط مغاير ، ونصها : « إذا لم يصل إلى مبلغ أربعة آلاف  
الليرة قبل الساعة السادسة صباحا ، فلن تحل الساعة  
السابعة حتى يكون الفيكونت « البرت » قد غارق الحياة ! » .  
« لويجى نابيا »

وقال « فرانتز » محدثا نفسه :

« إذن فقد وقع « البرت » فى يد عصابة من اللصوص  
الخطيرين ! .. ليس فى الوقت متسع يمكن إضاعته ! .. »

ثم نهض مسرعا لفتح درج المكتب الصغير حيث وجد  
دفتر شيكات « البرت » وكان الحساب المقيد فيه يدل على  
أن كل ما بقي من رصيده فى البنك ثلاثة آلاف ليرة !

ولم يكن « فرانتز » حساب فى البنك لأنه كان يعيش فى  
( فلورنسا ) ، وقد حضر إلى روما ليقضى سبعة أيام أو  
ثمانية ، ولم يبق من المبلغ الذى أحضره معه إلا حوالى  
ثلاثمائة ليرة . فى حين كان عليه لى يتم قيمة القديبة  
الطلوبة أن يحصل على ألف ليرة !

وهنا تفكر « فرانتز » صديقيها الكونت « دى مونت  
كريستو » . « فيرج إليه .. ووجدته فى حجرة صغيرة تحف بها  
أرائك الوفيرة ، غابتدرة الكونت سائلا :

« آية ربح طيبة حدثك إلى هنا فى هذه الساعة لا هل  
انيت لتتناول العشاء معى ؟ إن هذا يكون كرما منك !

فاجاب الشاب :

« بل جئت لاتحدث إليك فى مسألة خطيرة !

ثم قدم له خطاب « البرت » ، فلما فرغ الكونت من قراءته  
قال بسال « فرانتز » :

« أرى أب اذهب بنفسى للبحث عن « غاييا » هذا . فهل  
ترافقنى ؟ . إنها ليلة رائعة الطقس تحلو فيها النزهة خارج  
المدينة .. أين الرجل الذى أحضر الرسالة ؟

فقال « فرانتز » :

« إنه ينتظر فى الشارع !

فمضى الكونت إلى النافذة وأرسل من غمه صفيرا خاصا  
غرميا . وسرعان ما برز من جوار الحائط رجل يرتدى عباءة  
وخرج إلى عرض الطريق ، فقال له الكونت بلهجة من يخاطب  
خادما :

« اصعد !

« فاطاعه الرسول فورا فى خضوع . ولم تمض دقائق  
حتى كان يطرق باب الحجرة .. فقال له الكونت :



— أهذا أنت « يابيتو » ؟

لكن « بيتو » بدلا من ان يجيبه ارتمى على ركبته عسك  
تدمر الكونت وتناول يده بعمره بالقلات . فقال له  
الكونت :

— آه ، إذن فأنت لم تنس أنني انقذت حياتك . . . هذا  
غريب ، مع انه قد انقضى على الحادث أسبوع !

وتتم الرجل في خضوع :

— لن أنسى ذلك ما حييت يا صاحب الفخامة !

ثم سأل الكونت :

— كيف وقع « الكونت » البرت « في يد « لويجي »  
تأجاب : « إن عربة السيد الفرنسي مرت أكثر من مرة  
بمحاذاة العربة التي كانت فيها « تيريزا » عشيقته الزعيم . . .  
وقد طلب منها الفرنسي موعدا لمقابلته « فضربت له الموعد  
في المكان الذي حلفه عوبته إليه . حيث كانت تنتظره ومعها  
« لويجي » في سراديب مقابر « سانت سباستيان » :

التفت الكونت إلى « فرانز » وقال له :

— إنيا قصة شائقة . ولو لم تجدني هنا لكنت الغام .  
صديقك ثينا غالبا . . أما الآن غلثشي بأن الاتسراج همو  
الخشارة الوحيدة التي ستصيب « البرت » . هل تعرف مكان  
سراديب « سانت سباستيان » ؟



نقال « غرائز » :

— لم أزرها قط ، لكنى كنت اعترم ذلك منذ زمن !

نقال الكونت :

— حسنا ، ها هي ذى الفرصة قد وانتك ، ومن العسير

ان نتاح لك فرصة أفضل !

ثم دق الكونت الجرس طالبا إعداد عربته ، وبعد دقائق كانت تجتاز به وضيفه طريق « إيبان » القديم .. وقبل ان تصل إلى حمامات « كاراكالا » توقفت ، وهبط منها الرجلان وسارا حتى بلغا منفذا ضيقا يقع خلف أجمة صغيرة تحيط بها الصخور . ومرت « بيبينو » من ذلك المنفذ أولا ثم تبعه الآخران .. وبعد ان سار الثلاثة خطوات اتسع الممر وسرعان ما وجدوا أنفسهم امام سرداب عدة قهبطوا سرديابا منها لا يكاد البصر يجد نهايته ، وتتخلله أشعة من الضوء . ومنه تقدموا نحو حجرة كبيرة مرممة يضيئها مصباح ويجلس فيها رجل بقرا وظهره إلى المدخل الذى وقف فيه الزائرون يتأملون المنظر .

كان الرجل هو « لويجى غامبا » زعيم العصاة ، وحوله عشرون لصا وقاطع طريق أو أكثر جلسوا مستدين ظهورهم إلى مقاعد حجرية وأمام كل منهم غدارته ، فى متناول يده .. فلما دخل الكونت نهض « غامبا » مسرعا ، وفى لحظة كانت عشرون غدارة مشهورة فى وجه الزائرين !

نقال الكونت بصوت هادى صاف ، دون ان تختلج عقله فى وجهه .

— يبدو أيها العزيز « غامبا » أنك تستقبل الاسدقاء بتدبر كبير من الحفاوة !

نصاح الزعيم برجاله وهو يشير بيده إشارة أمره :  
— اخفضوا اسلحتكم !

فى حين خلع باليد الأخرى قبعته احتراماً ثم استدار نحو ضيفه ، قائلا :

— عفوك يا صاحب القمامة . كنت أبعد ما اكون عن اوقع شرف زبارة منك . بحيث لم اعرفك اول الامر !

فأجاب الكونت :

— يبدو ان ذاكرتك ضعيفة فى كل شيء « يا غامبا » بل إنك لا تنسى وجوه الناس فقط ، ولكن تنسى الشروط التى تنفق معهم عليها ايضا ..! ألم تنفق على ان تحترم — فضلا عن شخصى — جميع أصدقائى ؟ .. إذن لم اختطفت اللبلة العيكونت « ألبرت دى مورسبرف » وأحضرتة إلى هنا . مع أنه من أصدقائى ؟ ..!

نقال زعيم العمالة وهو يستدير نحو رجاله الذين تراجعوا أمام منظرته :

— لماذا لم تفكروا لى ذلك أيها الاوغاد ؟ لقد جعلتمونى أحنث بمهذى مع رجل مثل الكونت ، ملك أرواحنا جميعا فى قبضته !

ثم استمر « غامبا » مشيراً نحو نفرة بحرسها واحد من رجاله :

« السجين يوجد هنا . وسأذهب بنفسى لأخبره .  
مطلق السراح ، تفضل بالدخول يا صاحب المظلمة ! »

وصعد الكونت و « فرانز » فى اثر الزعيم بشع درجات .  
ثم فتح « غامبا » أحد الأبواب .. فإذا « ألبرت » مستنداً  
بمعطف كان أحد اللصوص قد أعاده إياه . وقد رعد فى ركن  
من الحجرة المظلمة .. غلبس « غامبا » كتفه ، قائلاً :

« أنت مطلق السراح يا سيدى ! »

وإذ ذاك نظر « ألبرت » حوله فرأى « فرانز » وهتف  
به :

« أهذا أنت يا عزيزى « فرانز » ؟ لقد أظهرت المحنة  
صدق محبتك وصدقتك ! »

فأجابه « فرانز » :

« كلا لست أنا صاحب الفضل . بل هو جارنا الكونت  
« دى مونت كريستو » ! »

نقال « ألبرت » فى مرج :

« أوه يا عزيزى الكونت . هذا عطف كبير منك . وأرجو  
أن تعتبرنى مديناً لك مدى الحياة .. إن والدى الكونت  
« دى مورسيف » - وإن كان من أصل إسباني - أنه  
نفوذ كبير فى بلاط فرنسا ومديريه .. وإنى أبادر فأصعب

« بد تردد - خدمانى وخدمات كن من تعد حيلان عالية  
فى نظرهم . تحت تصرفك ! »

فأجاب الكونت :

« يا ميسو « دى مورسيف » ، إنى أقبل ما تعرضه على  
يمثل روح الإخلاص القلبى التى أملتة .. بل إنى سأخطو  
خطوة إيجابية فأمارك بانى كنت قد اعترمت من قبل أن  
أسالك معروفا عظيماً ! »

نقال « ألبرت » فى حياصة :

« إنى رهن إشارتك يا سيدى ! »

ومضى الكونت فقال :

« إنى غريب عن باريس تماماً » فهى مدينة لم أرها قط .  
ولما كنت لا أعرف فيها أحداً يقدرنى لمجتمعاتها الرفيعة .  
ويشجع لى أن أقف على مفائدها ومجاليها . فإنى أرى غمداً  
تعرضه على ما يخلل جميع الصعوبات . فخل أستطيع أن  
أعتمد عليك كى تفتح لى عند وصولى إلى باريس أبواب  
عالم الطيقات الرفيعة فيها ؟ .. إننى لا أعرف عن شخصياتها  
أكثر مما أعرف عن أهل الصين ؟ »

« إنه ليسرنى أن أؤدى لك هذه الخدمة مرحباً ، وسوف  
يعتبرنى على القيام بها خطاب التوصية الذى أحمله من أبى إلى  
أصدقائه الكبار فى باريس ! »

« وأنا سأمنحك مجلة ثلاثة أشهر . الحق بك فى نيابتي .  
فمن عادى أن أحسب دائماً حساب شئى المأقيل والمنت

.. فهل نتفق على موعد محدد ، من حيث اليوم والساعة ؟ ..  
إننى لضرب الأمثال في دقة مواعيدي !

ومد الكونت يده نحو تقويم على الحائط ، قائلا :

— اليوم ٢١ فبراير .. ثم أخرج ساعته من جيبه وأردف :  
قائلا :

— والساعة الآن العاشرة والنصف .. بعدى أن تذكر  
ذلك ، وأن ننظرنى في مثل هذه الساعة من صباح يوم ٢١  
مايو القادم .. !

— حسنا يا سيدى ! .. وسوف تجد الإفطار معدا  
لك ..

— أين تقطن ؟

— في المنزل رقم ٢٧ بشارع دى هلدن .

فاوما الكونت موافقا ، وقال :

— لا تنس ما اتفقنا عليه .. يوم ٢١ مايو . الساعة  
العاشرة والنصف صباحا ، شارع " دى هيلدر " رقم ٢٧ !

— ١٠ —

## في باريس

أعد " ألبرت " كل شيء في منزله بشارع هلدن بباريس  
للخفاوة بضيفه الكبير الكونت " دى مونت كريستو " .. وفي  
اليوم المحدد للقائهما هنا جلس مع بعض خاصته يخدمهم  
عن الكونت المنتظر وصوله ، وكيف أنقذه من نفثة مغامرته  
في إيطاليا .. فقال له أحدهم ويدعى " لوسيان دبراى " :  
— يخيل إلى أنك تمزح معنا باختراع هذه القصة .. بل  
أكاد أعتقد ألا وجود لزعيم العصاية الإيطالى الذى نحدثنا  
عنه ، ولا للكونت " دى مونت كريستو " الذى ننتظره !

وقال ضيف آخر يدعى " بوشان " :

— خير لك يا عزيزى " ألبرت " أن تعترف بانك رأيت هذا  
كله في حلم ، أو تدعنا نتناول طعام الإفطار في هدوء  
وسلام !

ولم يسمع " ألبرت " إلا أن يكت إزاء سخريه أصدقائه .  
وبقى صابرا على مضض ، حتى حان موعد وصول الكونت ،  
وأخذت ساعة الحائط تدق إيقاعا بانتصاف الساعة الحادية  
عشرة . وقلبه يدق معها في عنف . في حين كان العرق يبارد  
يتصبب من جبينه خشية أن يزداد خجله ، إن لم يصل الكونت  
في مواعده !

وما انتهت الساعة من دقائقها ، حتى ظهر أحد الخدم بالباب  
وقال " لألبرت " :

— سيدى .. إن الكونت « دى مونت كريستو » قد وصل !

ودل الإجمال غير الإرادى الذى بدأ من جميع الحاضرين على شدة تأثرهم بهذا النيا . ولم يستطع « ألبرت » نفسه تمسك أنفعاله . ولا سيما أنه لم يكن قد سمع صوت عربيه تقف أمام الباب ، أو خطوات تخفق في الردهة .. ولكنه فوجئ بفتح الباب دون جلبه . ثم يظهور الكونت على عتبه . مرتديا زيا يجمع بين الأناقة والبساطة . وقد بدا في سن لا تزيد على الخامسة والثلاثين ! على أنه سرعان ما حث لاستعماله مرحبا ثم قال :

— يا عزيزى الكونت .. لقد اعلقت نيا زيارتك ليؤا الأصدقاء . بعد أن دعوتهم طبعا لما اتفقنا عليه . وهناك أقدمهم لضايك : هذا هو الكونت « دى شاتورينو » . النبيل ذو الأصل العريق ، الذى اشترك أسلامه في مؤتمر المائدة المستديرة .. وهذا ميسيو « لوسيان دبراى » السكرتير الخاص لوزير الداخلية .. وميسيو « باتان » الصحفي الذى يصدر صحيفة تسبب الضرر للحكومة الفرنسية . وإن كان الأرجح أنك لم تسمع باسمه في إيطاليا — رغم نسبته الوطنية — نظرا إلى كون صحيفته ممنوعة من الدخول إلى إيطاليا .. وهنا ميسيو « مكسميليان موريل » قبطان السفينة ( سباهى ) ..

وكان الكونت يحس كلا منهم بالحناءة يشوبها طابع الرسمية والود ، لكنه ما كاد يسمع الاسم الأخير حتى تقدم

خطوة إلى الأمام وقال « ألبرت » : زائد استطعت وجنتاه لتساجبتا بحجرة خفية !

— يا عزيزى الفيكونت ، إنك ذكرت لى في ( روما ) شيئا عن مشروع زواج .. غفل لى أن أهنئك ؟

نقال « ألبرت » :

— إن الأمر ما زال في حيز التفكير !

وهنا تدخل « دبراى » : قائلا :

— هل أنعم من ذلك أن الأمر قد تقرر ؟

فاجاب « ألبرت » :

— كلا ! ولكن والدى شديد الرغبة في تنفيذ الفكرة . وأرجو أن أقدمك في القريب . إن لم يكن لزوجتى . فعلى من لخطيئتي الأساة « أوجينى دانجلر » .

فهتف الكونت « دى مونت كريستو » :

— « أوجينى دانجلر » ! أهى ابنة البارون « دانجلر » ؟

نقال « ألبرت » :

— نعم يا سيدى ، وهو بارون من الطراز الحديث !

نقال الكونت :

— حسبته أنه أدى للدولة خدمات استحق عليها هذا

الإنعام !

وقال « بوشان » :

— الواقع أنه أدى للدولة خدمات جليلة ، فهو برغم كونه من حزب الأحرار - فاض في عقد قرض كبير للملك « شارل » العاشر في سنة ١٨٢٩ ، ولهذا منحه لقب البارون ، ووسام فارس في فرقة الشرف :

فقال الكونت « دى مونت كريستو » :

— إنى لا أعرفه ، وإن كان يطلب على خلفى إلى سوف أتعرف إليه قريبا ، فإن لى معه حسابا جاريا لدى ثلاثة من البيوت المالية - أحدها فى لندن ، والثانى فى أفيينا ، والثالث فى روما ! .

ثم واصل « البرت » كلامه - فقال :

— على أى حال - وقبل كل شيء ، ينبغي أن نجد مسكنا فى عاصمتها الكبرى يلائم نبغها العزيز الجديد الكونت « دى مونت كريستو » !

فقال الكونت : « شكرا لك يا سيدى .. إننى منذ استقر رأيى على الحضور إلى هنا ، أرسلت خادمنى الخاص لى يتابع لى منزلا مناسبيا فى باريس ويؤثته . ولا بد أنه قد فرغ من هذه المهمة الآن !

فقال « بوشان » :

— إذن فالخادم الخاص لصاحب الفخامة يعرف باريس جيدا !

فاجاب الكونت :

— نعم . إنه أمينى ( التوبى ) الصموت « على » وهو يعرف باريس جيدا - كما يعرف ذوفى ومطالبي .. وكان يعلم أننى ساصل اليوم فى الساعة العاشرة . فانتظرنى بمذ القاسعة عند حاجز ( فونفيلو ) حيث أعطائى هذه الورقة التى تحوى عنوان مسكنى الجديد !

فقال « بوشان » :

— إذن فلنتفق بأن نؤدى للكونت الخدمات التى فى مقدورنا .. ويسرنى - بوصفى صحفيا ، أن أفتح لفخامته أبواب جميع المصارح !

تشكره الكونت - وقال :

— إن لدى سكرتيرى تعليمات بأن يحجز لى مقصورة فى كل مسرح :

وهنا سئله « دبراي » :

— هل سكرتير الكونت توبى أيضا ؟

فاجاب :

— كلا ! بل هو ا كورسيكى . يدعى مسيو « بروتوشيو » ، وقد كان جنديا ومهريا . بل كان فى الواقع كل شيء .. ولست واثقا من أنه لن يحتك بسلطات البوليس يوما . بسبب طعنه خنجر أو ما يشبهها من الحوادث القافهة فى نظره !

وهنا قال « ساتورنيو » مخاطبا الكونت :

— إذن .. ما دام عندك الممكن والخام والمسكرير .  
فلا يفتك غير الخيلة !

نابسم الكونت ، وقال :

— الواقع أنه عندي من حي خير من الخيلة .. عندي  
الجارية الخاضعة ! . إنكم تحصلون على خيالاتكم من  
الأيورا ودور اللهب لخطبه ! أما لنا فقد حصلت على  
صاحبتى من « الـ بلنطينة » .. وهى تكلفنى نفقات أكثر ،  
لكنى لا أرى بأسا فى ذلك !

فقال له « تيراي » ضاحكا :

— لا تنس يا سيدى أننا فى بلد الحرية . وعلى هذا فإن  
جاريك هذه لا بد أن تغدو حرة فى اللحظة التى نطأ فيها  
تدماها أرض فرنسا !

فقال له الكونت :

— من أين لها أن تعرف ذلك . وهى لا تفكلم بغير لغتها ؟!

فقال « بوشان » :

— أظن أننا سنراها على كل حال . ولكن عن مخاضيك  
تعنى الجوارى .. ؟!

نابسم الكونت مرة أخرى . وقال :

— كلا ! . . . لست على هذه الدرجة من التوحش ، بل إن  
كل واحد حولى له كل الحرية أن يتركنى إذا شاء . وفى  
استطاعته أن يعينى بعد ذلك فى غنى عنى وعن أى إنسان

آخر .. ولكن جميع من حولى ليس فيهم من يفكر فى ذلك .  
عجل ما يلتون من حسن العاملة !

وحين انصرف أصدقاء « ألبرت » ، وخلا هذا إلى الكونت .  
قاده إلى جناحه الخاص الأثير عند . معرا من الصالون إلى  
غرفة النوم ، التى كانت تهوذا للذوق الرقيق والأناقة  
البسيطة . وكانت فيها لوحة من رسم غتان شير . تشرق  
على الحجرة من وسط إطارها المذهب .. فلفتت نظرس  
الكونت الذى اقترب منها فى خطوات سريعة ثم وقف أمامها  
وراح يتأملها فى إعجاب !

كانت اللوحة تبث فناء حسناء سمراء ، ذات عينين  
مشرقتين لامعتين . تظللها أهداب طويلة . وترتدى ثياب  
ضبابات معتبرة كالنلان المرافقة من خليط من اللون الأحمر  
والأسود ، وتضع فى شعرها ديبوسا ذهبيا .. وتجه يعينها  
إلى البحر . وحول المحيط الأزرق والسماء الصافية . وكان  
الضوء فى الحجرة ضئيلا إلى حد أن « ألبرت » لم يلحظ  
النحوب الذى كسا وجه الكونت . أو الرجفة العصبية التى  
هزت صدره وكفيه .. !

وحين تمالك الكونت نفسه . قال فى صوت عاوى :

— أرى أن لك خيلة جذابة جدا يا فيكونت . وهذا الثوب  
الذى لا شك أنه ثوب الوقص . يناسبها بشكل رائع !

فاجابه « ألبرت » :

— آه يا سيدى . ما كنت لأغف  
رأيت صورة أخرى إلى جانبها ..

هانت ذا تراها املك .. لقد رسمت لها هذه الصورة منذ حوالي ثماني سنوات . وهذا الزى هو فيما يبدو زى تنكرى . على ان الصورة من الاثتان والمشابيه للأصل بحيث يخل إلى انى ارى فيها امى حقيقة كما كانت تبدو سنة ١٨٢٠ . لقد رسمت لها هذه الصورة في اثناء غياب ابى . ولا شك انها أرادت ان تدبر له مفاجأة سارة .. لكن العجيب في الامر ان هذه الصورة لم تعجب ابى . ولم تستطع قيمتها الفنية — باعتبارها من اعظم لوحات الفنان الذى رسمها — ان تنقلب على بعض ابى لها ! .. اغفر لى نحدثنى فى امر عائلتى كهذا . ولكن لما كنت اعززم ان اقدمك إلى ابى . فإنى اذكر لك هذه التفاصيل ، راجيا الا تشير إلى هذه الصورة فى حديثك معه .. ويخل إلى ان لهذه اللوحة تأثيرا طيبا ، فلما من صورة تدخل فيها امى هذه الحجرة إلا وتقف تنظر إليها مليا ، ثم تنخرط فى البكاء !

وكان الكونت يصمى إلى مضيغه الشاب فى انتباه . فى حين استطرذ هذا فقال :

— الآن وقد رايت كل تحفى . ارجو ان ترافقتى إلى جناح ابى .. لقد كتبت إليه من روما ، ورويت له قصة البذ اللتى اسديتها إلى ، كما انبائه بموعده زيارتك هذه .. وفى وسعى ان اقول : إن ابى وامى يتلهقان شوقا إلى ان يقدموا لك شكرهما وامتنانهما على إقناذك حياتى !

ثم ارسل « البرت » خادمه إلى ابويه ليخبرهما بتقدم الكونت « دى مونت كريستو » ، ومشيا فى أثره حتى وصلا

إلى الحجرة المغضية إلى حجرها الخاصة . وسرعان ما فتح بابها . ووجد الكونت « دى مونت كريستو » نفض وجهها لوجه امام الكونت « دى مورسيرف » . وكان هذا فى الد .. والأربعين من عمره — وإن بدا فى الخمسين على أقل تقدير — كما كان شارب الاسود وحاجباه يتنافران كل التنافر مع شعر راسه الاشيب القصير . المقصوص على الطريقة العسكرية .. وكان يرتدى ثيابا بسيطة ، وبضع فى عروة سترته اشرطة النياشين المختلفة التى حصل عليها .

وتقدم الكونت « دى مورسيرف » للقاء ضيفه : فى خطوات متزنة تم عن الاعتداد بالنفس .. فى حين يقى الكونت « دى مونت كريستو » فى مكانه لا يتحرك . وبدأ له كان قدميه سموتا فى الأرض . وكان عينيه سموتا على محبا مضيغه الوقور !

وقال الكونت « دى مورسيرف » بحية مبتسما :

— على الرجب والسعة يا سيدى .. إنك قد أدبت لهذا البيت جيلا لن ينساه مدى الحياة ، إذ انقذت حياة وريثه الوحيد !

ثم قدم لضيغه مقعدا . فتناولوه هذا وجلس ، بحيث يسقط عليه ظل المتائر الكبيرة التى صنعت من القطيفة .. وقرأ على سمات وجه مضيغه قصة اشجان خفية حفرها الزمن مع ما حفر من الغصن « راجع » فى ذلك الوجه !



ثم صاح « البرت » نجاة :

— عذره أهي قد حضرت !

فالتفت الكونت « دى مونت كريستو » إلى حيث أشار « البرت » : فرأى الكونتيس « دى مورسريف » واقفة عند مدخل الصالون . أمام الباب المواجه لذلك الذى دخل منه زوجها . وكانت شاحبة الوجه لا تتحرك .. وحين التفت إليها . بركت .. اتدعها الذى تان ستند إلى معض الباب يسقط إلى جانبها !

كانت الكونتيس قد دخلت الحجرة قبل ذلك بثوان ، بدون أن يلحظها أحد . ولما نهض الكونت وانحنى لبا ، ردت التحية بغير أن تتكلم .. وإذا ذاك قال لها الكونت « دى مونت كريستو » .

— عفوا يا سيدتى . أرجو ألا تكونى مريضة !

وعندئذ أجابته :

— لست مريضة . وإنما هو الانفعال الذى شلكنى نجاة وأنا أرى لأول مرة الرجل الذى لولا شهادته لكنا الآن غارقين فى دموعنا وأشجاننا !

.. ثم استطردت قائلة وهى تتقدم نحوه بجلال الملكات :

— سيدى .. إني مدينة لك بحياة ابنى . ومن أجل هذا أباركك وأشكرك على كسوتك قد أتحت لى فرصة الإعراب لك شخصيا عن امتناني القلبى !

وانحس الكونت مرة أخرى . وقد بدا وجهه أكثر شحوبا من وجبها ، ثم قال لها :

— سيدتى . إنك وزوجك تبالغان فى تقدير امر تالفه .. فإني أفاذ رجل . من أجل نفسه ومن أجل شيمور أبيه وعلامة له . ليس سلا كثيرا من أهال الحرة : وإنما هو واجب عاذى بسيط من الواجبات الإنسانية !

فاجابته الكونتيس « دى مورسريف » :

— إنه لمن حسن حظ ابنى يا سيدى ان وجد صديقا .. وأنا أشكر الله على ذلك !

ثم رفعت عينيها إلى السماء وقد تجلى فيهما الامتنان الحار . بحيث خيل إلى الكونت انه لمح فيهما دموعا تلمع .. وهنا اقترب زوجها منها . فقال :

— يا سيدتى .. لقد استأذنت الكونت فى الانصراف : وأرجو منك أن تفعل ذلك أيضا . فان اجتماع المجلس يبدأ فى الساعة الثانية ، والساعة الآن الثالثة : وعلى أن القى خطايا فيه اليوم !

فاجابته الكونتيس : باللهجة نفسها الدالة على التأثير : — اذهب إذن ، وسوف نبذل جهدنا كي ننسى غيابك .. ثم التفتت إلى الكونت « دى مونت كريستو » وقالت له :

— ألا تشرفنا بقضاء بقية اليوم

فقال الكونت :

« شكرا لك يا سيدتى على كرمك . وارجو قبول اعتذارى من عدم استطاعتي قبول هذه الدعوة . فقد جئت إلى هنا راسا عقب وصولي إلى باريس . وما زلت أجهل كل شيء عن المنزل الذى ساقطنه ! »

فجاءه :

« إذن .. هل تعد بأن تمنحنا شرف حضورك فى فرصة قريبة ؟ »

فأومأ الكونت « دى مونت كريستو » موافقا . على حين استطردت الكونتيس فحالت :

« إذن .. لن أعورك يا سيدى ! »

\*\*\*

.. وعلى اثر ذلك انصرف الكونت إلى المنزل الذى احساره له تابعه « على » فى حى « التيسانيرلييه » فلم تسكد العسيرة تقف امام الباب حتى أقبل « على » و « برنوشيو » فاطلا من نافحتها . ثم انحنى الأخير لسيده احتراماً . وقدم له ذراعه ليعينه على النزول . فقال له الكونت وهو يبسط درجات سلم العربة الثلاث :

« أشكرك يا ميسو برنوشيو .. أين مسجل العود ؟ » فقال برنوشيو :

« إنه فى انتظار سيدى . فى الصالون الصغير ! »

وحين دخل الكونت الصالون ، ابتدر الرجل سائلا :

« انت يا سيدى المسجل المكلف ببيع المنزل الريفى الذى اريد شراءه ؟ .. وهل اعددت عقد البيع ؟ »

فقال المسجل :

« نعم يا سيدى الكونت . وهذا هو العقد .. »

ومد يده بالعقد ، فتناوله الكونت قائلا :

« وأين يقع هذا المنزل ؟ »

وقد تلقى الكونت هذا السؤال فى هدوء يتم عن عدم المبالاة . وهو ينظر إلى كل من برنوشيو والمسجل . فتسال الأخير متعجبا : « ماذا ؟ .. الا يعلم سيدى موقع البيت الذى يشتره ؟ .. أنه فى ضاحية ( أوتوى ) .. »

وإذ ذلك شحب وجه « برنوشيو » . فى حين وقع الكونت على العقد بسرعة ، وهو يلقي نظرة على البيانات الخاصة بموقعه وملأه السابقين .. ثم التفت إلى برنوشيو « .. وقال له وهو يشير إلى المسجل :

« أعط هذا السيد خمسة وخمسين ألف فرنك . »

ولم يكذ الكونت بخلو إلى نفسه حتى أخرج من جيبيه كتابا مغلقا بقل . ففتحه بفتاح كان يحتفظ به حول رقبته .. وبعد ان قلب محتوياته بضعة لحظات توقف أمام ورقة تحوى بعض البيانات ، فراح يقارن ما فيها بما ورد فى عقد الشراء الموضوع فوق المنضدة . وهو يحدث نفسه : « أوتوى ! شارع النافورة رقم ٢٨ .. إنه هو بعينه . والآن هل اعتمد على الاعتراف المتزع بالتعذيب الذى أو الجسمانى ! على أية حال سوف اعرف كل شيء فى خلال ساعة ! »

وبعد عشرين دقيقة كان الكونت « دى مونت كريستو » و « برتوشيو » فى طريقهما إلى ضاحية « أوتوى » . وازداد انفعال الوكيل وهما يقتربان من الضاحية . وكان المنزل رقم ٢٨ فى أقصى أطرافها . وقد خلع الظلام على المناظر المحيطة به طابع المناظر المرحبة المبتوعة !

وطرق « برتوشيو » الباب . وسرعان ما افتح . واطل الحارس منه ، فقدم له « برتوشيو » عقد الشراء قائلا : وهو يشير إلى الكونت :

— هذا هو سيدك الجديد !

ثم سأل الكونت الحارس :

— ماذا كان اسم سيدك القديم ؟

فاجاب :

— الماركيز « دى سان ميران » . وهو شيخ من من اتباع أسرة « البوربون » الملكية ، وليس له إلا ابنة واحدة متزوجة من المسيو « فيللور » ، الذى كان وكيلًا للنائب العام فى نيم ، ثم فى « فرساي » ..

فقال الكونت :

— بخيل إلى أنى سمعت أن هذه الابنة قد ماتت ؟

فقال الحارس :

— نعم يا سيدى . لقد ماتت منذ إحدى وعشرين سنة ..

ومنذ ذلك التاريخ لم نر أباهما المسكين سوى ثلاث مرات !

— شكرا ، شكرا .. أعطيتى مصباحا .

وكف الكونت عن استجواب الرجل : بعد أن لمح من نظرة وكياه أنه لن يستطيع المضى فى ذلك دون تمرير نفسه لخطر إثارة الريب والشكوك فى نفس الحارس . ثم قال له الحارس :

— هل ارافقك يا سيدى ؟

— كلا : لا ضرورة لذلك .. سوف يرافقنى « برتوشيو » . واطاع الوكيل صامتا ، لكن ارتجاف يده التى تحمل المصباح دل على الجهد الذى كلفته إياه طاعة سيده ! .. وقال الكونت وهما يدخلان :

— اهلا سلم خاصر ؟ .. هذا بديع .. اضى لى يا مسيو « برتوشيو » ، وتقدمنى .. سوف نرى إلى أين يؤدى السلم !

ولم يسمع « برتوشيو » إلا أن يتفقد أمر الكونت .. فلما بلغا الحديقة . تريت عند الباب الخارجى برعة ثم صاح وهو يضع المصباح عند زاوية الجدار الخارجى :

— لا ، لا ، يا سيدى .. مستحيل ! .. لن أستطيع المضى أكثر من ذلك !

وهنا سأل الكونت فى هدوء :

— ماذا تعنى ؟

فجاب . قائلا :

— ينبغي أن توافقنى يا صاحب

امر غير طبيعي : ان تشتري المنزل في ( اوتوى ) - وفي شارع النافورة بالذات - ورقم ٢٨ دون غيره ..! اوه .. لم اصارحك بكل شيء !! انا واثق بانك ما كنت لتجبرني على الحضور .. لقد رجوت ان يكون البيت الذي اشتريته غير هذا الذي وقعت فيه جريمة القتل !

فصاح الكونت وهو يتوقف عن المسير فجأة :

- ماذا ؟ .. ما هذا الكلام الذي تقوله ؟ بالك من شيطان ( كورسيكي ) لعين ! .. الا تفكر إلا في المآسى والخراياث ؟ .. هيا تناول الصباح ودعنا ندخل الحديقة .. لعلك لست خائفا من الأشباح وانت معي !!

فحمل « برونشيو » الصباح وأطاع الأمر .. وحين فتح الباب المفضى إلى الحديقة طلعتها سماء قاتمة .. يحاول نيبا القمر جامها ان يتقذ من خلال السحاب .. فراد الوكيل ان ينعطف إلى اليسار ، لكن صوت الكونت لاحقه . قائلا له :

- كلا .. كلا .. ما جدوى السير في الممرات ؟ .. هذا هو بستان جميل ، فلنمض إلى الامام !

ثم تقدم الكونت . وواصل السير حتى بلغ اجمة من الأشجار فتوقف .. وإذا ذاك عجز الوكيل عن أن يسمع انفعاله ، فصاح :

- تحرك يا سيدي من مكانك بسرعة . اتوسل إليك : إنك تنقف في البقعة التي سقط فيها بالضبط .. وها انت ذا

في وقتك هذه . مرتديا هذا المعطف الذي يخفى وجهك . تذكرني بـ « دي فليغور » . يا للأثيم !

فقال الكونت . بليجة جعلت الرعدة تسرى في اوصال الوكيل المسكين :

- إذن فقد خدعنى الأب « بوزونى » حين ارسلك إلى عقب رحلته في انحاء فرنسا سنة ١٨٢٩ ، مزودا بخمالب توحشية عدد فيه صفاتك الحميدة . حسنا ! .. سوف اكتب الآن إلى الأب « بوزونى » واحمله مسؤولية سوء مسلكي معه .. وساعرف كل شيء عن جريمة القتل هذه . لكنني اندرك منذ الآن بانى حين اقيم ببلد ما أخضع لجميع قوانينه ، ولست ارجب الآن في أن أضع نفسي تحت رحمة « القساؤون الفرنسي من أجلك !

فقال « برونشيو » في برود :

- ولكن يا صاحب الفخامة ؟ .. ألم يذكر لك الأب « بوزونى » ما تضمنه امترافي الكامل له في سجن « نيم » ؟ إن عينا جسيما يجثم فوق ضميري ؟

فقال الكونت :

- لقد ذكر لى الأب « بوزونى » انك تصلح وكيلا مثاليا . وقد حسب ان جريمتك كانت جريمة سرقة لا غير .. هذا كل ما في الأمر .. والآن لا بد من ان تكاشفنى بكل شيء !



أخذ « برتوليو » يروي قصة الكونت بالتفصيل .

— تبدأ القصة في سنة ١٨١٥ . حيث كان لي أخ غير عم  
في خدمة الإمبراطور : كان أخي وصديقي في الوقت نفسه .  
تولى تسمي كما لو كنت ابنه . وفي سنة ١٨١٤ تزوج .  
فلما عاد الإمبراطور من جزيرة « إلبا » انخرط أخي هذا في  
الجيش . ثم أصيب بجروح خفيف في معركة ، وأثقلوا  
واسحب مع الجيش وراء اللوار . وذات يوم تلقينا  
خطابا منه جاء فيه : « أن الجيش يترك لمهله . وأنه سوف  
يعود من طريق « نيم » . ثم طلب إلى أن أترك له ما أملك  
من نفود هند صاحب حانة من حانات « نيم » كانت لي معه  
معاملات تفصل بالتهريب . ولما كنت أحب أخي جدا تويا  
بعد رات أن أحمل النفود إلى « نيم » . وفي ذلك وقت  
حدثت تلك المذابح الشهيرة في جنوب فرنسا . من بلاد  
من قطاع الطرق هم : « ترستايون » و « ترزيس » و « حرسان » .  
أخذوا على عاتقهم أن يذبحوا علانية كل من يمر من  
أتباع « بوناپرت » . فلما دخلت « نيم » خضت في بحار من الدم  
حتى بلغت منزل صديقي صاحب الحانة . وفي ذلك وقت  
أخي وصل في الليلة السابقة ، وأنه يبيع عنده على  
الدار التي جاء بلتمس شياقتها :

\*\*\*

وبذلت كل ما في وسعي كي أعرف القتله . لكن أحدا  
لم يجرؤ على مكانفتي بأسمائهم . لغرت اللعير الذي تساعده  
في المدينة . . فلم أجد مقرا من أن أجد إلى وكيل النسابة



العام - مسيو « دى فيلفور » .. وعند التفتى يربى  
ثالثا :

- لكل ثورة فواجعها . وقد كان أخوك واحدا من  
ضحاياها .. إنه سوء حظ . والحكومة ليست مدينة  
بشيء .. إن ما حدث أمر طبيعى . يتفق مع قانون الأخذ  
بالتار .. فاذهب الآن نورا وإلا أمرت بطردك !

نظرت إليه لارى هل هناك جدوى أو أمل يرجى ، من متابعة  
النوسل إليه ، لكنه كان رجلا ذا قلب حجري ، غنوسوت  
مه ، وقلت بصوت خافت :

- حسنا ! .. إذن دعنى أخبرك بشيء واحد : إلى -  
اقتلك ، وإبنى منذ هذه اللحظة أعلن الثار ضدك . فحاول  
حماية نفسك بكل وسيلة .. فحين نلتقى في المرة القادمة  
تكون ساعتك قد حانت ! ..

وقبل أن يفارق الرجل من ذعوله قنحت الباب وغادرت  
الحجرة !

ولبنت بعد ذلك ثلاثة أشهر وأنا أراقب مسيو « دى فيلفور »  
عن كثب حتى اكتشفت أنه يذهب خلسة إلى « أوئوى » .  
فتبعته حتى رأيته يدخل هذا البيت الذى نحن فيه الآن ! ..  
وفي ذات مساء . بيضا أنا مقربص له وراء هذا السور رأيت  
امراة حسناء في نحو التاسعة عشرة من عمرها تتمشى في  
الحديقة وحدها . وقد أرقت ثوبا مفضاضا من المولين بشى  
بأنها تنتظر مولودا في القريب .. وادركت أنها تنتظر تدوم

« دى فيلفور » وبعد لحظات فتح الباب الصغير ودخل منه  
رجل تلتقه المرأة معانقة في لجة . ثم ابتعدا نحو نهاية الحديقة  
.. ولم يكن الرجل سوى مسيو « دى فيلفور » .

وعيدت بعد ذلك إلى استئجار غرفة نطل على الشارع  
الذى يقع فيه باب الحديقة .. وبعد ثلاثة أيام ، حوالى  
الساعة السابعة مساء . رأيت « دى فيلفور » مقبلا وقد  
تدثر بعباءة . ثم فتح الباب الصغير المفضى إلى الحديقة  
ودخل منه ثم أغلقه وراءه .. فبيطت من غرفتى أعدو إلى  
حيث اختبأت في أجرة مشرفة على الممر الذى لا بد أن يجتازه  
قربى عند انصرافه .. ولم ألبث قليلا حتى سمعت نأوهات  
وصيحات مكتومة . وحين دقت الساعة معلنة انتصاف الليل -  
فتح باب الحديقة الصغير وخرج منه « دى فيلفور » . ثم  
اقترب من الأجرة التى كينت وراءها . وحين أطمأن إلى أن  
أحدا لا يراه انحنى على الأرض فوضع صندوقا صغيرا كان  
يخفيه في عباءته . ثم بدا يحفر حفرة تتسع له .. وحين انتهى  
ويذا يسوى الأرض كما كانت ، انقضضت أنا عليه وأغمدت  
سكينى في صدره وأنا أهمل له : « أنا جيو فاني بروتشيو ! »  
.. اقتلك أخذا بشار أخى . وأخذ كنزك لأرملته » .. وهكذا  
نرى أن انتقامى جاء أوقى مما كنت أوئل ! .. ولست أدري  
إذا كان قد سمع ووعى هذه الكلمات أم لا . فقد سقط دون  
أن يطلق صرخة واحدة . وبعد لحظة كنت قد أخرجت  
الصندوق من مخبئه ثم هربت إلى ضفة النهر حيث غنحه  
يسكينى غنوة . فإذا في داخله طائر حزين ينادى

مذبح بثوب من القيل الفاخرة . يطلق صيحات تنجيفة واهنة :  
 .. وكنت أعلم أن في باريس ملجأ لامتثال هذا اللقيط ، فمرت  
 ثوبه الطفل — وكان يحمل حرفين يرمزان لاسم ما — إلى  
 تسمين . كل تسمين يحمل حرفاً منهما . وتركزت أحد التسمين  
 حول جسم الطفل وأخذت القسم الثاني ممي .. ثم ضغطت  
 جرس باب الملجأ وأسمرت بالقرار .. وحين وصلت في اليوم  
 التالي إلى (رجليانو) حيث تقطن أرملة أخى " أسانثا " قلت  
 لها : « اطمئني يا أخفاء . فلقد انتقميت لأخى .. » ثم سررت  
 عليها تفاصيل القصة . فلما انتهيت مقياً قالت لى " كان  
 ينبغي أن تحضر معك ذلك الطفل . كي نكون له بدلاً من والديه  
 اللذين حرم منهما . ونطلق عليه اسم . ايندسو " ولعل الله  
 كان يباركنا لهذا . فأعطيتها نصف ثوب الطفل . كي نسترده  
 إذا سرنا في حال من البر تسمح لنا بتربيته ! »

وحنا قاطعه الكونت « دي مونت كريستو » قائلاً :

— ما هما الحرفان اللذان كانا على الثوب ؟

— هما حرفا الهاء . والنون . تعلوها إشارة لقب  
 البارون ! .. وعلى اثر ذلك عدت إلى تجارة التهريب .  
 مدفوعاً بدافعين . الإنفاق على الأرملة المسكينة ، وإغراق  
 ذكريات الماضي التى تطاردنى .. وحين راجت أحوالنا  
 يوماً من إحدى مغامراتى . عدت لأجد الأرملة قد استردت  
 الطفل . وكان قد بلغ الشهر السابع أو الثامن من عمره !

وكان " بندينو " طفلاً جميلاً . ذا عيتين واسمتين زرقاوين  
 وشعر ذهبي خفيف . وابتمسامة تتم عن شيء من الخبث

والدهاء .. وحين كبر صدقت فراسنى في خلقه ، وطبيعته  
 الشريرة . فلم يبلغ الحادية عشره حتى صار يعاشر العيان  
 الاشرار الذين في الثامنة عشره او العشرين . والذين  
 انتصروا في كورسيكا بشروعهم وفساد خلقهم . حتى تمد  
 سراً سطاردين من اليونان . واسجابه لصيحيه  
 الأرملة المسكينة في نداء لمطالب " بندينو " الذى كان يرهبها  
 بطلب النقود كل حين لإشباع ميوله الشريرة .. وذات ليلة  
 احضر معه إلى البيت اثنين من رفاقه الأندال وهددوا  
 بالمعذيب إذا لم تسلمهم ما تلك من نقود . فلما رفضت  
 ساقوها إلى قرب الموقد كي يجبروها على الاعتراف بمكان  
 النقود .. وخلال الصراع امتدت النار إلى ثوبها فاضطروا  
 إلى تركها خوفاً على أنفسهم من الاحتراق ..

« وفي الصباح التالى استقبلت جارثها ، زوجة  
 فاسيليو " ظهورها خارج غرفتها . فاستنجدت بالسفوف  
 التى حطمت الباب .. ووجدت " أسانثا " القمصة مازالت  
 على قيد الحياة . برغم الحروق الفظيعة التى أصابتها ..  
 فروت لهم قبل موتها حقيقة ما حدث . ووجدت أدراج البيت  
 كلها محطلة ، ومحتوياتها مبعثرة ، والنقود كلها مسروقة !

ومقد ذلك اليوم لم يظهر " بندينو " مرة أخرى في (رجليانو)  
 .. ولا سمعت أنا بدورى شيئاً عن مصيره أو أحواله ! »

وهنا أخفى " برفوشيو " وجهه بين يديه في حين رمت  
 الكونت بنظرة غامضة !

- ١١ -

## جوادان أصيلان

في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي لوصول الكونت " دى مونت كريستو " إلى باريس . وقتفت بياب منزله عربية فاخرة يجرها جوادان إنجليزيان مطهمان . واطل منها شخص برمدى سفره زرقاء . وصدارا أبيض تتدلى من أحد جيوبه سلسلة ذهبية لمينة . وبطلونا بنى اللون . . وكان شعره الاسود يتدلى على جبينه حتى تاد يصل إلى حاجبيه . . وكان الرجل في حوالى الخمسين من عمره وإن حرمه هو على أن يبدو في الأربعين . . . وانحنى الرجل على حاجر العربية الذي رسمت عليهشارة البارونية ، ثم طلب من تابعه أن يسأل هل الكونت " دى مونت كريستو " في الداخل أم لا . . فقبل للتابع : " إن صاحب الفخيلة لا يستقبل زوارا اليوم ! " . وعندئذ قال هذا لمحدثه : " إذن إليك بطاقة سيدى البارون " دانجلر " فلتجملها إلى الكونت وتخبره أن سيدى برغم عجلته لحضور اجتماع المجلس أبى إلا أن يمرح في طريقه لزيارة الكونت ! " .

وعندئذ اضطلع البارون " دانجلر " في عربته إلى الخلف وقال لحوذيه بصوت يمكن سماعه من الشارع : " إلى مجلس النواب " .

أما الكونت — الذى علم بالزيارة في حينها — فقد راح من

وراء خصاص نافذته يرقب البارون بدقة بوساطة منظار مكبر . . ثم دعا إليه وكيله " برنوشيو " وأبتدوه . قائلا :

— إنك راءك رابت الجياد التي وفقت أمام الباب بضع دقائق . . قبل لك أن توضح لى كيف غاب عنك هذان الجوادان اللذان هما في روعة جيادى ، حين أوصيتك أن تمتاع لى أحسن جياد باريس ؟

فاجاب " برنوشيو " :

— أؤكد لفخامتك أن الجوادين اللذين نتحدث عنهما « يكونا معروضين للبيع حين اشتريت لك جيادك !

بهز الكونت " دى مونت كريستو " كتفيه . وقال :

— حسنا . . . إذن فلنعرض على البارون " دانجلر " ضعف ثمنهما . فإن الرجل المالى لا يضيع أبدا فرصة مضاعفة رأس ماله !

وما كانت عقارب الساعة تشير إلى الساعة الخامسة حتى دق الكونت الجرس ثلاث مرات ، ثم هبط السلم إلى باب قصره ، فرأى عربته وقد أخرج إليها الجوادان بعينهما اللذان أبدى إعجابه بهما منذ ساعات وهما يجران عربته البارون " دانجلر " !

وقال الكونت لحوذيه :

— إلى دار البارون " دانجلر " ، شارع لاشوميه دانقان .



وقال البارون وهو ينفخ ترحيبا بزائره :

— أصبح لي أن أخبرك يا كونت دي مونت كريستو حبيب  
نصيح من بنك ! تومسون وفرنش في روما .. لكنني اعترف  
بأنني لم أفهم مدلوله بالضبط ، فهو يعطى الكونت « دي مونت  
كريستو » حسابا جاريا غير محدد على مؤسستنا !

مسأله الكونت في هدوء :

— ماذا يتعذر عليك فهمه في ذلك ؟

فاجاب « دانجلر » بإبتسامة شبيهة ساخرة :

— إن بنك « تومسون وفرنش » مقتدر ماليا ، في حين أن  
حساب غير محدد تدل في الأمور المالية على معنى غامض .

— اتعني أن « تومسون وفرنش » لا يجعلان حدودا  
لائزامائهما ، بينما التزامات ميسو « دانجلر » لها حدودها ؟

فقال المالى الكبير وهو ينفخ أوداجه زهوا :

— سيدى . إن حدود مواردى لم تكن يوما موضع شك أو

تساؤل :

فقال الكونت في برود :

— يبدو لي أنى أول من سيضعها هذا الموضوع !

وعندئذ القى « دانجلر » بنفسه في مقعده إلى الوراء .  
وقال بلهجة الغرور والاعتداد بالثراء :

— أرجو منك ألا تتردد في الإعراب عن رغباتك .. نعمند  
مستقنع أن موارد بنك « دانجلر » — مهما تكن محدودة —

ما تزان تدبرة على أن تواجه جسم المطالب .. ولو اردت  
بليون فرنك !

فقال الكونت في خنوء :

— ما أظننى يا سيدى استطيع ان اكتفى بليون فرنك !  
ولو ان مبلغا ثانيا كـهـذا يكفىنى لما كلفت نفسى عناء فتح  
حساب جار !

ثم اخرج الكونت حافظقه وسحب منها شيكين على الخزنة  
قيمة كل منهما نصف مليون فرنك . بدفعان لحاملها .. تسمر  
« دانجلر » غاه ولم يجر جوابا . في حين استعطود الكونت :

— كن صريحا إذن واعترف بأنك لا تولى مؤسسة  
« تومسون وفرنش » تفك الكاملة . وإننى قد أفهم هذا ..  
واحتما لما ل هذا الاحتمال رايت — برغم جهلى بالأمور المالية  
— أن اتخذ بعض الضمانات .. فبدان مثلا خطايان متباينان  
تماما لذلك الذى تلفته . أحدهما من بنك « أرنشايين » ومكش  
في حين . إلى البارون « روميلد » .. والآخر من بنك « بارونج »  
في لندن إلى ميسو « لافيت » .. والآن ما عليك يا سيدى  
إلا أن تنطق بكلمة عاجبتك كل مشقة وخرج بتقديم خطاب  
ضمني إلى إحدى هاتين المؤسستين !..

وتنهر « دانجلر » بعد أن استوثق من صحة الوثائق :

بجملتي الكونت . وانجنى أمام الكونت كـهـذا .. فود الأهم  
المشكلة في شخصه .

فقال الكونت بلهجة ودية لطيفة :

— على كل حال اعتقد أن مؤسستك لا يمكن أن ينقل عليها  
مثل هذه المبالغ الفائضة .. وإذا غنى وسعك أن تعطيني  
بعض المال . أليس كذلك ؟ .. ويمكننا أن نحدد مبلغا يكفى  
الذخائر الضرورية للعام الأول .. ولكن مثلا ستة ملايين من  
الفرنكات !

فقال " دانجلر " وهو يشفق غمزا :

— ستة ملايين ؟!

واستطرد الكونت فقال في لهجة تدل على عدم المبالاة :

— إذا أحوجنى الأمر إلى أكثر من هذا المبلغ يمر وسى  
أن اسحب شيكات عليك .. لكن نيتى حاليا تنصرف إلى  
عدم البقاء فى فرنسا أكثر من عام .. وأرجو أن تذكره فىرسل  
إلى غدا صباحا نصف مليون فرنك . وسوف أكون فى دارى  
حتى الظاهر .. وفى حالة خروجى سأترك إيصالا بالمبلغ مع  
وكيلى !

فقال " دانجلر " :

— سيكون المبلغ الذى نطلبه غنست وكيكك فى الساعة  
العاشرة من صباح غد يا عزيزى الكونت .. والآن هل نسمح  
لنى بأن أقدمك للبارونة " دانجلر " زوجتى ؟ اغفر لى ليقضى  
يا عزيزى الكونت . فإن عيلا مثلك هو فى مركز قرد من أفراد  
الأسرة !

فاوما الكونت موافقا ، ثم مضى خلف البارون عبر عدد من  
الحجرات والآنحة المفروشة بأفخر الأثاث الذى يوحى  
بالثراء الفاحش .. حتى بلغا مقعد البارونة ، وكانت هذه  
ما تزال تحتفظ بجاليها الصارخ ، برغم تجاوزها ريعسان  
الشباب ، وقد جلست إلى البيانو . فى حين وقف " لوسيان  
دوبراي " أمام منضدة صغيرة يقلب صفحات " اليوم " صر ..  
فقال البارون لزوجته :

— اسمح لى بأن أقدم لك الكونت " دى مونت كريستو " ..  
لقد أوصانى به توصية حارة وكلائى فى أوروبا ، جميعها .  
وسأعفى بذكر حقيقة واحدة من شأنها أن تحمل أسسا ،  
نارس بلا استثناء ، بصدق التفاته .. وهذه الحقيقة هى أنه  
قد جاء ليتقضى فى باريس عاما ، وسيتفق خلاله ستة ملايين  
من الفرنكات ، وهذا يعنى سلسلة من الحفلات والمراقص  
والآداب لا نهاية لها ، وأرجو ألا ينسانا الكونت غيبا ، كما  
نعزم نحن أن نذكره فى حفلاتنا المتواضعة !

فكانت البارونة تخاطب الكونت :

— لقد تخسرت لزيارتك لباريس أسوا وقت ، ففى فى  
الصيف لا تطاق .. والملاهى التى بقيت لنا فيها تنحصر فى  
حفلات السباق .. فى حطيتى (شون دى مارس) و (شانتورى)  
.. فهل نعتزم إشراك بعض جبادك فى السباق ياكونت ؟

— سأفعل ما يفعله غيرى فى باريس يا سيدتى : إذا  
لمسعدتى الحظ فوجدت من يرششدنى إلى ضروب اللهو  
المختلفة !

وفي هذه اللحظة دخلت المخدع وسيفه البارونة المفضلة .  
وافتربت من سيدتها وهمت في اذنيها بيقع عبارات . نحسب  
على انهما رجع البارونة . فاستدارت نحو زوجها متسائلة  
في لهجة :

— اهذا صحيح ؟ .. إن وصيفتي ابلغتني ان سائق عربتي  
فوجيء وهو بينهم بإمدادها الآن بان جواثها ابدلا بدون عليه  
.. فكيف كان ذلك ؟

فاجابها زوجها :

— كوني لطيفة يا سيدتي واصفى إلى :

لكنها انفجرت فيه صائحة :

— اود نعم . سوف اصفى إليك يا سيدى . فاني لفي  
فضول شديد إلى سماع الإيضاح الذى سستكرم به على ..  
إن بين الجياد العشرة التى تحتويها حظائرك جوادين  
بخصاني . وهما من احسن الجياد الموجودة في باريس كلها ..  
وفد وعدت مدام « دى فيكتور » بان اعيرها عربتي كي تستر  
بها غدا في غابة بولونيا . فلما ذهب الحوذي ليمد العربة  
اكتشف الامر .. ولا شك أنك ضحيت بالجوادين بغية الحصول  
على بضعة آلاف اخرى من القرينات الحميرة . اود . يا ليلى  
من لثة بغيضة . فته هؤلاء المضاربين المحترفين !

نقال ليا « دانجلر » :

— سيدتي . إن الجوادين لم يكونا بالهدوء الذى يناسبك  
واقسم بشرقي امام الكونت اثنى لو لم اتصرف فيها منذ ساعات

نرني ان اهديهما إليه .. فيما لا يصلحان إلا لشاب في مقتبل  
العمر . وقد كنت متلغا إلى الخلاص منهما !

نقال الكونت :

— شكرا لك يا عزيزي البارون . لكنني في الواقع قد ابتعت  
لعرسي اليوم جوادين رائعين بتمنى لا اذكر انه كبير .. فهل  
المسيو « دبراى » ان بصارحنى برايه فيهما « إنه خبر في مثل  
هذه الامور كما سمعت !

وهنا اقترب « دبراى » من النافذة ليطلع منها على  
الجوادين . في حين اقترب « دانجلر » من زوجته وهمس لها :

— لم استطع ان اصارك أمام هؤلاء السادة بسبب تصرفي  
في الجوادين . لقد ارسل شخص مجنون او احمق وكيله  
ليسرهما دى نمر .. مريحت فيهما ستة عشر الف فرنك ..  
لا تمضبي سوف اعطيك ربع هذا الربح تفعلين به ما تشائين .  
كما اننى ساعطى « اوجينى » الفى فرنك .. افلم اكن محقا بعد  
هذا في بيع الجوادين ؟

وحذت البارونة زوجها بنظرة احتقار بالقه .. في حين  
صاح « دبراى » فجأة :

— يا إلهي .. لا يمكن ان اكون مخطئا . إن الجوادين  
الذين نتحدث عنهما . مسرجان إلى حرية الكونت !  
نهقت البارونة وهى تبرع نحو النافذة :

— آتفنى جوادى العزيزين ؟

— اردفت بعد ان رانها :

— حقا إنها جواداى !

فصاح الكونت متكلما الدعشة بدوره :

— عجباً !.. يا للمصانفة !

وشرد البارون وهو يهيم، نفسه للمشاهدة الخفية بينه وبين زوجته ، التى تم حاجبها عن اقتراب العاصفة .. وإذ ذاك تذكر فجأة أنه مرتبط بموعده سابق !.. كما انحنى الكونت « دى مونت كريستو » مستائفاً فى الانصراف . وخرج تاركاً « دانجلر » يواجه تأنيب زوجته !..

وبعد ساعتين ظلت البارونة رسالة رقيقة من السيد . يرجو منها أن تقبل جواديا العريزين هدية منه . قائلاً :

— لست أستطيع أن اتحمل فكرة اندماجى فى المجتمع الباريسى الرفيع إذا اشتريت ابنة موكبى بدموع سيدة حسنة !

\*\*\*

.. وفى اليوم التالى ، حوالى الساعة الثالثة . استدعى الكونت خادمة الذوى « على » بدقة واحدة للجرس ، فلما مثل فى حضرته ، ابتدره بقوله :

— لقد طالما حدثتنى عن براعتك الخارقة فى رمى الأنشوطه . وبعد قليل سوف تمر أمام البيت بأقصى سرعة عربيه بجرحه الجوادان اللذان رأيتهما فى عربتى أمس .. والآن أريد منك أن توقف هذين الجوادين أمام بابى ولو تلفك ذلك تعريض حياتك داتها للخطر !

— فهبط « على » إلى الطريق ، ورسم خطه مستقيماً على الرصيف عند مدخل البيت تماماً ، ثم أشار عليه الكونت ، فعاد هذا إلى الطابق الثانى من المنزل وأثقا من نجاح خطته !

وحين اقتربت الساعة الخامسة سمع صوت عجلات عربيه تقترب بسرعة . ثم ظهرت العربيه على الفور بجرحها جوادان جامحان حاول الحوذى المذعور أن يحد من سرعتيها الخفيفه ، ولكن دون جدوى !.. وكانت فى داخل العربيه امرأة حسنة وطفل فى السابعة او الثامنة . وقد تعانقا بقوة وأعجزهما الرعب حتى عن إطلاق أبة صرخة !..

وفجأة أخرج « على » الأنشوطه من جيبه . وألقاها بحيث قصعت السنتين الأماميتين للجواد القريب . ثم جذب به وراه فى عنف بالغ عدة خطوات قبل أن يستقل الجواد على « العربى » فيقعسه ، وبذلك يعوق الجواد الآخر عن متابعة عدوه !

وانتهز الحوذى هذه الفرصة الفريدة فقتل من فوق مقعده لينجو بنفسه . على حين أمسك « على » بخياشيم الجسواد الثانى وضغطها بنفسه الحديدية حتى خسر الجواد بجانب زميله وهو يتلوى من الألم !.. وقد حدث ذلك كله فى ثوان معدودات . لكنها كانت كافية لأن يخرج اصحاب الدور القريبة وضمهم لبروا ما هناك . وسرعان ما افتح الحوذى باب العربيه وأخرج راكبتها التى كانت إحدى يديها مقلصة على الوسائد فى حين أن يدها الأخرى تضم إلى صدرها ولوحا الذى تقفد رشده !

وتقدم الكونت « دى مونت كريستو » عجل المرأة وابنتها إلى صالونه حيث أرقدها فوق إحدى الأرائك المريحة . وهو يقول :

— استريحى يا سيدتى . فقد زال كل خطر !

فرغمت المرأة عينها لدى سماعها هذه الكلمات ورمقته بنظرة أبلغ تعبيراً من أى رجاء . وهى تشير إلى ابنها الذى ما زال غائبا عن الوعى !

نقال الكونت وهو يلحى الصبي بعناية :

— إنى أقدر سبب انزعاجك يا سيدتى . لكنى أؤكد لك أن ليس نمة داع للقلق . فما إغلاؤه إلا نتيجة طبيعية للرعب . وسوف يلبق بعد قليل !

سأله : « هل أنت واثق من أنك لا تقول ذلك كى تسكن روعى وتهدىء مخاوى ؟ » .

ثم انحنت على ولدها وهنفت به :

— يا حبيبى « إدوار » تكلم . . تحدث إلى امك . افتح عينيك الغائبتين وانظر إلى مرة أخرى !

وعادت فالتفتت إلى الكونت وقالت :

— سيدى . . أرجو أن ترسل فى طلب طبيب . . إنى لايش كل ثروتى فى سبيل إنقاذ حياة ولدى !

فأجابها الكونت بابتهامة عادية وحركة لطيفة من يده . ثم أشار عليها بأن تتحنى مخاؤها جانباً . . وفتح صندوقاً صغيراً

كان على قيد خطوة منه . وأخرج منه حقيبة صغيرة من الوجاج المصنوع بالذهب تحوى سائلاً أحمر فى لون الدم ، وسكب قطرة واحدة منه على شفتى الصبي الذى كان جامداً كالشمس . . فسرهم ما فتح عينيه ونظر محملاً فيها حوله . . فكادت الأم تبحر نرحاً . وقالت تلوم نفسها وقد حدثت مخاوفها !

— إن فضولى القمى هو المسئول عن ذلك كله . . لقد سمعت بارييس بأمرها تطلب فى امتداح جمال جوادى البارونة « دانجلر » فخطر لى أن أرى بنفسى هل يستحقان كل ذلك الإطراء . . هل سيدى يعرف البارونة « دانجلر » ؟

نقال الكونت :

— نعم يا سيدتى . وإن مما يزيد فى سعادتى بنجاسك من الخطر الذى كان يهددك أنى كنت بلا قصد منى سبب هذا الخطر الذى تعرضت له . فقد ابتعت أمس هذين الجواذين من البارون ، ولكنى حين نبئت مبلغ أسف البارونة عليهما . أعدتهما إليهما راجياً أن تتكرم بقبولهما هدية منى !

فألتفت : « إذن فانت الكونت « دى مونت كريستو » الذى حدثنى عنه « هرسين » كثيراً ؟ »

فقال : « لقد صدقت قراسك يا سيدتى ! » .

فألتفت : وأنا مدام « هيلوىز دى غيلفور » . . سيكون زوجى شاكراً لك حين يتف على نيا إنقاذك لزوجته وابنه . . إنه سيظل مديناً لك بحياتنا . فلو لا شجاعة خادمك الباسل لكان كل منا الآن فى عداد الأموات ! » .

وكان « فيلغور » قد شفى من إصابته بسكين « برنوشيو »  
الذى ظن أنه قتله . . وفي تلك الليلة سهرت باريس بأسرها  
تحدث عن هذه المغامرة ، فقد رواها « ألبرت » لأمه . وقص  
« شاتو رينو » نبأها في نادي الجوكرى . وسرد « دبراي »  
تفصيلاتها الكاملة في صالون الوزير . . كما خصص « بوشان »  
عشرين مطرا من صحيفته للإشادة بشجاعة الكونت وشهامته  
واعتباره بطل الساعة في انتظار نساء الطبقة الأرستقراطية في  
باريس .!

- ١٢ -

## المنفذ المجهول

استقل الكونت « دى مونت كريستو » غريته في اليوم التالي  
إلى بيت جويل يقع في شارع ميلاي ، رقم ٧ ، حيث دعى إلى  
زيارة « مكسميليان موريل » ابن ولى نعمته القديم صاحب  
السفينة ( فرعون ) . .

ولم يكد يدخل البيت حتى مد الضابط الشاب يده يصافح  
بها الكونت في حرارة ، قائلا :

— هيا بنا . . ساكون لك بمثابة الدليل . . [إن اختى  
الحديقة تقطع الورود الذابلة ، وزوجها يقرأ الصحف على  
بمدست خطوات منها . فحيثما تكون مدام « هريول » يوجد  
ممسو « إيمانويل » دائما : داخل دائرة لا يزيد قطرها عن  
أربعة أمتار !

ولما دخلا الحديقة رأى الكونت هناك شابة في نحو العشرين  
أو الخامسة والعشرين من عمرها ، ترتدى ثوبا حشرييا من  
نياب الصباح ، وما سمعت وقع خطاهما حتى رفعت رأسها عن  
ورودها متطلعة إلى القادمين . وكانت هي « جولى » التى أضحت  
تدعى بمد زواجها « مدام إيمانويل هريول » . . وقالت  
للضيف الكبير :

— آه يا سيدى . . إنها لخيانة من أخى أن يحضرك على  
هذا النحو ، بلا إخطار سابق . . الكونت لم يسمع بهذا  
حساب

لاخوته المسكينة . أرجو ان تسمح لى بان أتركك لبضع دقائق !

وقبل ان تنتظر جوابا اخذت وراء اجمة من الأشجار ، ثم اسرعت إلى البيت عن طريق مر جانى . على حين قال :  
« مونت كريستو » لآخيها !

— إننى لشديد الأسف إذ أرى انى أسبب لأفراد المنزل انزعاجا كبيرا !

نقال « مكسليان » ضاحكا :

— انظر هناك ، هذا زوجها بيدل سقرته باخرى . أؤكد لك أنك معروف جيدا فى شارع ميلادى !

نقال الكونت ، كأنها يحدث نفسه :

— يبدو ان أسرتك من الأسر السعيدة !

نقال الضابط :

— بلا شك ، إذ لا يتقصيا شئ من مقومات السعادة ، أفرادها يستمتعون بالشباب والمرح . وكل منهم شديد التعلق بالآخر ، وبفضل إيرادهم البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك فى السنة يحسون أنهم فى غنى « روتشيلد » !

نقال الكونت « دى مونت كريستو » بلهجة عذبة رقيقة وقعت من سمع « مكسليان » موقع صوت الأب البار :

— مع ذلك فإن المبلغ ليس كبيرا . وهم لن يفتقروا به . . هل زوج أختك محام ، أو طبيب ؟

— كان تاجرا ، وقد خلفه أبى المسكين فى تجارته . . ذلك ان مسيو موريل عند وفاته ترك نصف مليون فرنك ، قسمت

بالتساوى بين أختى وبنى . فقد كنا ولديه الوحيدين . أما زوج أختى — الذى لم يكن بملك عند زواجه منها غير مائة الفيل من نزاهة اليد وكفاءة الذهن والسمعة النظيفة — فقد أراد أن يكون له مال لا يقل عن إرث زوجته . فراح يكد ويحصد حتى جمع فى خلال ست سنوات ربع مليون فرنك . بمعاقته زوجته التى شاركتها كناعه وقعبه . وقد ضجت مارسيلىا بشرها بالفناء على جباههما المشترك . . وأخيرا جاء « إمانويل » ذات يوم يقول لزوجته وقد غرقت من مراجعة الحسابات :

— لقد سلمنى الوكيل منذ برهة المائة فرنك الأخيرة التى يكتل لنا بها مبلغ الربع مليون فرنك الذى حددناه ثروة لنا ! فهل تتمتعين بهذه الثروة الصغيرة التى ستكون عمادنا للمستقبل ؟ اصغى إلى . إن مؤسستنا نقداول أعمالا تبلغ المليون فرنك سنويا ، يصيبنا منها دخل قدره أربعون ألفا . . وفى استطاعتنا — إذا أردنا — أن نبيع تجارفتنا فى أية سنة . . فقد تلقيت خطبا من مسيو « ديوناي » يبرهن أنه ان يشتريها بثلاثمائة ألف فرنك . فهذا ثمين !

فاجبت أختى مؤكدة له ان « مؤسسه موريل » لا ينبغي ان يتولاها غير فرد من « أسرة موريل » . . وأن ثلاثمائة ألف فرنك لا تساوى احتفاظها باسم أبيها . وحمايته من شرور الثروة الحرام أو الإفلاس .

فقال لها « إمانويل » : هذا ما رأيته . لكنى أردت أن اعرف رأيك أنت . . على انى أقترح أن تستغنى عن نصف مليون فرنك الذى يملكه لنا رأس « إمانويل » . .

وقد اتفقا على هذا ، وكانت الساعة وتنتد الثالثة ، وبعد ربيع ساعة دخل تاجر ليؤمن على سفينتين له لدى المؤسسة ، الأمر الذى كان يدر عليهما ربحا قدره خمسة عشر ألف فرنك ، فقال له « إيمانويل » : « لقد اغلقنا مكاتبنا وصرفنا أعمالنا منذ ربيع ساعة فقط ! » .

ومنذ ذلك التاريخ نمت أختي وزوجها بإبرادهما البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك في السنة ! » .

ولم يكد « مكسليان موريل » يفرغ من قصته ، التى أرهقت مشاعر الكونت « دى مونت كريستو » من فرط ما نهت عن نبل وقناعة ، حتى أقبلت « جولى وإيمانويل » ، فقال الكونت بخاطب الزوجة :

« اغفرى لى الانفعال الذى يبدو على يا سيدتى ، وقد يدهشك هذا ، أنت التى الفت السعادة التى ترغف على هذا البيت ، لكن منظر البشر والقناعة على محيا إنسان لا شك أنه منظر جديد بالنسبة لى ، بحيث لن أمل النظر إليه . على وجهك ووجه زوجك !

فأجابت « جولى » : « نحن سعداء حقا يا سيدى ، لكننا عرفنا أيضا التماسه غيرة من الزمن ، بل قل بين الناس من ذاقوا مثل الآلام المبررة التى ذقناها ! » .

وهنا بدت على وجه الكونت علامات الفضول ، فى حين أردف « مكسليان » :

« إن هذا يغضى بنا إلى حمورة متواضعة من تاريخ الأسرة قد لا تعنيك كثيرا ، أنت الذى الفت ألا ترى غير مباحج الأثرياء والبارزين وحدهم .. لكن الواقع أننا قاسينا الكثير من الأحزان المرة ! » .

فقال الكونت « دى مونت كريستو » فى لهجة تساؤل :

« عسى أن يكون الله قد أنهى أحزانكم بفضل ورحمة . كما يصنع لجميع المعذبين الصابرين ! » .

فأجابت « جولى » : « نعم يا سيدى الكونت ، ليس يسعدنا إلا أن نعرف بذلك ، فلقد صنع الله من أجلنا ما لا يصنعه إلا لخاصته المختارين . فأرسل إلينا أحد ملائكة الرحمة ليُنقذنا مما كنا نعانيه ! » .

وهنا تورد خدا الكونت نصارا فى لون القرمز . ثم سعل كي يجد مبررا لوضع منديل على فمه .. على حين أردف « إيمانويل » قائلا :

« أن أولئك الذين يولدون فى الثراء ويملكون وسائل إشباع جميع رغباتهم لا يعرفون كيف تكون السعادة الحقيقية فى الحياة . أما الذين عاشوا وسط أمواج الحياة وأغاصوها غوصا ، وحدهم يقدرون قيمة الجو الذى يسوده الصفاء والهدوء !

ونفض الكونت دون أن يجيب بكلمة . خسية أن ينفض صوته مدى انفعاله . ثم راح يزرع الحجرة زاهبا آيبا فى خضوات بطينة . فقال له « مكسليان » وهو يتيمه بعينه :

« إن اقوالنا تدحكك . البر .. »



غوض الكونت إحدى يديه على غيبه . ليهدى من ثاقوته .  
وأشار باليد الأخرى إلى غطاء من البلور نحتت كبس من الحرير  
موضوعة فوق وسادة من القطنية السوداء ، وقال :

— كلا يا سيدي ! .. وإنما كنت أتمنى هذا الكبس الذى  
يحوى ورتة فى أحد طرفيه ، وبماسة كبيرة فى طرفه الآخر :

فقال مكسليان وقد ارتسمت على وجهه علامة الجد :

— سيدي الكونت .. هذه هى أمتن كنوزنا العائلية :

فقال الكونت : .. إن هذه الماسة تبدو ثمينة  
حدا ..

وجنا تدخلت جولى : فى الحديث قائلة : « إن أخى لا معنى  
سبه هذه الماسة — برغم أنها تزينه الف ريال ولكنه  
يمنى أن الأسماء التى يحتويها هذا الكبس هى تذكارة الملاك  
الذى حدثك عنه الآن .. »

فقال الكونت وهو ينحنى لها : « عفوا يا سيدي .. أيسى  
لا أقيم شيئا من هذا . ولست أطلب التوقف على خفايا أمره ،  
فليس من عادتي أن أتطفل على أسرار عائلية لا تخصنى ! »

فأجبت جولى : « متحسنة » : ليس هذا تطفلا يا سيدي ..  
كلا بل إنه ليسعدنا أن نعلمنا الفرصة التى نعيش فى هذا  
الموضوع . ولو كنا نمضى خلف الصنيع النبيل الذى يرمز إليه هذا  
الكبس لما عرضناه للعيان هكذا ! أوه ! .. أبقنا نستطيع أن  
نروي القصة لكل إنسان وفى كل مكان . لعل هذا يوصلنا  
إلى معرفة ذلك المحسن المجهول ! ..

فتساءل الكونت فى صوت أشبه بالمخفق : « حقا ؟ » .

وسارع « مكسليان » إلى رفع الغطاء البلورى عن الكبس  
الحريرى . ثم لشمه فى احتراام وتوقير وقال للكونت : « سيدي  
.. إن هذا الكبس قد لمس يد الرجل الذى أفتقد أبى من  
الانتصار . وانقذنا نحن من الدمار . بل انقذنا من العار  
والقضيحة ! .. نعم إن ذلك الملاك الكريم الذى لا يبارى جعلنا  
نتجو من مصر كله فاقة وعوز . ونصبح فى حال يحسدنا  
عليها الناس ويغبطوننا على سعادتنا ! .. وإليك الخطاب  
الذى كتبه ذلك الملاك الكريم فى اليوم الذى انتهى منه أبى إلى  
اتخاذ قرار الانتحار ! .. أما هذه هى الماسة التى وهبها  
المحسن المجهول لأختى لمناسبة زواجها ! .. »

ونشر الكونت الخطاب وقرأه فى غبطة ظاهرة . وكان الخطاب  
موجها إلى « جولى » : « وموقعها عليه باسم " السعداء  
البحرى ! » .

فتساءل الكونت :

— هل الرجل الذى أدى لكم هذه الخدمة مجهول لديكم تماما  
حتى الآن ؟

فأجاب « مكسليان » :

— نعم يا سيدي . إذ لم يسعدنا الحظ يوما بأن تصالحه .  
برغم أننا طالبنا الشمس من السماء أن تمنحنا هذه المنة .. لكن  
الأمر كله قد اتخذ اتجاها غامضا عجزنا عن فهمه ، وقادته  
من بدايته إلى نهايته : يد خفية — وإن تكن قوية — أشره  
بأن تكون بد ساهر !

تهنئت « جولى » :

« إنى لم أفقد الأمل بعد فى أن أستطيع يوماً تقبيل يديك . كما أقبل الآن هذا الكيس الذى لمسته . . . وقد كاد يتم لى ذلك ، فمئذ أربعة أعوام كان « بنيلون » البستاني الذى يعمل فى حديقة الدار . وقد كان فيما مضى بحاراً - يجول على رصيف ميناء « تريستا » حين رأى ثريا إنجليزية يتأهب للإبحار فى مخته الخاص . فعرف فيه الشخص الذى زار أبى فى الخامس من يونية سنة ١٨٢٩ ، والذى كتب لى هذا الخطاب فى الخامس من سبتمبر . وقد استوثق « بنيلون » من شخصه لكنه لم يجرؤ على مخاطبته . . . »

فقال الكونت « دى مونت كريستو » وقد اقلقته الفطردة الفاحصة التى رمقته بها « جولى » : « إنجليزى ! . . أهو ترى إنجليزى ؟ »

فأجابه « مكسليان » : « نعم . إنجليزى تقدم إلى أبى باعتباره المندوب الخاص لبنك « تومسون وفرنش » فى روما . وهذا ما جعلنى أجعل حين سمعك تذكر فى منزل ميسيو « دى مورسبروف » أن البنك الذى تتعامل معه هو بنك « تومسون وفرنش » . . . فقل لى بربك : هل تعرف ذلك انشى الإنجليزى ؟ »

فقال الكونت وهو يتكلم الهدوء : « لكذك ذكرت لى أن بنك « تومسون وفرنش » أنكر جائزاً أنه أدى لكم تلك الخدمة ؟ »  
فاوماً « مكسليان » موافقاً ، فى حين واصل الكونت كلامه فقال :

« إذن . . ألا يحتمل أن يكون ذلك الإنجليزى شخصاً أدى له والدك مئباً يوماً ما . تسية بعد ذلك ، ففكر هو أن يردده له بهذه الطريقة الغامضة ؟ »

« كل شىء جائز فى هذا الشأن ! »

« وما اسم هذا الإنجليزى ؟ »

« إننا لا نعرف له اسماً غير اسم « السندباد البحرى » الذى وقع به على خطابه ! »

« ألم تكن له قاتمى ، أو أطول قليلاً . وكان يرتدى رباطاً زينة يصل إلى ذقنه . وستره ملتصقة بجسمه . . . ومن عادته أن يخرج قلبه من جيبه كل حين ؟ »

تهنئت « جولى » وقد لمعت عيناها غبطة : « نعم . . نعم . إنك إذن تعرفه يا سيدى . . وأمرحاته ! » .

فقال الكونت : « كلا ! . . وإنما أنا أستنتج فقط . فقد عرفت شخصاً اسمه اللورد « ويلمور » اعتاد أن يقوم بقرصانات من هذا النوع ! »

فسالته : « هل كان لا يفسح عن شخصيته أيضاً ؟ »  
فأجابه : « إنه كان مخلوقاً شاذاً ، لا يؤمن بأن لعرقان الجميل وجوداً ! » .

تهنئت بمنجبه « رياه . . . . . »  
« جاب الكونت وقد لمست شفاف قلبه لحظة « حولى »  
الغياضة بالامتنان : « إنه لم يكن . . . »

عرفته فيها .. وعنه تبين بعد ذلك ان الاعتراف بالجهيل  
بالأرض موجودا على الأرض ! ..

عذلت به بتوسله : إذا كنت تعرف هذا الشخص - غايي  
رجو منحه في الرجاء ان ترشدنا إلى مكانه .. آه لو عشنا  
نفسه ! .. إن لأفغناء بوجود الاعتراف بالجهيل .. والاعتراف  
بعدمه من القلب ! ..

والحق أن قوله : من توسل به فإني مضى من عيشه .. فليس  
بواجب بل هو الحجر الذي جرى بخطوات الربيعه .. في حين  
تأشده « مكمليل » فإلا : بحق السياره أكثر فأكثر معرفته  
من ذلك الشخص ! ..

عنه الطوبى الذي يؤمنه كرسنوا .. وهو بجاهل لمفع  
تفعاله :

إنا قال لورد ويلدور : « هو ولي نعمتكم المجهول  
ما حتى أنت لن تروه ثانية : لقد افترقت عنه منذ عامين في  
( بالرمو ) .. وكان يتأهب للإبحار إلى أقصى أطراف الأرض  
بحيث اعتقد أنه لن يعود مرة أخرى !

ذلك حوالى : ريد مايب الدموع بماقيا : « تعلى أني  
في ريد مايب : هذه تسوة منك ! »

وحال الكوث في هذه حاده وهو غفلت .. بعد إلى  
لؤلؤنن : فخرس على خديها : « لو كان لورد ويلدور »  
قد رأى ما أراد الآن .. لأحب الحياة .. فإن الدموع التي ندرمها  
كانت كعيلة بأن تعبد إليه حسن .. فإني .. ثم من



الكونت يده إلى « جولى » مصافحا ، فقالت وهى تضع يدها في يده : « ولكن .. ليس للورد « ويلمور » أسرة او اصدقاء نستطيع ان ... ؟ »

فقطع الكونت كلامها ثائلا في لطف :

« لا تتعيبى نفسك في الاستقصاء ، فلعلة لا يكون الشخص الذى ادى لكم ذلك الصنيع .. لقد كان اللورد صديقى الحميم ، ولم يكن يخفى على اى سر خاص به ، فلو انه كان صاحب ذلك الصنيع لأضى إلى بما فعل ! »

وعندئذ خف « مكسميليان » إلى تجدة الكونت ، وقال لأخته : — إن السيد على حق يا أخنائه .. تذكرى ما طأنا قاله لك ابونا البار : « ليس الرجل الإنجليزي هو الذى اتقنا » . وهنا سأل الكونت فى لهفة : « ماذا قال لك والدك مسيو « موريل » ؟ »

فاجاب : « كان من رأى والدى ان ذلك الصنيع من قبيل المعجزات ، وان صانعه قد بعث من القبر ليتقنا ، اوه .. انما كانت خرافة مؤثرة يا سيدى ، وبرغم اننى شخصيا لم اصدقها فإني لم أشأ ان احطم إيمان أبى بيا .. وكم من مرة جاء حواء وذكر اسم الصديق العزيز الذى فقده للابد ، والذي عزأ إليه ذلك الصنيع ، بل إنه حين حضرته الوفاة ، واضاعت ساعة الاحتضار ذهنه بنور خارق للطبيعة ، تحولت عنده هذه الفكرة إلى يقين قاطع .. فكانت كلماته الأخيرة لى : « مكسميليان » .. إنه « إدمون دانتيس » الذى اتقنا ! » .

وهنا بلغ شحوب وجه الكونت درجة مزعجة ، فلم يقر على الكلام ، ونظر إلى ساعته كمن نسي موعدا هاما . ثم نطق على عجل ببضع عبارات موجبة إلى مدام « هريول » ومافج كلا من « مكسميليان » و « إيمانويل » وهو يقول لها : « سيدتى ، إننى لأطمح فى ان تسمحن لى بزيارتكم بين حين وآخر ، فأنا أقدر صداقتكم واشكركم على حفاظكم . فهذه هى المرة الاولى التى أطلق فيها العنان لمشاعرى منذ سنوات ! » .

ثم غادر البيت مسرعا !

وقال « إيمانويل » على اثر خروج الكونت :

— إن الكونت « دى مونت كريستو » رجل غريب الاطوار ! فقال « مكسميليان » : « نعم .. لكنى أحس عن يقين ان له قلبا نبيلًا ، وأنه يحبنا ! » .

وقالت « جولى » : « لقد تغفل صوتى إلى أعماتى ، وخيل إلى مرتين او ثلاثا اننى سمعته من قبل ! » .



الكآبة . بحيث كان الفاحص المدقق يستطيع ان يلمح فى عينيهما آثار دموع قد جففت !

كانت « فالتنين » غفلة طويلة القامة رئيسه لفسد . فى الساعة عشرة من ممرها . ذات ممر لفسد . وعين رومانوين عبيتين . ومظهر وقور يوحى بالاستقرارية الهادئة التى كانت تميز امها . وكانت اصابعها البيضاء الدقيقة . وغنتها العاجى . وخذاها المصطيفيان بالوان وظلال شتى . تذكر الناظر إليها بالحسان الانجليزيات اللواتى قسارنهن «المرءء بالجمعات ذوات الجلال !

وحينما دخلت الفتاة الحجرة ، ورات إلى جوار زوجة أبيه الرجل الذى سمعت كثيرا من الاحاديث عنه . عثت إلى تحية دون أى ارتباك حسيبىانى . بل دون ان تغض من بصرها . وبرشاقة شاعفت انقباه الكونت إليها . فقبض لرد لها التحية !

وحين قدميا له زوجة أبيها باسمها اردف «إدوارد» اخوها يكمل التعريف . وهو يرمقها بنظرة مأكرة : « وهذا مسو " دى مونت كريستو " ملك الصين وإمبراطور الهند الصينية . »

وهنا شحب وجه أمه واستبد بها الغضب على الغلام الشقى . لكن 'لكونت ابتسم فى غير غضاضة ونظر إلى " إدوارد " فى تسامح جعل قلب الأم يسترد فرحته ونحيبه . . ثم واصل حديثه فقال وهو ينقل بصره بين مدام "دى فيلفور" و « فالتنين » : « ألم أشرف من قبل بلفانكما ؟ . لقد دار هذا

يخاطرى منذ البداية . وحين دخلت الأنسة أضاف برأها شعاعا جديدا من الضوء على ذكرى متوشة فى ذهنى ! »

فاجابت السيدة « دى فيلفور » : « لست أعتقد ذلك يا سيدى . فان الأنسة « دى فيلفور » ليست شغوفة بالجمعات . ونحن لا نخرج إلا نادرا ! . »

فقال : « إذن . . لم يكن المجتمع موضع لقائى بالأنسة . أو بك يا سيدتى . أو بهذا الغلام المرح الجذاب . . ثم ان مجتمعات باريس ثرية على تماما فانى لم أحضر إلا منذ أيام . . ولكن ربما كان ذلك اللقاء فى إيطاليا . . كانت الأنسة تسير فى الحقيقة . وذهب أبوك بيلارد طاووسا ! »

وهنا تدخل الغلام « إدوارد » فقال بعد ان اوما موافقا : نعم . . نعم يا اماد . وقد امسكت بذلك الطاووس وانتزعت ثلاث ريشات من ذيله . . الا تذكرين ؟ »

واستعرد الكونت : « اما أنت يا سيدتى فبقيت فى ظل الكرمة . . الا تفكرين أنك وأنت جالسة على مقعد حجرى . فى غيبة الأنسة " دى فيلفور " وأبوك ، تحدثت فترة من الوقت إلى شخص ما ؟ »

فاجابت الزوجة الحياء وقد صعد الدم إلى رجليها : « نعم . . هذا صحيح . . اذكر أنى تحدثت إلى رجل يرتدى عباءة طويلة من الصوف . كان طبيبا على ما أذكر ! »

فقال الكونت :

— تماما يا سيدتى ، وذلك الرجل الطيب لم يكن

سواى !.. كانت قد انقضت مدة على وجودى فى الفندق .  
وقد استطعت خلالها أن اشفى خادمى من حمى أصابته .  
وأشفى صاحب الفندق من داء الرقان . فاكتميت بذلك صيا  
ذائعا هناك . . وقد تحدثنا يومئذ يا سيدتى فترة طويلة من  
الوقت ، فى موضوعات شتى مثل " بيروجنتو " و " رافاييل " ،  
والمعادن والأزياء . . كما تحدثنا عن علم مزج السمائل .  
وذكرت لى أن أشخاصا معينين فى ( بيروجنا ) يحتفظون

بقالت المرأة منعجة . فى شيء من القلق :

— نعم . هذا صحيح . . أذكر ذلك الآن !

واستطرد الكونت فقال فى عدو ، تام :

— لست أذكر جميع الموضوعات التى تكلمنا فيها يومئذ  
يا سيدتى ، لكنى أذكر بوضوح أنك وقعت فى الخطأ الذى وقع  
فيه غيرك بصدد براعتى فى الطب . فاستشرتني بشأن صحة  
الآنسة " دى فيلفور " !

وفى تلك اللحظة دقت الساعة السادسة : فالتفتت مدام  
" دى فيلفور " إلى " غالتنين " وقالت ليا فى انفعال :

— الساعة السادسة الآن . . هل لك أن تذهبى لترى هل  
جذك بريد تناول عشاءه ؟

فتنهضت " غالتنين " وغادرت الغرفة : بعد أن حبت الكونت  
دون أن تجيب بكلمة . . فقال الكونت :

— أواه يا سيدتى . هل يسببى أبعدت الآنسة " دى فيلفور "   
عن الغرفة ؟

— كلا . . إنها الساعة السادسة . وهى الموعد المحدد  
لإعطاء المسيو " نوارتييه " الوجبة الإجبارية التى سمينه على  
الاحتفاظ بها بقى من قواه . . إنك على علم يا سيدى بحالة  
الانحلال التى أصيب بها والد زوجى . البس كذلك ؟

— نعم ، لقد حدثنى مسيو " فيلفور " عنيا مره . إنها  
حالة شلل على ما أذكر !

فقالت : " نعم . إن الكهل المسكين لا يقوى على أية حركة  
.. ولم يبق محتفظا بشأظه فى جسمه غير عقله . وأواه بدأ  
بضعف ويخضع . كتور الصباح الذى يوشك أن ينطق . . .  
ولكن اغفر لى يا سيدى كلامى فى متاعنا البشيمة . لقد فاطمتك  
فى اللحظة التى كنت فيها تحدثنى عن مراعتك فى الكيمياء : " .

فقال : " كلا يا سيدتى !.. لم أقل ذلك نهائيا . وما درست  
الكيمياء إلا على أثر اعتزامى العيش فى الأجواء الشرقية . كى  
أتفهم نهج الملك " ميتريدانس " الذى . . " .

وهنا قطع الصبي كلامه وقال وهو ينتزع بعض الصور  
" جميلة من " اليوم " ثمين :

— أهو الملك " ميتريدانس " الذى كان يغتر كل صبيح  
بكأس من السم المزوج بالكريمة ؟!

فتنهضت به أمه وهى تنتزع " اليوم " الصوري من يمينه :

— أسكت أيها الشقي ! .. لقد صرت لا تحسن . أنك  
تزعجنا وتقطع حديثنا ، فتركنا والحق بأختك ، فالتفتين « إلى  
غرفة جدك !

ثم نهضت فمادت الغلام من يديه حتى الباب . وتبعها الكونت  
بعينيه وهو يحدث نفسه : « ترى .. هل تغلق الباب خلفنا ؟ » .

وأغلقت مدام « دى نيلفور » الباب بإحكام بعد خروج  
الصبي ، فغذاهر الكونت ياته لا يلاحظ حركتها . ولما عادت  
إلى مقعدها أخذت تلتقى على ما حولها نظرة فاحصه .  
فانسطرد الكونت ، قائلا :

— لقد قاطعت الغلام وهو يذكر فذلكه تاريخية ثبتت لدى  
اهتمام معلمه بتتقيقه .. !

فالتفت الأم في شيء من الزهو :

— إنه ذو قابلية للعلم ، وهو لا ينسى أى درس يلقى عليه  
.. لكن عيبه الوحيد أنه شديد العناد . ولناسبة هذا الذى  
تاله . هل تصدق حقا أن « ميتريدانس » كان يستعمل تلك  
الوسائل ، وأنها كانت ذات أثر حقيقى ؟

فقال الكونت : « نعم اعتقد ذلك يا سيدتى . لأنى أنا نفسى  
قد جربتها ، كى آمن شر الموت بالسم فى رحلاتى المتعددة فى  
نابولى ، وباليرو ، وازمير .. أعنى فى مناسبات ثلاث كنت  
فيها سأفقد حياتى لولا تلك الوسائل الاحتياطية ! »

فالتفت : « إننى أذكر الآن أنك أشرت إلى شيء من عذا  
القبيل خلال حديثنا فى بيروجيا .. اليس كذلك ؟ كما أذكر أنى

سألتك يوما : هل السموم تحدث أثرها فى أهل الشمال وأهل  
الجنوب على حد سواء ، فاجبت بأن الشماليين بطبيعتهم أميل  
إلى البرود والكسل ، وهذا يجعل قابليتهم للسمم أخف من  
قابلية أهل الجنوب ذوى الطباع النشطة والحيوية .

فقال الكونت : « هذا صحيح ، ولقد رأيت بعينى أفرادا من  
الروس يفتاولون أعشابا خاصة ، لو تناولها إنسان من العرب  
أو سكان الشرق الأوسط لقطعه لمورا ! » .

فسأله فى اهتمام : « تعتقد هذا حقا ؟ .. أعنى هل خطر  
هذه الأعشاب أشد على من يعيشون فى جو لا تكثر فيه الأمطار  
والغيوم ، لأن هذه تجعل الأجسام أقل قابلية لامتصاص  
السموم ؟ » .

فأوما الكونت موافقا ، وقال :

— نعم . لا ريب فى ذلك يا سيدتى . لذلك ينبغي أن يحسن  
قد السم من لم يالفه من قبل . لكى يعود جسمه .

فالتفت : « أستطيع أن أقوم ذلك .. ولسكن كيف تعود  
نفسك السم . أعنى كيف عودت نفسك فى المرات السابقة ؟ » .

فقال : « هذا سهل جدا .. فلو غرضنا أنك عرفت سبلنا  
نوع السم الذى سوف يفسد لك .. ولكن هو البروسين  
مثلا .. ثم تناول فى اليوم الأول مقداراً منه ، وفى اليوم الثانى  
ضعف هذا المقدار .. وهكذا لمدة عشرة أيام ، غناك تصيرين  
قادرة على أن تتعاطى مقداراً كبيراً منه دون أن يصيبك ضرر  
لذكر .. بينما لو أعطيت هذا المقدار لسم لا تأكل .. تناول



المقادير الصغيرة السابقة . غاته يقتله ! .. وهكذا يمكنك في نهاية الشهر أن تشربى الماء من إناء واحد مع شخص آخر . غيموت هو .. في حين لا تشعرون أنت بفقر مضايقة بسيطة .. ! » .

فأقلت « مدام دى فيلفور » في لهجة من نعم الفكر : « لقد طالما قرأت تاريخ « ميتريدانس » وأعدت قراءته . لكنى كنت اعتبره بمثابة أسطورة خرافية ! » .

فقال الكونت : « كلا يا سيدتى ! .. إنه — بعكس أكثر ما يرويه التاريخ — صحيح تماماً ! .. لكن ما يستعجزين عنه ليس فيما يبدو ثمرة فضول طارىء . فمنذ عامين سالتنى هذه الاسئلة نفسها . وقلت لى يومئذ إن تاريخ « ميتريدانس » عند شغل فكرك زماناً ! » .

قالت : « هذا صحيح . فقد كان علم النبات والجيولوجيا — أحب العلوم إلى فى زمن الدراسة .. وأنا أميل بطبعى إلى العلوم التى تخاطب الخيال كالشعر . والعلوم التى تخضع للارقام مثل الجبر .. ولكن استمر . محدثك يلذ لى جداً ! » .

فقال الكونت : « الأغرب من ذلك يا سيدتى أن الشرقيين لا يستحدون السم كدرع للافاقه — كما فعل « ميتريدانس » — بل كخبر للعدوان ! .. فالعلم فى أيديهم لا يكون سلاحاً دفاعياً فقط . بل للجوهر أيضاً . وهكذا يحييهم من خصومهم ويخلصهم منهم فى الوقت نفسه .. فيم بواسطة الآيون وست الحسن البالدونا وغيرها من العقاقير يقيمون إلى الأبد كل

من يخشون زيبقوا ساحرين ! .. وما من امرأة من نساء المصريين والآثراك واليونان اللواتى نسيجن هذا النساء الفاضلات) لا تعرف كيف تستعين بالكيمياء على قضاء أغراضها . بحيث تدعش الطبيب المحترف ، وتذهل العالم النفسانى الذى يتلقى اعترافات الناس ! » .

فتساءلت مدام « دى فيلفور » وقد لمعت عينهاها بوجه غريب : « حقا ؟ ! .. على حين استنكر الكونت فقال :

— أما عندنا حين فإن أى ساذج نملكه سلطان الحق أو الطمع ورغب فى التخلص من عدو أو قريب ، يذهب عادة إلى حانوت البقال أو الصيدلى منتحلاً لنفسه اسماً زائفاً — يورد إلى اقتضاحه فى الواقع أكثر مما لو ذكر اسمه الحقيقى ! .. ثم يبتاع خمسة جرامات أو ستة من الزرنيخ « بحجة أن القرن ترعج نومه ! .. وإذا كان الشخص ملكاً فإنه يحصل على هذه الكمية من حوانيت مختلفة . يكرر فى كل منها القصة ذاتها ، فيضع نفسه تحت رحمة شيوع عديدين متفقى الشهادة .. ثم يسقى خصمه جرعة من السم تكفى لقتل أضخم الفيل ! .. أو الموت ! .. وتجعله يصرخ مستغيثاً فيجمع حوله الجيران وسكان المنطقة .. ثم لا يلبث أن يصل رجال البوليس والمباحث . وفى أثرهم الطبيب الشرعى الذى يشرح الجثة فيجد فى أعماقها من بفايا الزرنيخ ما يملأ ملعقة ! .. وفى اليوم التالى تصدر الصحف جميعاً . وفى صدرها كل البيانات . واسم القاتل . والقاتل . فبرغ المقاتلون والمبالدة ليشهدوا ضد المتهم الذى يساق إلى المحكمة كما يساق الكليل فى المنيح ! ..

ضده الحكم وينعذ فيه الإعدام .. أو - إذا كانت امرأة -  
تسجن مدى الحياة ! .. وهذه هي الطريقة التى يتبعون بها  
أنتم أهل الشمال علم الكيمياء .. لكن - شبرو - كان فى الواقع  
أبرع من ذلك !

فقالت المرأة ضاحكة :

- ماذا تتظن منا يا سيدى ؟ .. نحن نفعل بما فى مقدورة  
.. وليس جميع الناس على علم بأسرار ومسائل أسرة "بورجيا  
واسرة " مدينتى " ! » .

فاجاب الكونت وهو يهز كتفيه :

- هل نبيغين أن أذكر لك سبب هذه الحماقات ؟ .. -  
مسارحكم التى ألف الانفارة غيبا أن يروا المثل بجرع محنومات  
قارورة بأكملها ، فيسقط ميتا على الفور .. ومنه نحن ننتج  
يسدل الستار ويتفرق المتفرجون دون أن يمتروا فيها يحدث  
عادة فى مثل ذلك الحوادث من حضور مفتشى المباحث  
واستجوابهم المثير ، ثم الاقتصاص منه .. وهذه الروايات  
غير المتقنة تؤثر فى دوى العقليات الضعيفة فيتوهمون أن الأمور  
تجرى على هذا المنوال .. ولكن ابتعدى عن غرفسا وتوغلى  
جنوبا إلى صقلية أو كورسيكا - أو حتى إلى نابولى وروما ..  
فلسوف تجددين هناك اناسا يملكون محبتك فى الطريق .  
منقصى القامة ، باسمى الثفور ، متوردى الوجوه .. ولكن  
لو رآهم " أسموديوس " لقال على الفور : « هذا الرجل قد  
دس له السم منذ ثلاثة أسابيع - وسوف يموت بعد شهر ! » .

وهنا سألته بدام « دى فيلفور » :

- إذن فقد اكتشفوا مرة أخرى أسرار علم السحائر  
والسحوم . الذى قيل إنه فقد فى « بيروجيا » ؟

فقال : « نعم يا سيدتى .. وهل تفقد البشرية يوما شيئا ؟  
.. إن السحوم تحدث أثرها بصفة خاصة فى عضو من الجسم  
دون آخر .. غيناك سم يسبب سعالا مثلا ، والسعال يحدث  
التهابا فى الرئتين - أو شيئا من هذه الأمراض المهمة المنصوص  
عليها فى كتب الطب . وهى وإن لم تكن مميتة بطبيعتها - بل  
الاطباء الأغبياء - الذين هم عادة جهلة بالكيمياء - كتيلون بأن  
يزيدوا الداء استفحالا .. ثم يموت المريض الذى قتل ميراث  
ومن دون أن يصل إلى علم العدالة شئ عن الجريمة !  
فقالت الزوجة الشابة وقد اجلسها الانبياء جامدة فى مكان  
بلا حراك :

- هذا امر مخيف جدا ، لكنه شائق فى الوقت ذاته ..  
واعترف بنى كنت أحسب هذه الأقاصيص من ابتداء القرون  
الوسطى !

فقال الكونت :

- وإنما لكذلك حقا ، ولكن نصيبتات كثيرة أدخلت تطييب  
فى عصرنا الحاضر .. فما جدوى الزمن بل ما جدوى مكافآت  
التفوق والأوسمة والنياشين والجرائد العلمية إذا هى لم تأخذ  
بيد المجتمع نحو كمال أوق ؟ .. على أن الإنسان لن يبلغ درجة  
الكمال المطلق حتى يتعلم كيف يخلق وبملك . وهو يعرف كيف  
يملك .. وهذه نصف المعركة !

يجب أن يعلى دمه في عروقه ويرتفع نبضه . وتستثار  
مشاعره إلى أقصى حد . . ولكن لو فرضنا أنه استعاض عن  
الكلية الخشنة بمبادئها الأكثر نعومة ، وبدلاً من أن يرتكب  
جريمة القتل الفظيعة يكتفى بإبعاد خصمه عن طريقه ببساطة  
دون عنف أو خشونة ، ودون لجوء إلى الإلزام التي تحصل من  
الضربة شديداً ومن المعتقدى جزاراً . . بل دون ذلك . . أو  
تاوغات ، أو هزات عنيفة . . ودون إحساس بوطأة اللحظة  
المروعة الحاسمة . لحظة ارتكاب الجريمة الفاصلة بين الحياة  
والموت . . عندئذ يصبح في إمكان الشخص أن ينجو من قبضة  
القانون البشرى الذى يقول : « لا تزعم المجتمع » . . وتلك  
على الطريقة التى يدبر بها الشرقيون هذه الأمور وينجحون  
فيها . حيث لا يقيم الناس اعتباراً للزمن ولا يسمعون  
الناسخ ! » .

تقالت بدمام « دى فيلفور » بصوت منفعل وتهدة مخنقة :  
« لكن . . يبقى هنالك عقاب الضمير ! » .

فاجاب « مونت كريستو » :

« نعم ، من حسن الحظ أن عقاب الضمير يبقى . ولو  
ذلك لكانت الحياة نعمة شقية لا تطاق . . فعلى اثر كل فعل  
يتطلب إحياء النفس في التبرير والتخريج ، يتولى الضمير  
وحده إنقاذنا . فهو يزودنا بالف عذر . يكون قبوله في  
يدنا وحده . . على أن هذه الأعذار التى تفعل فعل المسحر  
في قلب الناس إلى أجناسنا . لا تكاد تجدنا نفعاً حين نفعل  
ذلك مثلاً . .

... الحية من جرمنا

وهنا بدا على بدمام « دى فيلفور » الانيمالك في التفكير .  
ثم قالت :

« إنه لمن حسن الحظ أن تلك المواد لا توجد وتركب إلا عند  
الكيميائيين وإلا لقتل الناس جميعاً بعضهم بعضاً بالسم !  
تقال الكونت في غير مبالاة : « عند الكيميائيين والمولعين  
بالسماء ! » .

واضطردت المراد وهى تحاول جاهدة التخلص من أفكارها  
الملحة :

« ثم إن الجريمة مهما يتم تدبيرها ببراعة غائبا تبقى آخر  
الامر جريمة يعاقب عليها القانون . وحتى إن افلت مرتكبها من  
حكم القانون فلن تغفل عنها عين الله الساحرة . . إن الشرقيين  
أقوى جناحاً منا في مسائل الضمير . ولا جحيم عندهم . . هذا هو  
الفرق ! » .

فقال « الواقع يا سيدتى إن هذا شك خليك بأن براود  
ذهنا طاهراً مثل ذهك ، لكنه لا يلبث أن يتبدد أمام المنطقى  
السليم . . فهناك أشخاص قليلون يبعد الواحد منهم إلى إغماك  
سكينه في قلب مخلوق بشرى مثله . أو يدس له مثل تلك الكبة  
التي تحدثنا عنها من الزرنيخ ، كى يزيله من الوجود ويمحوه  
محواً . . ومثل هذا القاتل المتوحش يكون شاذاً و غريباً  
وخارجاً على المألوف ، ولكى يبلغ هذه الدرجة من الوحش

فقال « كلا يا سيدتى ! .. ولنبدأ أولا بالتفاهم على ان كلمة  
سم لا وجود لها . لان الطب يستخدم أغلف السموم فيجعل  
منها ونفا الطريقة استعمالها احسن الادوية وانضبطا للعلاج » .  
فسألته : « إذن ماذا كان السائل الذى بنا ؟ » .

فاجاب : « لم يكن سوى مستحضر فاجع الاثر من تركيب  
صديقى البارع الراهب « أدلمونت » الذى علمنى طريقة  
استعماله » .

فقلت : « إذن غيو مفيد فى معالجة التشنجات العصبية ؟ » .  
فقال : « نعم يا سيدتى ، كما رايت بنفسك .. وأنا اسعمله  
كثيرا فى العلاج . مع مراعاة تجنبى الحذر طبعا » .

فقلت : « الواقع اننى فى حاجة إلى استشارة مثل الدكتور  
« أدلمونت » كى يبتدع لى دواء لنوبات الإغماء العصبى  
الذى تشابنى . فيجملنى انفس بسهولة ويهدىء ثائرتى  
والزجاجى الذى مبعثه الخوف من ان اموت يوما مخنفة خلال  
نوبة من تلك النوبات . وحتى يتيسر لى ذلك العلاج ، ونظرا  
إلى ان صديقك الراهب قد لا يكون مستعدا للحضور إلى باريس  
خصيصا من اجلى : فأتى مضطرة لان استمر فى استعمال دواء  
مسيو « بلانشين » المضاد للتشنجات ، فضلا عن قطرات  
« هوفمان » وأقراص النعناع .. وإليك بعض الأقراص التى  
ركبت خصيصا من اجلى .. » .

سمير « ريتارد الثالث » خدمه اجل خدمة بعد ان قتل ولدى  
« إدوارد الرابع » ، فقد راح يلقي فى روعه ان هدين الولدين  
اللذين ورثاهن أبيهما القاسى المستبد مساوئيه وصفاته البغيضة .  
بقنجان حجر عترة فى سبيل ارتقائه العرش وإنقاذ الشعب  
الإنجليزى من مظالمها ! وكذلك كان ضمير « ليدى ماكيت »  
.. فى رواية « شكسبير » - خير شفيع لها حين أرادت ان  
تنجس ابنها - وليس زوجها - عرش البلاد ! .. إن الحب  
الاموى فضيلة عظيمة وحائز قوى ، بل إنه من القوة بحيث  
يهرر اشياء كثيرة .. !

وبقيت مدام دى « فيلغور » نصفى صامدة إلى هذه المبادئ  
والآراء الرهيبة ، ثم قالت له :

— هل تعلم يا عزيزى الكونت ان لك منطلقا مقنعا شديد  
الخطر . وانك كيميائى بارع لا فان الدواء الذى اعطته لاسى  
فى ذلك اليوم قد اعاده فوراً إلى وعيه !

فقال لها : « الواقع ان قطرة واحدة من ذلك الإكسير اعادت  
الطفل المغمى عليه إلى وعيه . ولكن ثلاث قطرات كانت  
كثيلة لان تقذف الدم إلى رقبته بعنف يحدث سرعة مائلة فى  
نبضه .. وكانت ست قطرات كافية لأن توقف نفسه وتحدث  
له إغماء أخطر من الذى أصيب به يومئذ .. أما لو اعطيته  
عشر قطرات فلأنها تقتله ! .. او لا تذكرين يا سيدتى كيف  
اختلطت الغارورة من جواره حين لمسها بيده ؟ » .

فقلت : « هل كان السائل الذى تحويه سها فظيحا إلى هذا  
الحد ؟ » .

وفتح الكونت الصندوق الصغير الذى قدّمته إليه . واختبر رائحة الأقراص بمقدرة الهادى الخير بها تحوى من مركبات .. ثم قال :

— إنها قوية الانر . ولكن لما كانت تؤخذ من طريق الفم فإن تناولها يتعدى على الإنسان في أثناء إغمائه . ولهذا أفضل عليهما دوائى !

— بلا شك . وأنا أيضا أفضله . بعد ما رأيت من قوة تأثيره .. لكنك تعتبره سرا بطبيعة الحال . ولست من النطفل حيث أطلبه منك !

— لكنى من الشهامة بحيث أنطوع لتقديمه لك يا سيدتى . وبدأ السرور والاعتباط في وجه مدام « دى فيلفور » في حين واصل الكونت كلامه ، فقال :

— إن جرعة صغيرة منه علاج نافع . أما الجرعة الكبيرة فسم قاتل .. القطرة الواحدة تكفى لرد الحياة إلى الجسم كما رأيت . أما خمس قطرات فإنها تمس .. ويريد في خطورتها أنها لو وضعت في كأس من النبيذ مثلا لا تبين لها رائحة مطلقا !

\*\*\*

.. وهنا دقت الساعة السادسة والنصف . وأعلن الخادم وصول سيده من صديقات مدام « فيلفور » جاءت لتناول العشاء معيا . فقالت ربة البيت لضيفها الكريم :

— لو كانت هذه على زيارتك الثالثة أو الرابعة يا سيدى الكونت .. ولو كان لي شرف الخطوة بصداقتك . بدلا من أن تكون لي سعادة العرمان بجميلك فقط .. لأصررت على دعوتك للبقاء وتناول العشاء معيا ، لكنى أخشى أن يشوب رفضك الدعوة الآن حسدًا قتنا في بدايتنا !

— أشكرك ألف شكر يا سيدتى .. لكنى في الواقع مرتبط بهوعد لا أستطيع أن اتحلل منه !

— إذن فإلى اللقاء . ولا تنس الدواء .. !

— لن أنساه يا سيدتى ! لأنى لكى أنساه يجب أن أنسى الحديث الطلى الذى كان بنينا ساعة كاملة . وهذا أمر مستحيل في نظرى !

ثم تهض محبيا وانصرف . في حين بقيت مدام « دى فيلفور » شاردة الفكر لحظة . تحدثت نفسها : « إنه رجل غريب الأملوار ، وأعتقد أنه هو نفسه الطبيب « ديلمونت » مبتكر طريقة تركيب الدواء ! » .

أما الكونت « دى مونت كريستو » فقد غاقت نتيجة المقابلة كل ما كان يجرّده ، تحدثت نفسه وهو منصرف من البيت : « هذا بديع .. إنها تربة خصبة ، وأنا واثق أن البذرة التى بذرتها لن تموت ! » .

وفي صباح اليوم التالى أرسل قتيقة الدواء .. وجاءه بوعده !

فقال الكونت : « نعم .. ولكن ينبغي ان تتمالك مواطنك ريثما أعد الشاب للقائك ! » .

.. ثم مضى الكونت إلى غرمة جانبية . حيث كان يوجد شاب اتفق المتجر جليل البيئة . وصل منذ نصف ساعه ... فخطبه يقوله :

— اعتقد انى انحدث إلى الكونت « اندريا كافالكانتى » .  
فكرر الشاب الاسم وراءه وهو ينحنى : « الكونت » اندريا كافالكانتى ! » .

— وانت تحمل خطاب تقديم موجه إلى وموقع عليه « مضاء السندباد البحري » . اليس كذلك ! .. إنه صديق حميم لى .. وهو نرى إنجليزى ذو شذوذ يبلغ حد الجنون - واسميه الحقيقى اللورد « ويلمور » .. فهلا تكرمت بأن تعطينى بعض المعلومات عن نفسك وأسررتك !

— بلا شك ، أنا الكونت « كافالكانتى » ابن البيكاشى « بارتليميو كافالكانتى » سليل أسرة « كافالكانتى » التى ورد ذكرها فى الكتاب الذهبى لمدينة فلورنسا . وأسرنا — برغم انها ما تزال تتمتع بالثراء ، وإيراد أبى يصل إلى نصف المليون — فانها عانت كثيرا من المقاعب والاحداث السيئة : فانا مثلا قد اختلطت فى سن الخامسة بمساعدة معلمى الخائن . بحيث انقضت على منذ ذلك التاريخ خمسة عشر عاما لم ارقبها الشخص الذى كان السبب المباشر فى وجودى .. ومنذ رافقت رشدى وصرت سبد نقصى . لم اتجر .. ولدى

## — ١٤ —

### اب .. وابن .. زائفان !

نهض الكونت « دى مونت كريستو » لاستقبال ضيفه الغريب . وابتدره بقوله : « دعنى اذكرك : الست المركيز « بارتليميو كافالكانتى » البكاشى بالجيش النمساوى سابقا ! لقد ارسلك الاب « بوزونى » .. اليس كذلك ؟ » .

واوما الصيف موافقا . وقال وهو يناول الكونت خطابا مغلفا : « وقد حملنى إلى فخامتك هذا الخطاب ! » .

فتناول منه الكونت الخطاب وقرا فيه : « كابالكانتى » .. من نبلاء « لوتشا » وسليل أسرة « كافالكانتى » الشهيرة بفلورنسا .. بهلك إيراد اقدره نصف مليون سيك . وهو شخص لا ينقصه من اسباب السعادة غير ان يسترد ابنه الحبيب الضائع الذى سرق منه فى طفولته . إما بواسطة عدو له من أسرته النبيلة ، وإما بواسطة الفجر .. وقد جددت امله حين ذكرت له أن فى مقدورك ان ترد إليه ابنه الذى يبحث عنه دون جدوى منذ خمسة عشر عاما ! » .

ثم أردف الكونت قائلا : « إن فى مقدورى حقا ان اصنع لك ذلك : أرد إليك ابنك اندريا ! » .

فقال الضابط . فى برود تام : « لقد حسبت ذلك .. ولعله هنا ؟ » .

وهنا بدأ على " أندريا " السرور بقرب رحيل أبيه . .  
حين قال الكونت .

— إننى لن أعوق لفاءكما المرتقب وقتا آخر . وهل انت  
متأهب لمناقشة أبيك ؟ . . ادخل إذن الحجرة المجاورة إليها  
الصديق . غترى أباك مشوقا إلى رؤيتك !

وانحنى " أندريا " للكونت محييا شاكرا . ثم دخل الحجرة  
.. أما الكونت فقد انتظر حتى أغلق الشاب الباب وراءه . وإذا  
ذاك مضى هو إلى صورة كبيرة معلقة على الحائط نازحا  
في رفق حتى أتكشفت له وراءها ثغرة خفية تسمح للنافلر  
خلالها برؤية ما يدور في الثغرة المجاورة . . غرأى الشاب  
بقتدم نحو الكهل قائلا بصوت عال — تعبد أن يسمعه للكونت  
في الحجرة الأخرى .

— آه . أبى العزيز ! اهذا حقا انت ؟

تقال الضابط في لجة الجد : « كيف انت يا بني العزيز ؟ » .  
وعندئذ اردف الشاب وهو يأخذ ذواع الضابط في ذراعه  
كمن يعرفه منذ زمن :

— أيها العزيز مستر . كافالكانتى " . كم دفعوا لك كي  
تمثل دور أبى ؟ . . إننى سأصارك بمرى كي تصارحنى  
بسر . إنهم يدفعون لى خمسين ألف فرنك في السنة كي أكون  
ابنك !

— وأنا بدورى يدفعون لى مثل

بكل الوسائل . ولكن بدون جدوى . . حتى تلغيت جيرا هذا  
الخطاب من صديقتك المذكور ، وفيه أن أبى موجود في باريس .  
وأن على أن أنصل بك كي ترشدنى إلى المعلومات الخاصة  
به !

— لقد أحسنت إذ نفذت تعليمات صديقى " السندمد  
البحرى ) بدقة ، فإن أباك موجود هنا حقا . وهو يبحث عنك  
كما تبحث عنه !

— حقا ؟ هل أبى هنا حقا ؟

— نعم ، أبوك البكائى " برنيمو كافالكانتى " سمته !

وعندئذ تبدد تعبير الرعب الذى كسا وجه شاب دى  
سماع النبأ لأول وهلة . ثم قال :

— يا سيدى . لقد سمعت سنوات طويلة منذ مرفقا .  
حيث لم أعد أذكر شكل أبى على الإطلاق !

— سوف تراه الآن . . إنه مليونير ، إيراده السنوى . .  
ألف فرنك . سوف يمنحك منها خمسين ألفا كل سنة طيلة مدة  
بثائك في باريس . على أن تقسم تصيبك الشيرى " إليها من بنك  
" دانجلر " الذى هو من اكبر البيوت المالية البارمسة .

— وهل ينضم أبى البقاء في باريس طويلا ؟

— بضعة أيام فقط ، فإن خدمته العسكرية لا تسمح له  
بالتغيب أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير !

- ١٥ -

## وصية مشلول !

منى ، مكسمليان موريل " إلى حديقة دار مسيو  
 « دى فيلغور » . وقد سادها السكون وحجبتها اشجار  
 الكسناء العالية المحيطة بها عن الانتظار . ولربث بعض الوقت  
 قلقا يترقب ظهور « فالنتين دى نيلغور » من بين الأشجار .  
 ويرجع سمعه لسمع وضع خطاها فوق المبنى المفلورس  
 بالحصى . . ولم يضر دقائق حتى قبلت « مالبين » الغائه ،  
 ووقفت إزاءه ، يفصل بينهما سور الحديقة المرتفع . ثم  
 استدوته قائلة :

— طاب مساؤك « ياكسمليان » . اعلم أنى تركتك تنتظر .  
 لكن « أوجينى دانجلر » كانت معى فعاقتنى ، كانت تحدثنى  
 عن نفورها من الزواج من مسيو « دى موريسيرف » ،  
 مصارحتها أنا أيضا بنفورى من فكرة الزواج من مسيو  
 « ديبيناي » ! .

— هل الأنسة « دانجلر » تنفر من الزواج بالمسيو  
 « موريسيرف » لأنها تحب شخصا آخر ؟

فاجابت : « كلا ! . . فقد ذكرت لى أنها لا تحب أحدا ، وأنها  
 تعارض الزواج ذاته . وتفضل أن تعيش حرة بلا قيود . .  
 حتى أنها لتتمنى أحيانا أن يفقد أبوها ثروته كي تحترف الفن  
 مثل صديقتها الأنسة « لويز دارميغ » .

.. واختار الكونت هذه اللحظة كي يدخل الحجرة . فليس  
 سمعا مقبض الباب يفتح التى كلاهما نفسه فى أحضان الآخر  
 وراحا يتبادلان القبلات . . وفى خلال عناقهما دخل الكونت .  
 فابتدرهما بقوله :

— والآن ابنا السيدان طاب يومكما . فإنى منصرف !  
 فمسائل « كافالكانتى » : « متى يكون لنا شرف رؤية غلامك  
 مرة أخرى » .

— يوم السبت . إذا شئتما . . وسوف أتناول العشاء  
 فى منزلى فى « أوتوى » شارع الفافورة رقم ٢٨ ، وقد دعوت  
 كثيرين . بينهم مسيو « دانجلر » . ويسرنى أن اعرفكما إليه  
 معو الذى سيدفع لك يا « أندريا » مرتبك الشهورى

وعندئذ اتحنى الاثنان للكونت مودعين . ثم غادرا المنزل !



— دعينا من إضاعة وقتنا في الحديث عنها . فتي أريد أن نتحدث عنك أنت !

— هذا صحيح . ويجب أن نسرع . فليس أمامنا غير عشر دقائق نقضيها معا . بعد است على حق . فليست سوى صديقة عتيبة لك . وأية حياء . رفضها عليك يا عزيزي الممكن " مكسليان " . أنت الذي خلقت للسعادة ! ليس لالوه نفسي لوما مررا !

— ما هذا الذي تقولين " يا فالتين ! " . وماذا يملك من الأمر ما دمت أنا قائما بهذه الحال . وما دمت شاعرا بأن لفناءك . ولو لخمس دقائق . وسماع يضع كلمات من فمك العذب . يعوضاني حتى عن هذا الانقطار الطويل الموحى ؟ . إني لا اعتقد اعتقادا جازما أن السماء ما كانت لتخلق خلقا منسجمين مثل قلوبنا . وتسمع لنا — بمعجزة — من نفسها . لو أنها كانت تريد أن تفرق بيننا آخر الأمر !

— كلماتك رقيقة ومشجعة يا " مكسليان " . .. إنها سوف تمنحني على الأقل سعادة جزئية !

— ولكن ما الذي تلجئك إلي أن تفرقيني هكذا سريعا ؟ — لست أدري التفاصيل بالضبط . وكل ما أعرفه أن مدام " دي فيلفور " قد أرسلت في طلب لي أمر يتعلق بجد . من ميراثي . ليتهم يأخذون ثروتي . فليست بي حاجة إليها . ولعلمهم لو أخذوها يكفون عن إزعاجي ويتركوني في سلام وسكينة . .

وإني لعلني يقين من أنك تحبني حينذاك مثلما تحبني اليوم . اليس كذلك يا " مكسليان " ؟ .

— إني أحبك دائما ! .. وماذا يهمني من الفنى أو الفقر ما دامت حبيبتي " فالتين " بجانبى ؟ .. آه . كنت أوشك أن أذكر لك أنني قابلت مسيو " دي مورسيرف " منذ أيام . وكان قد تلقى خطايا من صديقه " دابيناي " يخبره فيه بأنه سائد توا .

وهنا تحب وجه " فالتين " . واتكأت على سسور الحديقة . فالتة !

— وباه ! .. لو كان الأمر كذلك ! .. ولكن لا .. إن المفاوضات قد لا تأتي عن طريق مدام دي " فيلفور " . فقد خيل إلي أنها عارضت ذلك الزواج . وإن لم تثنأ أن تصرح بذلك علانية !

— أظن أنها تعارض زواجك من مسيو " دابيناي " وحده . .. أي أنها سترحب بأي اقتراح آخر ؟

— كلا يا " مكسليان " . إنها تعارض فكرة الزواج ذاتها . . وكنت قد فكرت منذ عام في أن اعتزل الدنيا والجا إلى أحد الأديرة . وسعيت خفية إلى تنفيذ هذه الفكرة . بل لقد اقنعت أبي بقبولها . ولولا توسلات جدي المسكين لنفذت عزمي بومذالم . . لك لا تستطيع أن تتخيل التعبير الذي بدو في عيني الشيخ العاى حين ينظر إلي . وأنا المخلوق اله حاد الذي حبه ويباله الحب !

— حبيبتي « غالتنين » .. إنك لملك كريم .. وإست أدري  
أى عمل طيب عملته حتى أستحق منك حبك وتفتك !! .. ولكن  
جذبتنى بربك ، أمة مضلحة لدام « دى غيلفور » .. و ان بقى  
أنت بغير زواج !

— ألم أقل لك منذ لحظة إننى غنية وغنية جدا .. لقد  
ورثت عن أمى ما يقدر على ستويان نحو خمسين ألف ريال . فضلا  
عن إيراد مماثل مسوف بتركه لى جدى وجذتى — لأمى —  
الركيز والركيزة « دى سانت ميران » .. فضلا عما يعزمه  
مسيو « نوارتييه » — جدى لأمى — من حملى وريثته الوحيدة  
.. وهكذا يصبح أخى « إدوار » — الذى لن يرث شيئا عن  
أمه — فقيرا بالنسبة لى .. أما لو دخلت الدبر فسوف تقول كل  
نروتى هذه إلى أمى . ثم إلى أخى « إدوارد » .. انها !  
— ما أغرب أن تكون بهذا الطمع امرأة مثل مدام  
« دى فيلغور » ! ..

— إنها لا تحب المال لنفسها بقدر ما تحبه لابنها ..  
وما تعبره أنت رذيلة بقدر فضيلة من وجهة نظر الحب  
الأموى .. هل تسمع ؟ .. إنهم بنادوننى !

ثم صعدت « غالتنين » فوق مقعد خشبى ومدت يدها إلى  
حبيبها من خلال السور ، فنلتى « مكسميليان » اليد الممدودة  
نحوه ببطء ونشوة فائقتين ، ثم طبع عليا قبلة حارة تدكيها  
الماملة .. وإذ ذاك ارتدت اليد إلى داخل السور . ثم رأى  
الشباب محبوبته تهرع عائدة إلى المنزل .



فى الوقت الذى جرى فيه ذلك الحديث بين « غالتنين  
ومكسميليان » .. كان مسيو « دى غيلفور » وزوجته قد دخلا  
حجرة أبيه مسيو « نوارتييه » .. وبعد أن أوماً بالنجاة  
إلى الشيخ المسن المثلول - وفقا بجانبه يتحدثان مع « باروا »  
الذى قضى فى خدمته خدمة وعشرين عاما .

وكان مسيو « نوارتييه » قد انتهت حياته العامة والسياسية  
بوصفه من حزب « نابليون » منذ انفجر أحد الأوعية الدموية  
فى مخه ، ففضى عليه بأن يظل بقية حياته حبيس مقعده المريح  
ذى العجلات الذى كان يوضع طيلة النهار فيه . فى مواجهة  
مرأة كبيرة يستطيع المريض أن يرى أكثر أجواء المسكن  
منعكسة على صفحاتها ، كما يرى كل شخص يدخل الحجرة  
وكل شئ يدور حوله !

وبرغم أن مسيو « نوارتييه » كان فى جلسته أشبه بالجنة  
الهامة . فقد ألقى على الداخلين نظرة سريعة ذكية . أدرك  
بها من طريقتهما الحائرة فى تحيته أنها جاءا لينحذا إلى  
أمر مالية ذات طابع هام ! .. ولم يكن قد بقى للمسكين من  
حواصه غير حاسنى النظر والسمع ، اللذين تركز فيهما كل  
نشاطه وحده ذهنه ، فصارت النظرة منه تفتنى عن حركة  
الدراع ونبرة الصوت ومرونة الجسم . فى التعبير عما يريد أن  
يقصص عنه .. ولو أن لغته هذه لم يكن يفهمها بوضوح غير  
أشخاص ثلاثة : ابنه « دى فيلغور » وحفيدته « غالتنين » .  
وخادمه « باروا » ! ..

وكان « دى فيلغور » قد أرسل

الانصراف .. هل تريد متى ان ارسل إليك « إدوارد » ليؤنسك بعض الوقت ؟ » .

نحرك الشيخ المثلول أهداب عينيه مرات . علامة الرفض .. وعندئذ سألته المرأة : ( إذن .. هل ارسل إليك « فالتين » ؟ .. نأغض عينيه . علامة القبول ! ! .

وهنا انحنى له الزوجان وغادرا الغرفة . بعد ان أوصيا الخدم باستدعاء « فالتين » طلبية لرغبة جدتها . وكانا يعلمان انها سنجدها عتاء كبيرا فى تهدئة ثأرتهم .. !

دخلت « فالتين » بعد خروج ابها وروجه من الحجرة بقليل . وادركت من اول نظرة إلى جدتها انه قلق . وان فى ذهنه كلاما كثيرا يريد ان يفصح به إليها .. فصاحت جزعاً : « حداد ! .. ماذا حدث ؟ .. هل حدثك عن تزويجى ؟ »

فأجابها الرجل بنظرة غاضبة : « نعم » .

— إليك لا تحب مسيو « ديبيناي » ؟

فأجابتها عتاءاً : « لا ، لا ، لا ، لا .. ! » .

وعندئذ اولمت الفتاة على ركبتيها واحاطت برقبته جديدها بدماعها قائلة : « وأنا ايضا لا أحبه ! » فلبعت فى عيني الشيخ نظرة قروح .. ثم سألته : « هل تعتقد أنك تستطيع مساعدتى يا جدى العزيز ؟ » .

فأغض عينيه مرات . يعنى انه يستطيع هذه المساعدة . ثم رفع بصره إلى السماء إشارة إلى انه يريد شيئاً ، فسألته « فالتين » :

إلى الخادم « ياروا » بمغادرة الحجرة . وجلس بعد ذلك عن يمين أبيه المثلول . فى حين جلست زوجته إلى يساره .. واستهل حديثه بقوله : « إننا نفكر فى تزويج « فالتين » يا أبى .. وسوف يتم الزواج فى مدى ثلاثة أشهر » .

.. وهما أضافت مدام « دى فيلفور » : « لقد كنا واثقين من ان هذا الثنا سوف يفرحك . ولا سيما أنك تخص « فالتين » بحبك وحنائك .. ولم يبق إلا أن نذكرك اسم الشخص الذى وقع عليه اختيارنا : إنه شاب يملك الثروة الطائلة . والمكانة الرفيعة فى المجتمع . وكل الصفات الكفيلة بإسعاد « فالتين » .. وهو ليس بالشخص الذى نجهله أنت تماماً . إنه « فرافز دى كيفيل » ، « بارون ديبيناي » ! ! .

وبدا الغضب فى عيني « نوارتييه » . واحتبست فى حلقه صيحة حنق وحزن ، على حين استطردت المرأة :

— هذا الزواج يصادف هوى من نفس مسيو « ديبيناي » نفسه . واسرته . وأقرب الأحياء من أقرانه هما عمه وعمته . فقد ماتت أمه عند ولادته وقتل أبوه سنة ١٨١٥ . أى بعد سنتين من موت أمه . وهكذا يمكن القول بأن الفتى شأ سيد نفسه . وليس لأحد سلطان على رأيه أو اختياره لشر بكة حياته » .

وأردف « دى فيلفور » قائلاً : « إن مصرع أبيه كان مأساة غامضة . وقد نجا القطة من العقاب ، وإن جاءت الشبهة حول أكثر من واحد ! » .

ثم عادت الزوجة فتألت : « والآن يا سيدى استأنفك فى

— ماذا تريد يا جدى الموز ؟

ثم راحت تردد على سمعه الأشياء التى رجحت ان تكون مبتقاة : لكنه اجابها عن كل منها بإشارة الرفض من عيته . ففكرت فى تجربة طريقة أخرى ، وبدأت تسرد عليه الحروف الأبجدية بالترتيب ، حتى أبدى حركة الموافقة عند نطقها بحرف « الميم » .. فقالت حذلة :

— إذن فالشيء الذى تريده يبدأ اسمه بحرف الميم .. ترى ! هل ميمه مفتوحة ؟ أم مكورة ؟ أم مضمومة ؟ وإذا أدركت من نظره انه يريد شيئاً هذا بحرف الميم المضمومة : نهضت واحسرت قاموساً وراحت تنقل أصابعها بين كلمات الميم المضمومة فيه ، إلى ان أوما جدها بعينه موافقاً عند كلمة « مسجل عقود » ..

فدقت الفتاة الجرس وطلبت استدعاء أحد مسجلى العقود .. !

وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، دخل « ياروا » وبصحبته مسجل العقود المطلوب .. ثم دخل فى أعقابها مسيو « دى فيلفور » ، وبعد تبادل التحيات التقليدية قال الابن يحدث المسجل :

— هانت ذا ترى الشخص الذى أرسل فى استدعائك .. إن جميع أعضاء جسده مصابة بالشلل ، حتى صوته .. ونحن نجد صعوبة كبيرة فى فهم ما يريد أن يقول !

وهنا أوما المريض إلى حفيدته بنظرة آخرة : نهبت قصصه منها ، فقالت للمسجل على الفور : « سيدى » إتنى أفهم كل ما يريد جدى أن يقول » .

فأجابها المسجل : « لكى تكون الوصية نافذة ، ينبغي ان استوثق من رغبات موكلتى . إن عجز الجسم لا يؤثر فى صحة التصرف . إذا كان العقل سليماً ! » .

فقالت له الفتاة : « سوف ترى يا سيدى ان جدى مالك جميع نواد العقلية ونشاطه الذهنى .. وفى وسعك ان تفاهم معه بالطريقة التى أفهم بها أنا معه ، إنه فى مقام الموافقة بعمى عينيه . وفى مقام الرفض يحرك أهدامه عسدة مرات .. والآن تستطيع ان تفاهم معه بسهولة ! »

وهنا نظر الجد إلى حفيدته نظرة شكر وامتنان لم تغب عن نظرة المسجل نفسه ، فقال يساله :

— لقد سمعت وفهمت ما قاله حفيدتك . فهل توافق على معزى الإشارتين اللتين تحدثت عنهما . كوسيلة للتعبير عن آرائك ؟

ولما اغضض الشيخ عينيه علامة الموافقة ، الفتت المسجل إلى مسيو « دى فيلفور » قائلاً :

— إنها طريقة شاذة فى التفاهم .. !

فقال هذا منتهزاً الفرصة : « نعم .. واعتقد انها ستكون شاذة فى سجل الوصية ، فلمست .. » ثم دخل

من « فالتين » ولعل لها مصلحة في الوصية تجعلها لا تصلح مقبرة لآلهة التعبير عن رغبات جديدها الفاضلة غير الصريحة ! » .

وهنا حرك المشلول أهدابه محتجا ، فسأله « دي فيلفور » :  
— ماذا تعني يا أبى ؟ .. أليس « لفالتين » مصلحة في الوصية ؟ !

ناوما الشيخ نافيا أن لها مصلحة فيها . مقال مسجل العقود لدى « فيلفور » : « سيدى .. إن ما بدا لي مستحيلا منذ ساعة واحدة قد صار الآن ميسورا معقولا . وسوف تكون الوصية شرعية نافذة إذا فُرت في حضور سبعة من اليهود . وقراها الموصى وسجلها المسجل أمام اليهود ! » .

ثم التفت إلى الشيخ الموصى وسأله : « هل تعرف مقدار ثروتك بالضبط ؟ » . فلما أجاب بإغماض عينيه دلالة على الموافقة ، واصل المسجل كلامه فقال :

— سأذكر لك عدة أرقام . فإذا بلغت الرقم الصحيح فمليك أن تبني بإشارة الموافقة : هل ثروتك ٣٠٠ ألف فرنك ؟ كلا ؟ إذن هي ٤٠٠ ألف ؟ تقول كلا أيضا ؟ .. إذن هي ٦٠٠ ألف ؟ ٧٠٠ ألف ؟ ٨٠٠ ألف ؟ ٩٠٠ ألف ؟

وهنا أشار المسيو « بوارنيه » بإشارة الموافقة . يكرر المسجل سؤالاته :

— هل تملك ٩٠٠ ألف فرنك ؟ .. حسن ! .. وهل هي عقارات ؟ كلا ؟ إذن أسهم وسندات ؟ .. حسن يا سيدى ، وهل الاسم في حيازتك ؟

وهنا نظر « بوارنيه » إلى خادمه « باروا » نظرة فهم الأخير معناها مخرج من الحجرة ثم عاد بعد حين يحمل صندوقا صغيرا .. فسأل المسجل الموصى :

— هل تسمح لنا بفتح هذا الصندوق ؟

فأغمض المشلول عينيه علامة الموافقة .. فلما فتحوا الصندوق وجدوا فيه أسهما وأوراقا مالية قيمتها ٩٠٠ ألف فرنك بالضبط . فقال المسجل :

— واضح أن المسيو « بوارنيه » محتفظ بقواه العقلية ونشاطه الذهني كاملا !

ثم التفت إلى الموصى يسأله :

— إلى من تريد أن تترك هذه الثروة ؟

.. فقلته بدم « دي فيلفور » مقاطعة : « أوه ! .. ليس ثمة شك كبير في هذا الصدد : فإن مسيو « بوارنيه » يحب حفيخته الأنسة « دي فيلفور » !

وهنا التفت المسجل يسأل « بوارنيه » :

— إذن غانت تترك هذه الثروة لحفيذتك الأنسة « دي فيلفور » ؟

وتأهب المسجل لأن يسجل موافقة الوصي على ذلك ..  
 وكانت « فالتنين » خلال ذلك قد انزوت في أحد أركان العرفة  
 وأطرفت تبكي ! .. فنظر جدها إليها نظرة تفيض رقة وعطفها  
 .. ثم حرك أهدابه مرآت علامة الإجابة عن سؤال المسجل  
 بالنفي !

وكانت بحاجة .. بددها سؤال المسجل للوصي :  
 — إذن هل تنفي ترك ثروتك لحفيدك « إدوار دى فيلفور » .  
 لكن الشيخ حرك أهدابه أيضا بما يتم عن الرضى البات !  
 فعاد المسجل يسأله : « اتغضى ذلك أيضا ؟ .. إذن ربما  
 يكون قصدك الإيلاء بثروتك لابنك مسيو « دى فيلفور » ..  
 ولا هذا أيضا ؟ »

وهنا انتقلت نظرة المشلول بسرعة من « فيلفور » وزوجته  
 إلى حيث استقرت على يد « فالتنين » .. فسألته في دهشة :  
 — يدى ؟ .. نعم ؟ .. ثم صاحبت الفتاة : « آه قيمت .. أنت  
 تقصد زواجي . اليس كذلك يا جدى العزيز ؟ »

فكرر الجد إشارة الموافقة ثلاث مرات - وهو ينظر إلى  
 حفيده نظرة عرفان بالجميل لكونها قيمت مراده .. في حين  
 قال « فيلفور » : « حقا إن هذا امر نادر للعابة » .

فاجابه المسجل : « اسمح لى يا سيدى أن أقول إن الأمر  
 على العكس . فالمعنى الذى يقصده المسيو « نوارتييه » واضح  
 تماما في نظري . وفى وسعنى أن أربط تسلسل الأفكار التى  
 تدور في ذهنه بسهولة ! »

وهنا سألت « فالتنين » جدها : « أنت تريد منى ألا تزوج  
 من مسيو « دينيناي » ؟ »

فاجابها إيلاء عين جدها . مؤمنة على كلامها !

وعندئذ استطرد المسجل يسأله :

— وأنت تبغى تجريد حقيقتك من الإرث لأنها خطبت إلى  
 رجل بلا موافقة منك ؟ .. حسن ! .. هل إذا عدلت الفتاة  
 عن الزواج من ذلك الرجل تصبح وريثتك الوحيدة ؟  
 رده الشيخ المشلول موافقا !

ثم ساد صمت عميق : قطعته المسجل مستطردا :

— كيف تبغى أن توزع ثروتك غيما لو اجرت الأنسة  
 « دى فيلفور » على الزواج من مسيو « فرائز » .. عمل  
 تريد تخصيصها للأعمال الخيرية ؟ نعم ؟ .. لكنهم قد يثيرون  
 نزاعا حول تنفيذ الوصية بعد وفاتك ؟ كلا ؟

وهنا تدخل « دى فيلفور » في المناقشة . قائلا :

— إن أبى يفرغنى ويثق من أن رغباته سوف تعتبر مقدسة  
 في نظري .. ثم إنه يدرك تماما أنى بحكم مركزى لا أستطيع  
 اتخاذ موقف عدائى نحو الطبقات الفقيرة !

وهنا وضعت عينا « نوارتييه » يربق الانتصار .. فسأل  
 المسجل « دى فيلفور » : « وماذا تهنزم إذن يا سيدى ؟ »  
 فاجاب هذا :

— لا شيء ! لقد اتخذت ابي قرارا وأنا أعلم انه لا يغير رأيه مطلقا . فلم يبق أمامي غير الإذعان .. ثم غادر «دي غيلفور» الغرفة على الأثر . مصحوبا بزوجته . تاركين المشلول أن يفعل ما يشاء .. !

وفي اليوم نفسه سجلت الوصية بحضور الشهود . واقرها الوصي . وختمت أمام الجميع ثم سلمت إلى ميو « ديشان » المشرف على تنفيذ وصايا الأسرة .

## مناورات في البورصة

غادر الكونت « دي مونت كريستو » باريس في اليوم التالي لتسجيل الوصية . متخذا الطريق المؤدي إلى « أورليان » . فبلغ سرج ( مونتليرى ) الواقع في أعلى بقعة من السهل المعروف باسمه .. وعند سفح التل ثرجل الكونت وبدأ يتسلق مهرا ملتويا يؤدي إلى حديقة صغيرة .. حتى وجد نفسه وجها لوجه أمام رجل في نحو الخمسين من عمره يقطف ثمار الفواكه . ويضعها على أوراق العنب .. غابتدرة الكونت قائلا وهو يتنهم ابتسامة تنم عن الشعور بالعطف :

— هدي، من روعك يا صديقي .. أمي لست مفقضا بل سائحا خضر مدفوعا بفضول يكاد يأسف الآن عليه . إذ يراك نوثك أن تضيق جانبا من وقتك معه .

— فقال الرجل : « هل حضرت يا سيدي لتري البرقية لا .. » فقال الكونت : « نعم .. إذا لم يكن ذلك مخالفا للقواعد .. لقد قبل لي إنك انت نفسك لا تفهم دائما الإشارات التي تكررها » .

فأجاب الرجل وهو يبتسم : « هذا صحيح يا سيدي . وهذا ما أفضله ، لأنه يريحني من المسؤولية ويجعلني أشبه بالآلة لا أكثر ولا أقل .. وما كنت أعول فلن يطلب من أحد شيئا آخر ! » .

وصعدا إلى غرفة البرق . في الطابق الثالث ، فنظروا الكونت إلى المتبخرين الحديديين اللذين تدار بهما الآلة . ثم قال : « هذا أمر ممل للغاية . وهل أنت حقا لا تقهر شيئا من هذه الإشارات ؟ »

فقال الرجل : « هناك إشارات توجه إلى خاصة . وهي دائما تشكو . دون تغيير ما . ونصها : ألا جديد . . مامك ساعة . . أو غدا . . وهكذا ترى انى لا يمكن أن أقهر شيئا مطلقا من هذه الإشارات ؟ »

فقال الكونت : « هذا أمر بسيط . ولكن انظر . . : يحاطبك مراسلك الآن ؟ ماذا يقول ؟ هل مهمت شيئا ؟ »

فقال الرجل : « إنه يسألنى هل أنا مستعد ؟ ومنى أجبته بالإشارة التى تبنى باستعدادى . فإن مراسلى - الذى إلى اليمين - يفهم ذلك أيضا . على حين أن مراسلى الذى إلى اليسار يأخذ أعبته بدوره : »

فقال الكونت : « إنه ابتكار يتم عن الذكاء الخارق . . . فقال الرجل مزهوا : « سوف ترى . . أنه سيحكم قسالا خمس دقائق . »

وهنا حدث « مونت كريستو » نفسه قائلا : « أمابى إفرن خمس دقائق ؟ . . »

إنها أكثر مما يلزم . . ثم استطرد يسأل الرجل :

— هل أنت شغوف بفلاحة الحدائق يا سيدى ؟ . . وعمل يسرته أن يكون لك بدلا من هذه الحديقة التى طولها عشرون قدما بستان مساحتها فدائنان ؟ . . »

فقال الرجل : « انى لكثير يأن أجعل منها جنة أرضية ! » . فقال الكونت : « إذن . . أنت توافق لقاء هذا شلى تغيير مسير أريد في رسالة مراسلك ؟ »

فتساءل الرجل : « ماذا تعنى يا سيدى ؟ . . إن هذا لا يمكن أن يحدث ما لم تفهمنى على القيام به . »

فقال الكونت : « اعتقد أن في وسعنى أن أثيرك : »

لم أخرج من جيبه ظرفا . مده به إلى الرجل . قائلا :

— هلك خمسة وعشرين ألف غرنك . نستطيع أن نشترى بخمسة آلاف منها منزلا صغيرا جميلا تحيط به أرض مساحتها فدائنان . . بقيمة المبلغ تدرك عليك إيرادا سنويا تسدده ألف غرنك !

— منزل له حديقة مساحتها فدائنان ؟ . . وماذا يطلب منى أن أفعل مقابل ذلك ؟

— لا شيء سوى أن ترسل هذه الإشارات إلى وزير الداخلية :

وأخرج « مونت كريستو » من جيبه ورقة كتب . . . ثم إشارات موضح أمام كل منها رقم ترتيبها بالنسبة إلى الأشراف الأخرين !

وبعد حوار قصير . نفذ الرجل ما طلب منه وقد احتقن وجهه وتصيب العرق من جيبته . وأرسل الإشارات الثلاث إلى وزير الداخلية كما طلب الكونت



الف فرنك . في حين خسر الذين لم يبيعوا أسهمهم والذين اشتروا أسهمه خسارة مروعة تجعلهم في عداد الفلسطينيين .

وفي صباح اليوم التالي نشرت صحيفة (لومونيستور) التكذيب التالي : « لم يكن للنبأ الذي نشرته (لوميساجير) أسس عن قرار الملك " دون كارلوس " من منغاه والثورة التي شبت في برشلونة اى نصيب من الصحة .. فالملك ما زال في (بورج) لم يرحلها - وشبه الجزيرة يتمتع بسلام وسكينة تامين .. وقد نتج الخطأ عن رسالة بريقية أسوء تفسيرها يسبب الضباب الذي كان منتشرا امسى ! » .

وعلى اثر نشر هذا التكتيب عادت اَسْمار الأسهم تارتفعت  
إلى أكثر مما كانت قبل الهبوط ، فبلغت خسارة « دانجلر »  
من البيع مليون فرنك !

وما واغت الساعة الخامسة مساءً حتى وصل الكونت  
« دي مونت كريستو » إلى منزله الريفي في « أوتوي » ، بنبعه  
« على » خادمه العربي الأمين . وفي تمام الساعة السادسة  
سمع وقع حوافر جواد عند مدخل البيت . . وكان  
« مكسيميان موريل » هو الفارس القادم !

وفي اللحظة نفسها وصلت عربية تجرها جياد مطيعة يحفبها جوادان آخران يمتطى صهوتيهما رجلان، هبط أحدهما — وكان « دبراي » سكرتير وزير الداخلية — وتقدم نحو باب العربية ففتحوه ومد يده لراكبتها البارونة . فآخذه يد الشاب بطريقة لم تغب عن نظنة الكونت .

وبعد وصولها إلى الوزير بخص تلقى « أمر الوزير  
سكركته » « دبراي » بإعداد عريته وهرع إلى منزل « دانطر »  
.. وحين لم يجد في البيت سأل زوجته البارونة : « هل يملك  
زوجك أسهما أسانية ؟ » .

نقالت : « امتقد ذلك . . واذكر أن غفده منها ما قيمته  
سبعة ملايين من الفرنكات !

— إذن يجب أن يبعث فوراً باى عمر . فلفد فر " دون  
كارلوس " من ( بورج ) ، وعاد إلى اسبانيا !

وهرعت البارونة إلى زوجها ، الذي مرع بدوره إلى وكيله .  
وأمره ببيع تلك الأوراق المالية فوراً بأى ثمن .. . وحين رُسر  
في البورصة أن « دانجلر » يبيع ما عنده عطف سمر الأسبانية  
الأسبانية في الحال .. . وقد خسر « دانجلر » في البيع خمسمائة  
الف فرنك . ولكنه تخلص من جميع أسهمه الأسبانية .. وفي  
الليلة نفسها نشرت حريدة « لويمساجيه » ، التى القالى :

« من مراسلنا • بالبرق : غافل الملك " دون كارلوس " حراسه في ايجورجيا ، وعاد إلى اسبانيا مخترقا حدود ايطاليا • غيتت ابرشلونا المؤازرته وتصرنه : » .

وفي تلك الأمسية لم يكن للناس من حثيث غير بعد نظـر  
« دنجلر » وحظه المواتى الذى جعله يبيع كل أسهمه الآسيانية  
قبل اختيار أسعارها بساعات ، فلم يضر فيها عمر خيمهانة



وقد جلس بين « كافالكانتى الأب » و« كافالكانتى الابن » .. فقال الكونت بعد أن مهد لحديثه :

— لكم ان تصدقوني أو لا تصدقوا .. لكنى اعتقد ان جريمة ما قد ارتكبت في هذا المزرع !!

فبثفت السيدة « دى فيلفور » : « خذ حذرک - فإن قاضى التحقيق موجود هنا ! » .

ماجاب الكونت على الفور : « إذا كان الأمر كذلك فسأنتفض مرصة وجوده كى أعلن ما عندى امام نسود .. تعالوا من هذا الطريق يا سادة : تعال يا ميبو « دى فيلفور » . فإن ما سأعلمه ينبغي ان يعلن في مواجهة السلطات المختصة : » .

ثم أخذ ذراع « دى فيلفور » من ناحية وذراع البارونة « دانجلر » من الناحية الأخرى - وقادهما إلى ظل إحدى الأشجار الكثيفة - فتبعهما القانون .. ثم قال الكونت فجاء وهو يذوق الأرض بقمحه :

— هنا .. في هذه البقعة بالذات ، كان يستأني يحضر الأرض كى يزودها بترية جديدة خصبة تعين هذه الأشجار القديمة على الإزهار ، فعمر على هيكل صندوق صغير من الحديد ، بداخله بقايا جثة طفل وليد !

وأحس الكونت « دى مونت كريستو » بذراع البارونة « دانجلر » يتصلب ، وذراع « دى فيلفور » يرتجف - في حين تساءل البكباشى « كافالكانتى » في برأه :

— وبماذا يفضى القانون هنا على قتله الأطفال الحديثين الولادة !

فاجابه « دانجلر » : « بالإعدام طبعاً ! » .

وإذا رأى الكونت أن الشخصين اللذين أعد من أجلهما هذا المشهد يعجزان عن تحمل وطأته ، ورغبة منه أن يتسارک الأمر عند هذا الحد — مؤقنا — قال في بساطة مقننة :

— هيا أيها السادة تناول القهوة - لقد كدنا نساها !

ولم يفككم « أندريا » إلا قليلاً خلال العشاء - فقد كان فتى ذليلاً - حتى أن ينطق بحماقة ما امام هذا الجمع الحاسد من عليه القوم - الذين كان من بينهم رجل القانون والمالى الكبير ... إلخ — وكان « دانجلر » قد نقل بصره بين الأب والابن اللذين تبدوا عليهما مظاهر الثراء الفاحش ، فغفل إليه أنه في حضرة امير من امراء بلد شرقى بعيد قد احضر ابنه ليتم تعليمه في باريس ! .. فلما انتهى العشاء راح « دانجلر » يستجوب عيلى بنكهة الجديدين عن اسلوبهما في المعيشة - بحجة التحدث في « الأعمال » - فأبدى كلاهما من اللطف والديانة في الاستجابة لفضوله ما ادهشه !

وخلال الحديث - خاطبه « كافالكانتى » الأب قائلاً في ادب مغرط :

— سوف يسرنى أن أشرف غداً يا سيدى بزيارتك بصيد

بعض الاعمال .

أقوى على الوقوف .. ومن ثم أريد أن تحصلنى معك فى عربتك ..  
فهل غيبت يا سيد " بنديتو " ؟

ولدى سماع هذا الاسم نكر الشاب فى الأمر لحظة ، ثم انحنى  
إلى حوزيه ، قائلاً :

— هذا رسول كلفته بمهمة وقد جاء ليبلغنى أنباءها ..  
فأذهب أنت بأية وسيلة أخرى وأتركنا فى العربة وحدها .

وانسحب الحوذى متعجباً ، وانطلق الرجلان بالعربة .  
حتى غادرا حدود " أوتوى " ؛ وإذ ذاك تلفت الشاب حوله  
ليستوثق من أن أحداً لا يمكن أن يراه أو يسمعه . ثم مقد  
ذراعيه فوق صدره وابتدر الرجل الغريب ، قائلاً :

— لماذا جئت نزعج حياتى ؟

فقال الرجل : " دعنى أسألك أولاً لم خدعتنى ؟ لقد  
ذكرت لى عندما أفرقنا فى ( بون دى غار ) أنك ذاهب إلى  
إيطاليا ، بيدمونت ، أو أوسكانى ، ؛ لكنك بدلاً من ذلك جئت  
إلى باريس ! " .

فقال له الشاب : " إذن أنت تتجسس على حركاتى ؟ ..  
دعنى أحذرك يا سيد ( كادروس ) من مغبة ذلك .. والآن  
حذقنى ماذا تريد منى " .

فقال " كادروس " : " أعتقد أنى أستطيع العيش بمبلغ  
مائة غرنك فى الشهر ، لكنى لو حصلت على مائة وخمسين  
أكون أسعد حالاً " .

فأجاب " دانجلر " : " وسوف يسعدنى أن استقلك " .  
ثم عرض عليه البارون أن يأخذه فى عربته إلى حيث يتم  
بفتق " دى برانس " .. ما لم يحربه ذلك من صحبة ابنه ..  
فأجاب الضابط على هذه العبارة الأخيرة بقوله :

— إن ابنى قد ألف أن يعيش بعيداً عنى . وأن لكل من  
عربته وجياده . بحيث يستطيع أن يذهب ويحضر مستقلاً عن  
الأخر !

وهكذا استقل الأب عربة " دانجلر " وجلس إلى جواره .  
أما الابن فقد نادى حوزيه وراح يعنفه لأنه وقف بعربته  
أمام الباب الخارجى لا الداخلى . الأمر الذى سيكلفه أن يمضى  
على قدميه ثلاثين خطوة حتى يبلغ مكانها ! .. وإذ فرغ الشاب  
من هذا التائب وثأب للركوب أحس بدا توضع على كتفه .  
فلما التفت طالعه وجه قد لوحته الشمس ذو لحية كثة وعينين  
براقتين وأسنان حادة مديبة كاسنان الذئب أو ابن أوى . وبس  
ربط رأسه بمنديل أحمر وارندى ثياباً فذرة مزقة لا تليق  
تسمر مظامه النحيلة الشبيهة بهيكل عظمى .. وكانت يده التى  
وضعتها على كتف الشاب بالغة الضخامة . فذعر البارون  
ومراجع متسائلاً : " ماذا تريد منى " .

فأجاب الرجل ذو المنديل الأحمر :

— أغفر لى يا صديقى إزواجى إياك . لكنى أريد أن أتحدث  
إليك . وأن نجسنى مشقة العودة إلى باريس على قدمى . إلى  
جائع جداً .. ولم أتناول عشاء فائراً مثلك ؛ وهذا لا أعاد

وهنا مد إليه الشاب يده بياضى فركك وقال له : « فى وسعك أن تمر على وكيلى فى بداية كل شهر فيعطيك مثل هذا المبلغ .. والآن وقد حصلت على مبتغاك ، وصرفنا متفاهمين .. أقفز من العربة وأغرب عن وجهى ! » .



فى اليوم التالى أمر « دانتجر » جوديه بأن يحمله فى عربته إلى المنزل رقم ٢٠ بشارع الشانزليزيه ، حيث يقيم الكونت « دى مونت كريستو » ، وهناك استقبله الكونت مرحبا . وقال له :

— إنك تبدو متعبا محطما يا عزيزى البارون . بحيث يزعجنى أمرك ..

— لقد طاردنى سوء الحظ خلال الأيام الأخيرة ، فتوالت على الأنباء السيئة .. وقد بلغنى اليوم نبأ جديد . هو أن ماليا آخر فى ( تريسته ) قد أشهر إفلاسه !

— حقا ! ترى هل يكون هذا المالى « جاكوبو مانفريدى » ؟ .

— هو بعينه ! .. هل تصدق أن يفلس مالى مثله كان طيلة السنوات الطويلة التى تعاملت معه خلالها مثالا للانتظام فى الدفع ، دون أية ماطلة !

— إذن فقد خسرت ما يقرب من المليونين هذا الشير ؟

— نعم ، ولهذه المناسبة حدثنى عما يطلب منى أن افعله لـ « كاتالكانتى » .

— إذا كان أحد قد أوصاك به وكانت التوصية موثوقا بها ، فلا بأس فى أن تعطيه ما يطلب من مال .

— لقد قدم لى هذا الصباح سكا بمبلغ اربعين ألف فرنك مسحوبا عليك ومحولا منك إلى ، وهو بتوقيع « يوزونى » .. وقد صرفت قيمته له فوراً بالطبع .. ولكن هذا ليس كل شيء ، فقد فتح عندى حسابا لابنه هذا الصباح ايضا !

— هل لى أن أسالك كم يعطى ابنه من المال ؟

— خمسة آلاف فرنك شهريا !

— أى ستين ألفا فى السنة ؟ .. لقد صدق ظنى فى مبلغ تقدير الرجل وشجحه .. كيف يعيش شاب مثله بخمسة آلاف فرنك فى الشهر !

— ولكن فى وسع الفتى إذا أراد أن يحصل على بضمة آلاف أخرى !

— إياك أن تدفعها له ، فلن يسددها الأب لك .. إنك لا تعرف هؤلاء الأثرياء المحدثين ، إنهم غاية فى البخل !

— ألا تنق « كاتالكانتى » ؟

— اتا .. إنى أدفع ستة ملايين من الفرنكات بضمان توقيعهم لا غير !

فقال « دانتجر » فى عدم ميالة : « آه .. إن النبلاء يتزاجون فيها بينهم ، فهم يحبون أن يوحثوا ثرواتهم ! » .

— هذا طبيعى .. وقد أحضر ابنه إلى فرنسا لينتقى له زوجة !

— آه .. إذن فسوف يجد له أميرة من « بافاريا أو بيرو » ،  
لهو يطعم في ناج أو ثروة طائلة !

— كلا .. بل إن هؤلاء البادة العظام الذين يعيشون في  
الجانب الآخر من الألب غالبا ما يتزوجون من أميرات بسيطة .  
ولذا لا أحسبك تفكر في الأنسة « دانجلر » .. إلا إذا أردت أن  
تموت أندريا .. مذبحا بيه « البرت » المسكين !

نقال « دانجلر » وهو يهز كتفيه : « البرت » ؟ أه .. إنه  
لن يعبأ بالأمر كثيرا فيما اعتقد ..

— كيف لا ليست مخلوبة له ؟

— لقد تحدثنا في الأمر .. أنا وأبود المسبو « دي مورسيرف »  
.. لكن مدام « دي مورسيرف » والبرت ..

— لا أحسبك تمنى أنها لن تكون مفعلة موفقة !

— إنني أفضل مسبو « أندريا » كالفالكافني « على مسبو  
« البرت دي مورسيرف » .. فبرغم أنني لم أولد بارونا ..  
النساء .. فإن اسمي الحالي هو اسمي الأصلي الحقيقي على  
أية حال .. أما هو فليس اسمه « مورسيرف » .. أن  
« مورسيرف » كان صيادا حقيرا يدعى « فرناند مونديجو » ..

— إذن لماذا فكرت في إعطائه ابنك ؟

— لأن كلا من « فرناند » و« دانجلر » قد صار نبلا وغنيا ..  
مساويا للآخر في مركزه الأدبي ، فيما عدا أن هناك مضعمة  
أشياء تقال عنه ولا تقال عني أنا مثلا !

— هذا الذي نقوله يفكرني بأنني سمعت اسم « فرناندو  
مونديجو » بقرن في بلاد اليونان باسم « على باشا » !

— هذا هو السر الذي أنا على استعداد لأن أدفع أي ثمن  
في سبيل الوقوف عليه !

— الأمر غاية في السهولة .. اكتب إذا شئت إلى وكيلك  
في « أثينا » واسأله عن الدور الذي لعبه لفرنسي يدعى  
« فرناند مونديجو » في كارثة « على باشا » !

نقال « دانجلر » وهو يتنهد .. : « أنت على حق  
.. سأكتب إليه اليوم ! »

\*\*\*

« اقتبعت مدام « دانجلر » خلال مهر خاص نحو مكتب  
« مسبو دي فيلتور » فوجدته جالسا في مقعده يكتب .. وظهرد  
إلي الباب .. ولم يتحرك حتى سمع الباب ينسد .. والحاجب  
يقول للزائرة ! « تفضل بالدخول يا سيدتي » .. ثم ينلق  
الباب من جديد .. لكن خطوات الحاجب لم تكن تبعد حتى  
نهض فاضى التحقيق فأغلق خشب التوافذ والستائر وفحص  
كل ركن في غرفة .. ثم قال :

— مضي زمن طويل منذ كانت لي متعة التحدث إليك على  
انفراد يا سيدتي .. وإنه ليحزنني أننا لم نلتق اليوم إلا لتبادل  
حديثا مؤلما .. فاستجمر كل شجاعتك يا سيدتي ، فأنك لم  
تعرفي بعد غير طرف من الموضوع !

— إذن فانت لم تدفن طفلى المسكين هناك ! لماذا إذن  
حذعتنى ؟. أين وضعته ؟ قل لى .. أين ؟

— هناك ! ولكن اصغى إلى .. وسوف ترئين لحال  
شخص حمل الصبء الثقيل وحده طيلة عشرين عاما .. العيب  
المفجع الذى يوشك أن يبوح لك بسرہ الآن .. دون أن يلقى  
أبسط جزء منه على عاتقك ! فبئذ عدت إلى وعيى بعد أن  
شقيت من طعنة ذلك الكورسيكى اللعين « جعلت همى أن أبحث  
عن جنه الطفل ، فعمدت إلى الاستفسار فوراً عن مصير  
البيت الذى كنا نلتقى فيه .. وحين علمت أن أحدا لم يقطنه  
بئذ تركناه هرعنا إليه من فورى ، فلم أدرع موضعا من الحديقة  
لم اضربه بفأسى ، آملا أن تصطم الفأس بسطح الصندوق  
الحديدى .. ولكن دون جدوى ! .. لم أشر على شيء ! .. فحملت  
أسائل نفسى : « ما الذى يجعل ذلك الرجل ، بأخذ جثة  
الطفل ! إن الأجسام المينة لا تقتنى بل تعرض على قاضى  
التحقيق كي يستقى منها الأدلة التى يريدھا ثم تدفن .. لكن  
سنا من هذا لم يحدث !

ففسألت هرمين وهى ترتعد فى عنف : « إذن ما الذى  
حدث ؟ » .

— شيء أقطع وأقسى عاقبة ! .. قد يكون القاتل وجدة  
الطفل حيا فائقده !

وهنا أطلقت البارونة « دانجلر » صيحة ثاقبة وامسكت  
يد « دى فيلفور » هائفة :

وكانت البارونة تعرف مبلغ هدوء « دى فيلفور » لطبيعى  
فى الأحوال العادية ، فأزعجها ما بدا من أنفعاله بحيث غتحت  
فأما لتصبح ، لكن المصيبة اختلقت فى طلقها .. فى حين  
استطرد هو فقال :

— أرايت كيف يعث ماضينا الرهيب من مرقدہ فى أعماق  
ضمائرنا حيث دفن .. كى يهل أملنا الآن مثل الشيع ..  
فيجلل وجوهنا بالعار ويكسوها شحوب الأموات ! ..  
فقالته له هرمين : « إنها المصادفة ولا شك ! » .

— المصادفة ؟ .. كلا يا سيدتى ! .. لا يوجد شيء اسمه  
المصادفة !

— بل يوجد .. البيت المصادفة التى كشفت كل ذلك !  
البيت هى التى جعلت الكونت « دى مونت كريستو » يتناع  
هذا البيت بالذات ، ويحفر أرض الحديقة فى ذلك الموضع  
بالذات .. فيعثر على الطفل التمس مدفونا تحت الشجرة ؟ ..  
ذلك المخلوق البرىء المسكين الذى ولد منى ولم استطلع حتى  
أن أقبله مرة واحدة ، والذى طالما بكينه بدموعى الحارة ؟ .

فأجابها « دى فيلفور » فى صوت أجوف :

— كلا يا سيدتى .. وهذا هو التبا الرهيب الذى اصارك  
به اليوم .. لم يوجد شيء مدفونا تحت الشجرة .. لم توجد  
جثة طفل .. إنك لا ينبغي أن تبكى ، بل يجب أن ترتجفى  
هلما ! .. !

— ابني كان حيا ! .. هل دفنته حيا ! نفتشه دون  
تستوفى من موته ؟ .. رياه !

— لست ادري . وإنما أنا أقترض ذلك . كم أقترض اى  
فرض آخر .. !

وزاغت عينها الرجل . ودلت نظرنه على ان عقله الناقص  
قد بلغ حافة اليأس والجنون .. وراح يغمغم :

— إذا كان الأمر كذلك . وصح هذا القرض فإننا نكون قد  
هلكنا ! .. يكون الطفل ما يزال على قيد الحياة . ويكون هناك  
شخص يعرف سرنا .. وما دام « الكونت دى مونت كريستو »  
قد تحدث أمهنا عن طفل وجد في الحديقة . في حين ان ذلك  
الطفل لا يمكن ان يكون قد وجد .. إذن فهو الذى يقف على  
سرنا !

وبعد بضعة أيام كان « دى فيلفور » جالسا في بيته مكتفيا .  
حين سمع صوت عجالات تدنو من الباب . ثم تلاه وقع خطوات  
تصعد السلم .. وفتح الباب بعد ذلك . فخلعت منه عجوز  
تحمل معطفا على ذراعها وقبعتها في يدها .. وكان منظرها  
مؤلما : بشعرها الأبيض ، وجبينها الأصفر ، وعينيهما اللتين  
غضنتهما الشيخوخة وكادتا تختفيان وراء اجفانها التى ترحب  
البكاء !

وهفت المرأة في لوعة : « اواد يا ميبدي ! .. أية كلمة  
حلت بى ! .. إننى سأموت حزنا بلا شك ! » .

فتنهض « دى فيلفور » وخف لاستقبال حماته .. الأولى ..  
مستائلا :

— ماذا حدث ؟ . ما الذى أزعجك ؟ .. هل سمع  
« دى سان ميران » معك ؟

فأجابته المركيزة العجوز دون مقدمات . ودون أى تعبير  
على وجهها . من غرط ذهولها : « إن ميسيو دى سان ميران  
قد مات » .

فترجع « دى فيلفور » وهو يضم يديه صالحا :  
« هكذا فجأة ؟ »

فقالت المركيزة : « منذ أسبوع خرجنا معا في العربة بعد  
الغداء . وكان زوجى متوعلك الصحة منذ أيام . لكن سكرة  
رؤية عزيزتنا « غالتين » مرة أخرى أمدته بالاشجاعة . فاغفل  
أمر مرضه .. وعلى بعد ستة نراسخ من مرسيليا . بعد تناول  
الأقراص التى ألف تناولها . نام نوما عميقا إلى درجة شعرت  
بمعا انه نوم غير طبيعى .. لكنى ترددت مع ذلك في إيقاظه .  
ولو انى لاحظت احتقاناً في وجهه . وغنفا غير عادى في نبضات  
عروقه صدغه ! .. ولم اليث ان أقفبت أنا بدورى . ثم سمعوت  
صد حين على حشرجة كالفى تصدر من شخص يتالم من  
كابوس .. وفجأة التى رآه إلى الخلف بشدة . فاستعملت  
الأملاح التى تزول الإغماء .. لكن كل شيء كان قد انقضى !  
ولم نصل إلى « ايكس » حتى كان



وكان « دى فيلفور » يصفى إلى القصة وقد نمر غاد ..  
قرط ذهوله .. ولم ينطق بحرف .

\*\*\*

وفي مساء اليوم التالي غادر « دى فيلفور » المنزل ومعه  
الطبيب .. وقال الأول لمرافقه :

— « اواه يا عزيزى ! .. لقد اعلنت المساء الحسب على  
بيتى ! .. يالها من مبة عظيمة . أية كارثة ! لا نحاول مواساتى .  
فما من شيء يستطيع أن يخفف من غداة حزنى . إن الجرح  
عميق وحديث ! » .

فاجابه الطبيب : « يا عزيزى » دى فيلفور « . ما صحبتك  
إلى هنا كى أواميك ، بل على العكس ، فإن وراء الخطب  
الذى أصابك خطبا آخر أمر وادهى . لقد ماتت المركيزة  
« دى سان ميران » من جرعة قوية من « بروسين المستوكين  
لعلها قد أعطيت لها خطأ » .

فتناول دى فيلفور يد الطبيب وقال : « هذا مستحيل ..  
لا بد أنى أحلم ! » .

— هل للمركيزة « دى سان ميران » أعداء ؟

— لست أعلم أن لها أى أعداء !

— ألا يحتمل أن يكون الخادم « باروا » قد أخطأ فاعطىها  
جرعة . كانت معدة لسيدة ؟

— لا أدرى .. ولكن كيف يكون دواء مسيو « نوارتييه »  
ساما للمركيزة ؟

— هذا امر غاية فى البساطة ، فهناك سموم تغدو أدوية  
للملاج فى بعض الحالات ، ومنها حالة الشلل .. وقد وصفت  
لمسيو « نوارتييه » فى آخر زيارة ست حيات من « البروسين »  
وهى جرعة يحتلها هو لأنه أخذ من المادة جرعات سابقة  
مضيرة . لكننا لو اعطيت لأول مرة لآى إنسان لقتله فوراً !

— ولكن ليس هناك يا عزيزى أى اتصال بين جناح مسيو  
« نوارتييه » وجناح المركيزة « دى سان ميران » . ولم يدخل  
« باروا » مخدع حماى قط !

— يا عزيزى « دى فيلفور » . لو كان فى طاقة الطب أن  
ينفذ المركيزة « دى سان ميران » لانتقدها . لكنها قد ماتت ..  
وواجبى الآن ينحصر فى حماية الأحياء . فلتدفع هذا السر  
الرهيب فى أعبق أعماق قلوبنا . وأنا على استعداد .. فيها  
لو ارتاب أحد فى الأمر — أن أعزو سكوتى عن التبليغ إلى  
جهلى .. وفى أثناء ذلك عليك أن تشدد رقابتك ، فعمل الشر  
لا يقف عند هذا الحد .. وحين نكتشف الجرم — إذا عثرت  
عليه — سأقول لك : « انت قاضى تحقيق وأعرف بواجبك ! » .

- ١٧ -

## سر مصرع الجنرال

على أثر الجنائز المردوجة للمركز والمركيزة « دى سان ميران » عاد « دى فيلفور » بصحبة « فرانز ديبيناي » إلى « سانت أونوريه » ، فغضى القاضى إلى مكتبه مباشرة ، دون أن يفرج على حجرة زوجته أو ابنته .. وهناك قدم للشباب مقعدا وهو يقول له :

« مسيو « ديبيناي » أسمح لى أن أذكرك فى هذه اللحظة بأن الذقيدة تد أعسريت .. وهى على فراش الموت .. عن رغبتها فى الأباخر زمان « فالتين » عن موعده .. وليس فى هذا الأمر ما يجافى الفوق كما قد يبدو لأول وهلة .. فان تنفيذ رغبات الموتى أول ما يجب لهم على الأحياء !

فقال الشاب : « كما تشاء يا سيدى ! » .. وواصل « دى فيلفور » كلامه قائلا :

« إذن أرجو أن نتكرم بالانتظار نصف ساعة ريثما نهبط « نالسن » من غرغتها .. وسأرسل فى استدعاء مسيو « دبشان » كي تقرأ عقد الزواج وتوقع عليه قبل أن نشرق .. وسوف تصحب السيدة « دى فيلفور » فالتين الليلة إلى ضيعتها .. على أن نلحق بهما بعد أسبوع !

وحين حضر مسجل العقود ابتدر « فرانز » بقوله :

« فيفى أن أخبرك يا سيدى .. بناء على طلب مسيو

« دى فيلفور » بأن زواجك المرتقب من الأنسة « دى فيلفور » قد غير عواطف مسيو « نوارتييه » نحو حقيده .. فجردهما من ثروته التى كانت مستوتبا .. واضيف إلى ذلك أن الموصى - الذى لا يملك غير حق التصرف فى جزء من ثروته فقط - قد تصرف فى ثروته كلها .. الأمر الذى يجعل الوصية قابلة للظن والإلغاء !

وهنا أردف مسيو « دى فيلفور » : « نعم .. لكنى أبادر فانيه مسيو « ديبيناي » إلى أن وصية أبى لن يتأزع فيها خلال حياتى .. فإن مركزى يحول دون تجريدها ! » ..

ولم يكد يفرغ من هذا القول حتى فتح الباب وبصر على عنته « ياروا » وقال : « سادتى .. إن مسيو « نوارتييه » يرغب فى أن يتحدث الآن إلى مسيو « فرانز ديبيناي » .. فالتفت « دى فيلفور » إلى ابنته وقال لها : « فالتين » .. يجب أن نذهبى لتبحثى هذه النزوة الجديدة من جانب جدك ! .. فنهضت الفتاة على عجل وأسمرت نحو الباب مفتبطة .. ولكن صوت أبيها ما لبث أن لاحقها إذ غير رأيه فقال : « انتظرى .. ماذهب معك ! » ..

وكان « نوارتييه » مغاهيا للقائهم .. فلما دخل الأشخاص الثلاثة الذين كان يتفكرهم ، نظر إلى الباب .. فأغلقة خادمه ، وإذا ذاك هيس « دى فيلفور » فى أذن ابنته .. التى عجزت عن إخفاء غرحتها : « أصفى إلى .. إذا أراد مسيو « نوارتييه » أن يتخذ أى إجراء يؤخر موعد زواجك .. انى أمتنع من أن تقيمى إشارته ! » ..

وأوما نوارتييه إلى فالتين كي تقرب ، وأدركت هي من أول إشارة أن جدّها يريد مفتاحا .. ثم استقرت عيناه على درج في خزانة صغيرة تقع بين التوافذ ، فتفتحت الدرج . ووجدت بنتا ، وهنا أدار الشيخ المشلول عينيه نحو منضدة مكتب صغيرة مهلهة منذ سنوات ، بحيث ما كان أحد ليعتقد أنها تضم أوراقا ذات قيمة .. فتفتحتها الفتاة وأخرجت منها حزمة من الأوراق مربوطة برباط أسود . تناولها « فرانز » وقرا على غلافها هذه العبارة : « تسلم عقب وفاتي إلى الجنرال « دوران » ، الذي سوف يوصي بالحزمة إلى ابنه بعد أن ينبهه إلى ضرورة المحافظة عليها باعتبارها تضم مستندات هامة » .

ثم قضى « فرانز » الحزمة وقرا بصوت مسموع وسعد سكون الحجرة : « صورة من محضر جلسة نادي أنصار « بونابرت » الكائن بشارع سنان جاك ، يوم ٥ فبراير سنة ١٨١٥ » .

وعندئذ توقف « فرانز » عن القراءة وقال : « ٥ فبراير سنة ١٨١٥ .. إنه اليوم الذي قتل فيه أبى ! » .

فلم ينبس « دي فيلفور » أو « فالتين » بكلمة ، في حين أوما الشيخ المشلول إلى الشاب كي يواصل القراءة .. لكن هذا قال وكأنه يحدث نفسه : « لقد أختفى أبى عند مفادرتة هذا النادى ! » .. فلما استحثته عين المريض ، واصل القراءة : « يعلن الموقعون على هذا المحضر أنهم قد تلقوا يوم ٤ فبراير خطابا من جزيرة ( البا ) يوصى بأن يضم النادي

إلى عضويته « الجنرال فلافيان دي ليفيل » الذى خدم الإمبراطور من سنة ١٨٠٤ إلى ١٨١٤ وما زال يخص بعواطفه شدة « تايليون » . بغض النظر عن لقب « البارون » وصيغة « سيني » اللتين منحه إياهما لتود الملك « لويس » الثامن عشر .. ومن ثم طلب المجتمعون إلى المرشح الجديد أن يحضر الجلسة التى تعقد في اليوم القالى - ٥ فبراير - فلما حضر بدأ الحاضرون يستجوبونه عن عواطفه السياسية ، ولكنه اكتفى بالقول إنها واضحة من الخطاب المرسل من جزيرة ( إلبا ) . فحاول الرئيس إغراءه بأن يتكلم بمزيد من الوضوح والتحديد .. وحين شدد المجتمعون عليه الخناق قال : « لم تمض أيام على إعلان ولائى للملك « لويس » الثانى عشر . بحيث يصعب على أن أحتث بعهدى فانضم إلى إمبراطور السابق ! » .. وكان الرد من الوضوح بحيث لا يدع مجالا للشك في حقيقة عواطف الرجل .. فنهض الرئيس وقال مخاطب الجنرال : « سيدى ، إن كلامك يدل بوضوح على أن سلطات جزيرة ( إلبا ) خدعت فيك وخدعنا ، ونحن لن نجبرك على أن تساعدنا ضد ضيرك ، لكننا سنرفعك على أن تتصرف تصرفا كريما ! » ، فأجاب الجنرال : « تقصدون أن أفف على مؤامرتكم ولا أبلغ عنها ! إنى أسمى هذا اشتراكا معكم فيها .. وهكذا ترون أنى أكثر صراحة منكم ! » . فأجابه الرئيس : « إن أحدا لم يرفعك على حضور هذا الاجتماع . وامت من الفطنة بحيث تدرك موقفنا الحالى ، وصراحتك تهلل علينا الشروط التى ينبغى أن نفرضها عليك ! » .. فتنظر

الرجل غيما حوله في قلق ، ثم تفرع بكل صلابة وقال : « إننى لن أقسم بيمين الولاء » .. وعندئذ قال له الرئيس في هدوء : ( إذن يجب أن تموت ) .. ونهض الرئيس فأشار إلى ثلاثة من الأعضاء كي يثبوه . ثم ركب الجميع العربة مع الجنرال بعد أن عصبوا عينيه .. حتى بلغوا ذلك الجزء من رصيف أورم الذى يقود سلمه إلى النهر . وهناك وضع الصباح على الأرض ووقف الخصمان متواجهين .. ثم بدأت المبارزة .. وبرغم أن الجنرال « ديبيناي » كان من أبرع رجال الجيش في المبارزة ، فإنه سقط ميتا بعد خمس دقائق .. وعندئذ بقيت جثته في النهر وعاد الشهود من حيث أتوا . وهكذا يتبين أن الجنرال مات في مبارزة سريعة وليس في كمين قادر كما اشتهر ، وقد حررنا هذا المحضر وذيلناه بتوقعاتنا إلبانا لهذه الحقيقة ، خشية أن بجىء اليوم الذى يتجه فيه أحد ظلمها بقتل الرجل عمدا أو بخرق قواعد الشرف وأصول المبارزة . التوقعات : « بورير .. ديشامبى .. ليشابال » . وهنا قال « ديبيناي » يحدث « تورييه » : « سيدي .. ما دمت على علم بكل هذه التفصيلات التى يترها شهود شرعاء ، وما دمت تهتم بأمري - برغم أنك اظهرت هذا الاهتمام في صورة عكسية سببت لى مزيدا من الالاسى - فلا تضن على بإجابة مطلب واحد أخير : اذكر لى اسم رئيس ذلك النادي - حتى أعرف على الأقل اسم قاتل أبى ! » .

ثم التفت إلى « فالنتين » وقال لها : « آنسى .. ضمى جهدك إلى جهدى كي تكتشف اسم الرجل الذى جعلنى يتينا في سن الثانية من عمري ! »

لكن « فالنتين » بقيت جامدة صامدة ، في حين نظر « نوارتييه » إلى القاموس . ففتأوله « فرائز » وهو يرتجف في عصبية وراح يكرر على مسمع المريض جميع الحروف الاليجنية على التقابح حتى أوقفه هذا عند حرف ( أ ) ثم عند حرف ( ن ) ثم حرف ( أ ) وهي الحروف التى تكون كلمة « أنا » .. فغضب « فرائز » مذعورا : « أنت ؟ .. أنت يامسيو » نوارتييه « الذى قتلت أبى » .

فأجاب « نوارتييه » وهو ينظر إلى الشاب نظرة ذات جلال :

— نعم !

وإذ ذاك نهلك « فرائز » على المقعد خائر القوى ، في حين منع « دى ميلفور » الباب ولاذ بالفرار ، فقد راودته فكرة إخماد البقية الباقية من الحياة في قلب الشيخ المسن الرهيب :

- ١٨ -

## في سوق الرقيق

جلس الكونت «دى مونت كريستو» والبرت دى مور-جرب  
بعد عودتهما من حفلة استقبال في بيت «دانجلر» ..  
بناولان الشاي في صالون مفزل الكونت . ثم تطلع «مورسيرف»  
نحو الباب الذي كانت تنبعث من ورائه أصوات تشبه انفا  
لقنار . فقال له الكونت «دى مونت كريستو» :

« لقد قسم لك يا عزيزي الفيكونت ان تسمع الكثير من  
الموسيقى هذا المساء .. فإنا لم نكد ننجو من بيتنا الأنسة  
« دانجلر » حتى لاحقتك قيثارة « هايدى » .

فقال «البرت» : « هايدى ؟ .. ياله من اسم ساحر !  
هل هناك حقا نساء يحملن اسم « هايدى » .. في غير شعر  
« بيرون » ؟ » .

« بلا شك .. إن اسم « هايدى » اسم نادر في فرنسا .  
لكنه شائع منتشر في ( البانيا ) وجزيرة «أبيروس» .. وقد  
ولدت وارتلة لكنوز لا تعد كنوز « ألف ليلة وليلة » «الفقياس»  
إليها شيئا مذكورا !

— لا بد إذن أنها أميرة ؟

— أنت على حق ، بل إنها من أعظم أميرات بلدها !

— إذن كيف صارت جارية لك وهي أميرة عظيمة ؟

— إنها نتائج الحرب ، يا عزيزي الفيكونت . وتقلبات  
ونزواتها !

— وهل اسمها الكامل وشخصيتها سر من الأسرار ؟  
— هل تعرف تاريخ « على باشا » والي « يانينا » ؟  
— « على باشا » .. «أوه ، نعم .. إنه الوالي الذي كون  
أبي نروته وهو في خدمته !

— هذا صحيح ، لقد سميت ذلك .. إذن فلتعلم ان «هايدى»  
هي ابنة « على باشا » من الحسناء « فاسيليكي »

— وكيف صارت جارية لك ؟

— لقد اشتريتها ذات يوم وأنا مار في سوق القسطنطينية .  
— هذه مصادفة رائعة .. ولهذا المناسبة هل لي أن أطلع  
في أن تقدمني إليها ؟

— أقبل ذلك بشرطين : أولهما الاتي بوح يومنا لاحد بانى  
منحك هذه القرصة .. والثاني الا تخبرها قط بأن أبك كان  
يوما في خدمة أبيها !

— حسن ! .. إني أقبل هذين الشرطين !

\*\*\*

جلست « هايدى » في انتظار زائريها في الحجرة الأولى من  
جناحها ، وهي حجرة الاستقبال .. وكانت عيناها الواسعتان  
تفيضان دعة وترقيا . فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي  
يسمح فيها الكونت « دى مونت كريستو » لأشخاص يرونها ..

وكانت جالسة على أريكة في زاوية من الحجرة . وقد عثدت سابقيا تحتها على الطريقة الشرقية .

وقال « البرت » بالإيطالية : « يا مزيقى العزيز . وسيدتى السنيور . اغفرا لى غيائى الظاهر . فأتى جد حائر . . ومن الطبيعى ان أكون كذلك . غانا الآن فى قلب باريس . ومع ذلك أحس كائى نقلت فجأة إلى الشرق . . لا كما راقته عيناى . بل كما رسمه خيالى . . أه يا سنيور لو اننى كنت أستطيع أن أتكلم باليونانية . لكان حديثك الطلى . بالإضافة إلى المناظر الساحرة الخيالية التى تحيط بى ، يمنحنى سيرة ممتعة يستحيل على أن أنساها !

فاجابت هايدى فى هدوء : « إنى أعرف تماما الامطلة ينبع لى ان اجاذبك الحديث بها . . وإذا كنت مولعا بكل ما هو شرقى فسوف أبذل جهدى كى أتيح لك ما يرضى ذوقك فى أثناء وجودك هنا ! » .

فقال « البرت » للكونت بصوت خافت : « أسبح للسنيور : يا كونت ان تسرد على طرفا من تاريخها . لقد منعنى من الإشارة إلى اسم والدى على مسمع منها . . ولكن لعلها تشير إليه من تلقاء نفسها فى أثناء الحديث . وأنت لا تستطيع أن تنصور كم يلذ لى أن أسمع اسم أسرتنا نتلق به هاتين الشفتان الجميلتان ! » .

وهنا التفت الكونت إلى « هايدى » . ثم قال لها باليونانية : وعلى وجهه تعبير أمر : « حدثينا بقصة منسأة أبك . ولكن دون ان نذكرى اسم الخائن ولا تفصيل الحياة ! » .

فنبذت « هايدى » من قلب مكثوم . وكست وجهها بحاية من العزن . . ثم قالت : « تريد منى إذن ان أسرد تاريخ اتعجالى الماضية ؟ حسن ! . . كنت فى الرابعة من عمرى حين أيقضى لى نجاه ذات ليلة . وكنا فى قصر « يانينا » . . فلم أكد أفتتح عيني حتى رايت عينييا مغرورقتين بالدموع . . ثم اتفرغنى من الفرائى الوير الذى كتمد نائمة عليه . دور ان تبنى بكلمه . كى تلوذ بالفراو . . وقد قيل لى بعدئذ : إن حامية قصر « يانينا » التى أضاعها العمل المتواصل . قد أسسليت « لخورشيد باشا » الذى أرسله السلطان للقبض على أبى . . وبعد قليل كنا جميعا فى « المجا » الذى أعده أبى من قبل وأطلق عليه اسم « المخيا » . . بعد ان أرسل إلى السلطان كتابا مع صاحب مرئسى كان يوليه ثقته الكاملة ! » .

فسألتها « البرت » : « الا تذكرين اسم هذا الضابط يا سنيور ! » .

وهنا تبادل الكونت مع « هايدى » نظره سريعة لم يلحظها الشاب . فاجابت قائلة :

« لست أذكره الآن . ولكن إذا تذكرته فى أثناء حديثنا فسوف أذكره لك !

وهنا كاد « البرت » يتطلى باسم أبيه . لولا ان ذكره الكونت موعده السابق بالإشارة تحذير بسمايته . . فلاذ بالصمت . . فى حين استأنفت الغفلة كلامها . فقالت :

« كان ' المخيا ' الذى لجأنا إليه جزيرة صغيرة متوسط إحدى البحيرات ، وكان هناك كيف نحد . . لا أذكر . . فاجابت « البرت »

صيحات عالية تنبها رنين الفرح . وتجاوب الحراس في الخارج باسم الضابط الفرنسي الذى أوعده بى إلى السلطان . غامر كنّا من الرجل عاد يحمل ردا مرضيا !

« وازداد الضجيج . واقتربت خطوات تهبط السلم إلى داخل الكيف . وأعد « سليم » العدة لإشغال البارود في حالة حدوث ما يستلزم ذلك . وعندئذ ظهر في مدخل الكيف شخص لم يفتين « سليم » وجهه بسبب الظلام . غصاح به : « من أنت ؟ .. حذار أن تتقدم خطوة أخرى ! .. فاجابه الآخر هائلا : « عاشى السلطان » ! لقد منح جلالته « على باشا » وزيره عفوا كاملا . ولم يرد إليه حبائه وحدها . بل رد إليه أيضا ثروته وممتلكاته ! »

وهنا سأل « سليم » : « باسم من نتكلم لا » .

فجواب : « باسم سيدنا « على باشا » » .

نقل له سليم : « إذا كنت قادما من عشت « على باشا » فانت تعرف العلامة التى يجب أن تظليها لى ! » .

فقال الضابط : « نعم .. هانذا أحمل إليك خاتمه ! .. ثم رجع منه عود راسه لتظهر العلامة . لكن المسألة كانت معقدة والخوف اضيق من أن يسمح « لسليم » بتمييزها .. فقال له : « لنسب إلى « على باشا » .. ولن تسمح لك بأن تقترب . بل لن اقترب أنا منك قبل أن تضع الشيء الذى نبحثه في الخزانة الذى فيه هناك . ثم تمسح ريشها فحصى ! »

« ووضع الرسول العلامة في .. »

أمى وحاشيتنا من النساء .. وكان في الكيف ستون ألف حافظه تحوى ٢٥ مليون جنيه من الذهب . ومانتا برميل من البارود بها ثلاثون ألف رطل من البارود ! .. وإلى جوار البراميل وقف وكيل أبى الوفى المفضل « سليم » يحرس الكيف ليل نهار . وفي يده حربة مزودة بثقالب دائم الاشتعال .. وكان لديه أمر بان يتسلف الكيف بكل من فيه وما فيه . حتى إن كان أبى بداخله في اللحظة التى يتلقى فيها الإشارة المتفق عليها من قبل !

« وذات يوم أرسل أبى يدعونا إليه . وكانت أمى قد قضت ليلتها مؤرقه تبكى . وهى فريسة لأشد حالات التعاسة .. فوجدنا « الباشا » عادنا . ولكن أكثر شحوبا من المألوف .. وابتدر أمى قائلا : « تشجعى يا « غاسيلكى » ؟ فاليوم يصل المرسوم السلطانى الذى يقرر مصرى .. فإذا كان قد منحنى عفوا كاملا فسنعود منتصرين إلى « باينا » .. أما لو كانت الأنباء مريبة .. فينبى أن نفر الليلة ! »

« فقلت له أمى : « وماذا نصنع إذا حال عدونا دون هذا الفرار لا .. فاجابها وهو يبتسم : « لا نتلقى بشأن ذلك . ففى هذه الحالة يتكفل « سليم » وحرية بحسم الموقف . إنهم سوف يسرون برؤيتى ميتا . لكنهم لن يسروا بأن يموتوا معى ! »

« كان ذلك في الساعة الرابعة بعد الظهر . وبرغم أن النهار كان مشرقا في الخارج . كنا داخل الكيف في ظلمة تامة . فيها عدا بصيص من الضوء في ركن منها . بنعت من حرية سليم .. كان أشبه بنجمة وحيدة في سماء معتمة ! .. وغجاة سسمعنا

" سليم " . ثم انسحب .. فاقترب " سليم " من المكان .  
وتناول العلامة ونالها مليا . ثم قبلها وهتف قائلا : " إنها  
هى .. إنها خاتم سيدى ! " .. ثم التفت الشعلة من يده وداسها  
بقدمه ناطقاًها .. وعندئذ أطلق الرسول صيحة ظفر وصفق  
بيديه .. وسرعان ما ظهر فجأة أربعة من جنود " خورشيد "  
وسقط " سليم " على الفور مصاباً بخمسة طعنات . ثم تقدم  
الضابط والجنود الأربعة والخوف بكو وجوههم شحوباً .  
وراحوا يغتشون أنحاء الكهف ليستوثقوا من زوال خطر الحريق  
والانفجار .. وعندئذ انقضوا على حقالب الذهب ينهبونها !

" وفى تلك اللحظة حملتنى أمى بين ذراعيها . ثم هرعنا فى  
سكون عبر ممرات وسرايب خفية لم يكن يعرفها غيرنا حتى  
وصلنا إلى سلم آخر يقضى إلى مدخل مستقل من مدخل  
الكهف . وهناك كانت تسود المكان سحابة واضطراب شديدان .  
كان جنود " خورشيد " يملنون الحجرات السفلى . وفيها كانت  
أمى توشك ان تفتح باباً صغيراً . سمعنا صوت أبى يصيح  
مهتداً ، فنظرنا من خلال ممرجات بين الأخشاب ، وإذا أبى  
يقول لبضعة أشخاص يحمل أحدهم فى يده ورقة مكتوبة  
بأحرف من ذهب : " ماذا تريدون ؟ " .. فأجابوه : " نريد أن  
نبلغك إرادة صاحب الجلالة . هل ترى هذا الفرمان ؟ .. إن  
جلالة السلطان يطلب رأسك فيه ! " .. وأطلق أبى ضحكة  
مدوية مخيفة ، ثم أطلق مسدسه فصرع اثنين من الجنود ..  
وفى هذه اللحظة بدأ إطلاق النار من الجهة المقابلة ، واختزمت  
الرمصاصات الحوايط من كل جانب ، وبرغم ذلك بدا أبى جليل  
المظهر وهو يكر على خصومه فيفزعهم ويلجئهم إلى الفرار ،

وكان فى الوقت نفسه يصيح بحارسه : " سليم .. سليم !  
.. آد واجيك ! " .. فجابه صوت كأنه صادر من حواف  
الأرض : " لقد مات " سليم " . وأنت قد ضعت يا " على " !  
.. وفى هذه اللحظة نفسها دوى المكان بانفجار قوى .  
ونشأت أرض الحجرة التى كان عليها أبى ، وكان الجنود  
يطلقون النار من أسفل " .. وعندئذ مد أبى أصابعه وهو  
يزار بشدة إلى النفقات التى أحدثتها الطلقات فى أرض المكان .  
وانتزع واحداً من الألواح الخشبية .. وعلى الفور انطلقت من  
جوف الأرض عثرون طلقة قوية . وتداقعت السنّة اللىس  
كانها بقذف بها بركان ، غالتهم محتويات الفجرة .. وخلال  
هذا الضجيج المروع والصرخات المفزعة انطلقت طلقتان  
واضحتان تبعتهما صرختان حادثتان جعلتا الدم يتجمد فى عرونى  
.. فقد أصابنا أبى ! وبرغم ذلك ظل واقفاً متشبهاً  
بالتأفدة .. فى حين حاولت أمى اقتحام الباب . كى تموت  
بجانبه . لكنه كان مغلقاً من الداخل ..

" وهنا نداعت فجأة أرض المكان بأكملها . فسقط أبى على  
إحدى ركبتيه . وفى اللحظة عينها امتدت تحديده عثرون يبدأ  
مسلحة بالفخاخر والسدسات .. عثرون هجبة ركزت كلها  
ضد شخص واحد . فاختفى والذى وسط إعصار من النار  
والدخان حتى لكان الجحيم قد فرفراه تحت قدميه .. وسمرت  
تنفسى اسقط على الأرض . وأغشى على أمى ! .. وحين انماقت  
من إغمائها كنا نذل أمام " خورشيد " . ففتفت به أمى :  
" اقتل ، ولكن أبق لأرملة " على باشا " شرفياً ! " ..  
فاجابها : " لست أنا الذى يتبقى .. " ..



- ١٩ -

## شراب قاتل !

لو ربيع « لثقتين » ان ترى اضطراب خطوات « مرائز »  
والانفعال السدى بدا على وجهه حين غادر حجره مسيو  
« نوارتييه » . لاشغقت عليه . برغم كل شيء !

وكان « دى فيلفور » قد غغم ببضغ عبارات منقطعة ثم  
انسحب إلى حجره مكتبه . حيث تلقى بعد ساعتين الخطاب  
التالى : « بعد الأمور التى انكشفت هذا الصباح . لا بد ان  
يفذر مسيو « نوارتييه دى فيلفور » استحالة عقد أى صلة بين  
أسرته وأسرة « غرانر ديبيناي » . وأنه ليددهش مسيو  
« ديبيناي » ويصفيه ان مسيو « دى فيلفور » - الذى ظهر  
أنه كان على علم بكل الظروف التى انكشف أمرها هذا  
الصباح - لم يبادر إلى إخطاره بها قبل الآن ! » .

وفى اليوم التالى دعا « نوارتييه » مسجل العقود وجعله  
يلقى الوصية الأولى ويسجل بدلا منها وصية أخرى بترك فيها  
كل ثروته لحفيده « ثالثتين » . بشرط ألا تنفصل عنه مدى  
حياته . . وعندئذ شاع في كل مكان ان الأنسة « دى فيلفور »  
وريثة المركز والمركزية « دى سان ميران » . قد استردت رضا  
جدها . وأنها سوف تصبح ذات إيراد يبلغ ثلاثمائة ألف ريال .

وفى الساعة التاسعة من ذلك الصباح ارتدى « البرت دى  
مورسرف » سترة سوداء . ووضي في خطواته بعدة  
مضطربة في اتجاه دار الكونت « دى موت كريسو » .

ان تلجئى إلى سيدك الجديد ! » . قال هذا وهو يشير إلى  
شخص بجانبه كان قد ساهم أكثر من سواه في قتل أبى !

ولاحظ « البرت » ان « هابدى » ازدادت لهجتها حدة وعى  
متناقى بهذا العبارة . ثم استطردت فقالت :

— على ان هذا الشخص لم يجرؤ على الاحتفاظ بنا . وهكذا  
باعونا إلى بعض تجار الرقيق المسافرين إلى القسطنطينية .  
فمبرنا بلاد اليونان حتى وصلنا إلى أبواب عاصمة السلطان .  
ونحن بين الموت والحياة . وكانت تحيط بالبوابه جمرود من  
الناس . افصح لنا طريقا لتمر . وفجأة حانت من أمى نظرة  
إلى شيء كانوا يتأملونه . فاطلقت صرخة مروعة وسقطت  
على الأرض وهى تشير إلى راسى كان معلقا فوق البوابة .  
ونحنه لوحة كتب فيها « راسى » « عدى باشا » والى « يائينا » .  
ولم اكد اقرا ما فى اللوحة حتى صرخت فى مرارة .  
وحاولت ان ارفع أمى عن الأرض . لكننا كانت جثة هامدة . . .  
ومن ثم احدثت إلى سوق الرقيق حيث اشترايتى ترى ارميتى  
تولى تعليمى وتلقينى غاخر لى المعلمين والاماتذة . فلما  
بلغت الثالثة عشرة باعنى إلى السلطان « محمود » .  
وسكنت « هابدى » . فقال الكونت متما قصتها : « ونه  
اشتريتها انا ! » .

أما « البرت » فبقى بعض الوقت مأخوذاً بشئوها من كل  
ما سمع ، إلى أن قال له الكونت :

— هيا : افرغ قديح القيوة الذى امامك . . فقد انتهت  
القصة !

الشانزلازيه .. وفيها هو يعبر شارع (امر الارامل) راى  
عربة الكونت واقفة امام حائوت لاسلحة الرماية هناك . ثم  
خرج الكونت فى هذه اللحظة من الحائوت فابتدعه الشاب .  
دون ان يؤدى له التحية المفروضة : « إني سوف أبارز اليوم »  
وقد جئت أرجو منك ان تكون شاهدى ! » .

فاجاب الكونت : « هذه مسألة أخطر من ان تناقش فى  
الطريق .. فلندع الحديث فيها حتى نصل إلى البيت ! » .

ثم استقل كلاهما عربة الكونت إلى منزله فبلغاه بعد دقائق  
.. وهناك اخذ الكونت ضيفه إلى حجرة مكتبه .. وبعد  
ان جلسا قال له : « فلنتحدث الآن فى الامر بهدوء .. من الذى  
نعززم مبارزته ؟ » .

« بوشان » .. فقد نشر فى صحيفته فى الليلة الماضية  
.. ولكن انتظر واقرا بنفسك ..

واعطى « البرت » الصحيفة للكونت ، فقرأ فيها الفقرة  
التالية : « تلقينا من مراسلنا فى ياتينا ، ما يكشف الستار عن  
حقيقة كنا نجعلها حتى الآن ، وهى ان القلعة التى كانت تحوى  
المدينة قد سلمت إلى الأتراك بواسطة ضابط عرسمى يدعى  
« فرناند » كان الوالى « على باشا » قد وضع فيه ثقته  
الكاملة ! » .

وقال له الكونت بعد ان اتم القراءة : « ماذا يهمك من ان  
قلعة ياتينا ، سلمت بواسطة ضابط فرنسى ؟ » .

فقال البرت : « إن أبى الكونت « دى مورسيرف » عو  
الضابط المقصود . فإن اسمه الأول « فرناند » ! » .

فقال الكونت مهدئا ثائرة الشاب : « ما اظن ان فى فرنسا  
من يعرف ان الضابط « فرناند » والكونت « دى مورسيرف »  
اسمان لشخص واحد ؟ .. ثم من ذا الذى يعنى الآن بقلعة  
ياتينا ؟ وقد سقطت سنة ١٨٢٢ او سنة ١٨٢٣ ؟ .. ولم يعد  
أحد يذكر عن ذلك شيئا بعد مضى هذا الوقت الطويل ؟ » .

ولكن الشاب بقى نائرا وقال : « هذا يدل على حقارة الغربة .  
لقد سكتوا كل هذا الوقت ثم جاءوا الآن فجأة فبعثوا الحوادث  
التي كانت قد نسبت لبتخوذها مادة للفضيحة بلطخوا بها  
مركزنا الرفيع .. إني ذاهب إلى بوشان الذى نشر  
صحيفته هذا الفيل وسوف اصر على مطالعته بتكذيبه ! » .

وناول « مورسيرف » قبعته وغادر الغرفة إلى حيث استقل  
عربته ونجه بها قورا إلى مكتب الصحفي ( بوشان ) .  
فاستقبله هذا برحبا وهو يطلق صيحة دهشة لرؤية صديقه  
يقذف بالمصحف الذى على المكتب إلى الأرض ويدوسها  
بقدمه فى انفعال .. فى حين كان هو يصيح به وهو يمد يده  
لمصافحته : « عيه . عيه . عيه . يا عزيزى « البرت » . هل نعدت  
وعيك ؟ أم هل جئت لتتناول الإغطار معى ؟ » .

فأجابه الشاب : « بوشان » ، لقد جئت أحدثك فى شأن  
نبا نشرته صحيفتك أمس وبينغى ان تكذبه قورا . ولكن سدد  
نكت تحير سهامنا تلاقى بهذا الخبر .

— هذه هى الحقيقة وأقسم بشرى .

ثم اخذ « يوشان » يبحث عن نسخة من الصحيفة . فقال له « البرت » . « إليك نسختي فقد احضرتها معي ! » . فتناول « يوشان » الصحيفة وقرا النبا الذى اشار اليه صديقه . فلما فرغ من ذلك سألته : « هل الضابط المشار إليه قريبك ؟ » .

— إنه أبى . مسيو « فرناند مونديجو » — الكونت « دى مورسيرف » — الذى حارب فى عشرين معركة وحصل على أوسمة الشرف : من الجروح والإصابات . التى يحاولون الآن اعتبارها وسمات عار !

نهب « يوشان » رأسه أسفا . وقال :

— أهو والدك ؟ . هذا امر آخر . . فى هذه الحالة استطيع ان افهم سبب غضبك يا عزيزى « البرت » . لكن الخبر المنشور ليس فيه ما يدل على ان الضابط « فرناند » هو والدك !

فقال « البرت » وقد استعبد به الغضب والحقق ! . سوف أرسل إليك شيوودى ، ولك ان تتفق وإياهم على مكان اللقاء ، وسوعدة : ونوع السلاح ! .

فقال : « حسفا ! . . إني اقبل ان ابارذك . لكنى اطلب مهلة قدرها ثلاثة اسابيع . وسوف أجيئك فى نهايتها لأتسول لك : ( لقد كان النبا كاذما وممكنه ) . . او لأقول : ان الخبر المنشور لا شك فى صحته . . ثم أستل سيفى من غمدى او مسدسى من جرابه — حسبما تشاء — لأبارذك : » .

قصاح « البرت » وهو ينفض ليمصرف : « ثلاثة اسابيع ! . . اتيا سوف تتركنا ثلاثة ثرون ! » .

وقبل ان يغادر مكتب « يوشان » . « صب « البرت » غضبه على كومة من الصحف راح يطوح بها فى أرجاء الغرفة بمعاء . ولمها هو فى عرقته . « ملح » مكسمليان موريل « بسير فى الطريق بخطى سريعة ونظرة مشرقة : فحدث نفسه قائلا : إنه لمسعيد ولا شك ! » .

ولم يخطئ فى رايه ، فقد كان « مكسمليان » سعيدا جدا فى تلك اللحظة . إذ كان فى طريقه إلى مسيو « نوارتييه » الذى رسل بدعوه لسبب لا يعلمه ! . . وحين وصل إلى الدار أدخله « الخادم » باروا « من مدخل خاص : ثم أغلق عليه باب حجرة سيدته ، وسرعان ما سمع الشاب حفيف ثوب يعلن تسدوم « فالتفتين » . . وابتدرته الفتاة ، قائلة :

— مسيو « موريل » . . لقد اعترض جدى ان ينتقل من عا البيت : وقد شرع « باروا » يبحث له عن مسكن ملائم . . . سألها : « وماذا تفعلين يا أنسة « دى فيلفور » وهو لا غنى له عنك ؟ » .

فاجابت بقولها : « إني لن اترك جدى ! وهذا شئ منعوه فيما بيننا ، ولو لم يكن مسكنى قريبا من مسكنه . . وإذا وابق أبى على ذلك سوف اترك البيت على الفور . اما إذا لم يوافق فسوف اضطر إلى الانتظار حتى ابلغ سن الرشد بعث نحو عشرة شعور ، وعندئذ أغادر حجرة وتكون ابنة ثمانية

مستقلة استطيع بقضيا . وبموافقة جدى . أن انجس  
وعدى لك ! » .

ثم التفتت إلى جدها وقالت : « هل احسنت التعبير عن  
رغبتك يا جدها ؟ »

فأومأ المثلول موافقا . على حين هفف الشاب وقد استببت  
به رغبة في أن يجنسو على ركبته خائفا امام « نوارتييه » .  
وقالنتين : « رباة ماذا فعلت في دنياى كى استحق كل هذه  
السعادة ؟ » .

وأشار « نوارتييه » إلى إبريق يحوى شراب الليمون  
وبجانبه كأس فارغة . وكان الإبريق مملوءا حتى آخره تقريبا .  
بإستثناء القدر الذى شربه منذ حين . . فتعالت « غالنتين »  
للخادم الوفى : « هيا يا « باروا » خذ بعض هذه « الليمونادة »  
بأنى أراك تشهيهها ! » .

فاجاب « باروا » : « اعترف يا أئسنى بأنى اكاد أموت ظمأ .  
وما دمتم قد تعففت فاذنت لى في ذلك فليست ازعج أئى سامعين  
في أن أشرب قليلا منها ، نخب صحتك ! » .

وفيما كانت « غالنتين » ومكسليان « يتبادلان تحية الوداع  
في حضور جدها ، سمعا جرس الباب الخارجى يدق . فنظرت  
الفتاة إلى ساعتها . . وفى هذه اللحظة دخل « باروا » .  
فسألته « غالنتين » : « من القادم ؟ » .

فأجاب الخادم وهو يكاد يترنح كمن يوشك أن يسقط :  
« إنه الككتور « داغرىنى » ! » .

وإذ ذاك سلقه سيدته « ماذا بك يا « باروا » ! » . لكنه  
لم يجب . بل حلق في سيدة بعينين جاحظتين ، وهو يستند  
بيده إلى قطعة من الأثاث كى يتجنب السقوط ! .

وازدادت حدة الأعراض التى بدت على الخادم بالتدريج .  
فاستدار وخذلا بحس خطوات ثم سقط عند قدمى « نوارتييه » .

وفى هذه اللحظة أقبل مسيو « دى نيلفور » على صوت  
الضجيج . . فى حين صاحبت « غالنتين » بزوجة أبيها وهى  
تصعد في السلم للأفاتها : « تعالى بسرعة واحضرى معك  
زجاجه الأملاح المنبية ! » .

فحابتها البدة « دى نيلفور » فى صوت خشن غاضب  
وهى تهبط السلم وقد أمسكت بإحدى يديها مندبيلها تهبح به  
وجيها . وامسكت باليد الأخرى رجاجة الأملاح المنعشة !  
« ماذا حدث ؟ » . . واتجهت بنظرتها الاولى لدى دخولها  
الفرقة نحو « نوارتييه » الذى كان وجهه — بإستثناء  
الانفعال الذى لا يسد بحدته فيه مثل هذا الحادث —  
ينم عن اكتمال العافية ! . . وعندئذ نظلت المرأة بصرها إلى  
الخادم المحتضر . فشحب وجهها على الفور وعادت تنظر  
إلى سيدة !

وفى أثناء ذلك هتفت « غالنتين » : « « مكسليان » : « أذهب  
أنت بأسرع ما تستطيع . وابق حيث أنت حتى أرسل فى طلبك  
.. أذهب ! » .

ونظر الشاب إلى « نوارتييه » مستأظفا في الآن نفسه .

منحه العجوز إذنه وهو محتفظ بهدوئه المألوف . ثقیل النـ  
يد « فالتین » مودعا ، ثم غادر المنزل عن طريق السلم الخلفی  
.. وفي اللحظة التي ترك فيها الحجرة دخليا « فيلفور »  
والطبيب قادمین من باب آخر ، وكان الخادم المصاب يبدو كـ  
استرد بعض وعييه ، فاشترك الرجلان في حبله إلى أريكة  
مريحة .. وهتف « دي فيلفور » :

— انظر ! انظر يا دكتور .. ها هو ذا يعود إلى رشده  
ثانية . إنی لا اعتقد في الواقع انه امر ذو بال .

فاجابه الطبيب بابتسامة ساخرة ، وهو يستجوب المريض  
السذی افاق ! « بماذا تشعريا » باروا ؟ .. ماذا اكلت  
اليوم ؟

فاجاب « باروا » : « لم أكل بعد . وإنما شربت قدحا من  
شراب الليمون الذي يخض سیدی ! »

— وابن هذا الشراب ؟

— لقد أعدته منذ لحظات إلى المطبخ !

فهرع الطبيب نحو السلم الخلفی المؤدى إلى المطبخ . وكان  
في أثناء اندفاعه يصطدم بالسيدة « دي فيلفور » التي كانت  
بدورها متجهة إلى المطبخ . فصاحت تستوقفه . لكنه لم يعب  
بها وهبط الدرجات الأربع الباقية في غرفة واحدة ثم اقتحم  
المطبخ فوجد الإبريق وقد بقي فيه نحو ربع الشراب . فآخذه في  
يده وعاد إلى الغرفة التي كان فيها . وفي أثناء عودته صادف  
السيدة « فيلفور » مساعدة إلى غرفتها في خطوات بطيئة !

وسأل الطبيب الخادم المصاب : « هل هذا هو الإبريق الذي  
شربت منه ؟ »

فاجابه : « نعم » .

وصب الطبيب قطرات من الشراب في راحة يده ثم تفوقها  
وبعثها في المدفأة .. على حين صاح به « باروا » : « أغلني  
.. فور . النوبة ستعود ثانية » .

فاجابه الطبيب : « كلا ايها الصديق ! .. إنك لن تلبث  
ن تستريح » .

فقال الخادم النعس : « اه . إني انهم ما تعنيه ، يا إلهي .  
رحمني ! » .

ثم أطلق صرخه مروعه وسقط على ظهره كأنما أصابته  
صاعقة ! .. فجدبه الطبيب من إبطيه إلى غرفة مجاورة ثم عاد  
ليأخذ إبريق شراب الليمون وقال مخاطبا « دي فيلفور » :  
« تعال هنا » .

وحين جلسا في الغرفة التي رقد فيها المصاب سأل « دي  
فيلفور » :

— هل النوبة مستمرة يا دكتور ؟

فاجاب :

— بل إنه قد مات .. لكن هذا ينبغي الا يدهشك . فبعد  
سبعة كل من المركز والمركبة « سان ميرن » إلى مثل هذا  
لتصير العاجل الغريب !

فصاح هذا فى رعب وفزع : " ماذا ؟ .. أما زلت تحسوه  
حول تلك الفكرة الرهيبة ؟ " .

فاجابه الطبيب :

— نعم يا عزيزى . وسوف أظل كذلك دائما . فإن  
الفكرة لم تبرح ذهنى لحظة واحدة .. ولكنى نكون على ثقة من  
أنى لم أخطئ هذه المرة . أرجو أن تصفى جيدا لما سأقول :  
هناك نوع من السموم يقتل دون أن يظلم أثره . وأنا أعرفه  
جيدا وقد درست فى جميع أشكاله ووسائل تركيبه وأثاره ..  
وقد تبينت وجود هذا السم فى حالة " ياروا " التمس ، كما  
تبينته فى حالة المركيزة " دى سان ميران " ، وسوف أجزء  
بذلك أمام الله والناس !

فلم يجب " فبلفور " بكلمة . واكتفى بأن ضم يديه وقطع  
عينيه الجاحظتين ثم غاص فى اقرب مقعد .. !

— ٢٠ —

## الانتقام الالهى

انطلق الكونت " دى مونت كريستو " فى طريقه إلى داره  
الرغبة فى " أوتو " - بصحبة تابعه " على " وبعض خدمه  
الأخرين . كما أخذ معه بعض جبابه الجديدة ليستوثق من  
قدرتها .

وبعد حين دخل عليه خادمه : " بانيسين " بحمل خطابا  
على طبق من الفضة - وقدمه له قائلا :

— رسالة هامة عاجلة !

فمض الكونت الخطاب - وقراه فيه :

— يهمنى أن أتبه الكونت " دى مونت كريستو " إلى أن  
رجلا سينسلل الليلة إلى بيته فى الشاتلزيه بغية سرقة بعض  
الأوراق الهامة المفروضة أنها فى منضدة مكتبه الصغير !

وكان أول خاطر جال بذهن الكونت لدى قراءة الرسالة  
أنها خدعة مكشوفة يراد بها تحويل انتباهه إلى خطر تافه فى  
سبيل تعريضه لخطر أعظم ! .. فكاد يبلغ الأمر إلى البوليس .  
برغم نصيحة كاتب الخطاب . ثم خطر له أن السارق الجاهل  
قد يكون خصما شخصيا له . فحدث نفسه :

— إنه لا يريد أوراقى . بل يريد قتلى .. إنه ليس سارقا .  
وإنما هو قاتل !

وإذ ذاك نادى خادمه « بابتين » وقال له :

— عد إلى باريس حالا واجمع خدمي جميعا واحضرهم إلى هنا !

ثم عرّب الكونت عن رغبته في أن يتناول طعامه وحده والا يخدمه خلاله غير تابعه « على » . . . وإذا فرغ من تناوله ، جدونه واعتدائه الماثورين . أشار إلى « على » كي يتبعه ، ثم خرج من باب جانبي فاستعمل عربته إلى غابة بولونيا . وهناك استدار — دون خفلة مرسومة — نحو طريق باريس . . فلما حان العروب وجد نفسه تجاه داره في الشانزلزيه !

وذلك إلى مخدعه . ثم أشار إلى « على » كي يقف هناك . ومضى هو وحده إلى غرفة الزينة ففحصها بدقة ووجد كل شيء فيها كما تركه ، ومنضدة المكتب الثمينة في مكانها . والمفتاح على درجها . . فأغلقه بعناية وأخذ المفتاح عائدا إلى باب المخدع ففتح مزلاجيه المزدوج ودخل . . وفي أثناء ذلك كان « على » قد جهز الأسلحة التي طلبها الكونت ، فسلمها منه ثم وقف خلف نافذة من نوافذ المخدع موازية لنافذة غرفة الزينة ومطلّة على الشارع !

وانقضت ساعتان على هذا السؤال ، ودقت ساعة الإنذار « مؤذنة بانقصاص الليل . ولم يكد صدى الدقة الأخيرة من دقائقها يتلاشى حتى خيل إلى الكونت أنه يسمع صوتا خفيا صادرا من حجرة الزينة . ثم تكرر الصوت مرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة . . وعندهذ أدرك الكونت أن يدا

بارعة ذات خبرة تحاول كسر زجاج النافذة بهامسة . . . وكانت تلك النافذة مواجهة للفتحة التي يستطيع الكونت أن يرى خلالها . من مكانه . ما يجري في غرفة الزينة . . ومن ثم ركز بصره على النافذة . فرأى في الظلام شيئا يد بسده من خلال الشفرة التي فتحتها في الزجاج فيفتح النافذة . من الخارج . ثم شب منها إلى الغرفة . . فبهس الكونت :

— يا له من جرى !

وفي تلك اللحظة لمس « على » كف سيده . مشيرا له من خلال النافذة المظلمة على الطريق . إلى شخص يقف في الشارع . فبهس الكونت :

— إذن . . هما شخصان ! أحدهما يتسلل إلى البيت والآخر يراقب مدخل الدار !

ثم أوصى « على » بالآلة يدع الشريك الذي في الشارع يغيب عن بصره . واستدار هو ليرقب الشخص الذي دخل حجرة الزينة . . فوآد ينجه إلى منضدة المكتب ويحاول فتحها . بطائفة من المفاتيح المصطنعة . مستمعنا على اختيار المفتاح المناسب لضوء ( بطارية ) ما لك ضوءها الشاحب أن رفع على وجهه ويديه . فحدث الكونت نفسه قائلا وهو يتراجع « يا إلهي ! » .

وفي تلك اللحظة لمح الكونت تابعه « على » يرفع في يده آلة حادة أشبه بالقاسي . فبهس له : « لا تتحرك ، ودع نفسك ، فلن يحوجنا الأمر إلى سلاح ! »

ثم همس له بوضع كلمات أخرى . مضى هذا على أثرها دون ان يحدث صوتا ثم عاد بعد حين يحمل رداء أسود وثقبة مثلثة الأركان ! .. وفي أثناء ذلك كان الكونت قد خلع سترته وصداره وتميحه ثم ارتدى درعا من الفولاذ وغوجه رداء رجال الدين الكهوتى الأسود . وأخفى شعره تحت حمة من الشعر المستعار كالذى يرتديها القساوسة . وحين وضع فوقها القبعة المثلثة الأركان تحول الكونت في لحظة إلى قسيس ! .. ثم أخرج من أحد الأدراج شمعة أضواءها .. وفيما كان اللص يستغفقا في محاولة فتح القفل فتح الكونت الباب دون صوت وهو يحمل الشمعة بحيث تبع أشعتها سائرا على وجهه .. تذعر اللص . في حين نال له الكونت :

— طاب مساؤك يا عزيزى « كادروس » .. ماذا تفعل هنا في هذه الساعة ؟

فنهف « كادروس » في دهشة وذعر : « الأب » بوزونى ؟ .. وأغلقت يده المفاتيح فسقطت على الأرض . وراح يتطلع حوله باحثا عن وسيلة للهرب ، فلاحظه الكونت قائلا : « ارى أنك ما زلت كما عهدتك دائما : تائلا ! .. ألم تقتل الجوهري الذى ابتاع منك الماسة التى أعطيتك إياها ؟ .. » فاجاب في صوت مرتجف : « نعم . هذا صحيح يا سيدى القس ! »

فعاد يسأله : « من الذى أخرجك من السجن ؟ »

فاجاب : « اللورد ويلبور » .

فقال : « اكان ذلك الثرى الإنجليزى يتولى حمايتك ؟ » فاجاب : « لا .. لم يكن يحمينى أنا ، بل كان يحمى شابا كورسيكيا كان زميلى فى السجن يدعى « بنديتو » .. وقد صار هذا الشاب الآن ابنا لثرى عظيم هو الكونت « دى مونت كريستو » الذى نحن فى بيته الآن ! »

فقال له الكونت وقد أخذه العجب هو الآخر :

— « بنديتو » صار ابنا للكونت « دى مونت كريستو » ؟ .. كيف كان ذلك ؟

فقال « كادروس » : « أعفد ذلك . فإن الكونت قد أوجد له أبا زائفا ، وصار يعطيه راتبا شهريا قدره أربعة آلاف فرنك ، فضلا عن نصف مليون فرنك تركها له فى وصيته ! »

فقال الكونت وقد بدأ يفهم :

— ما هو الاسم الذى يحمله ذلك الشاب الآن ؟ .. اتعنى « اندريا كافالكانتى » ، ذلك الشاب الذى استقبله صديقى الكونت « دى مونت كريستو » فى منزله ، والذى سيتزوج من الأنسة « دانجلر » ؟

فاوما « كادروس » موافقا ، فى حين واصل الكونت كلامه قائلا :

— كيف تصدق ذلك أبها التمس ، وأنت تعرف حياته وجرائمه ؟



فقال : « لم أشأ أن افقد عقبة في طريق صديق من زملائي ! » .

فرد عليه الكونت قائلا :

« أنت على حق ، وإن .. ساتولى أنا لا أنت إيلاغ هذه الحقيقة إلى البارون » دأنظر .. سأكتشف له كل شيء !

وغنم « كادروس » قائلا :

« إنك لن تعمل ذلك يا سيدي القس !

رأى مثل لمح البرق . استل « كادروس » خنجره وطعن به الكونت في صدره ! .. وشد ما كان عجبه وفزعته حين ارتد الخنجر مكسورا بدلا من أن يقبض صدر القس المزعوم ! وفي اللحظة نفسها قبض الكونت بيسراه على معصم « كادروس » وضغط بقوة جعلت الخنجر يستقر بين أصابعه المتقلصة . فأطلق صرخة ألم حادة . لكن الكونت استمر بضغط معصم الشقي حتى أضطره إلى أن يرتدى على الأرض وهو مدود .. عندئذ وطأ الكونت رأسه بقدمه قائلا :

« لست أدري ما الذى ينعنى من أن أسحق جبهتك ؟ !

فصرخ « كادروس » :

« الرحمة .. الرحمة !

وإذ ذاك سحب الكونت قدمه وقال له :

« انهض . خذ هذا القلم والورق واكتب ما أمليه عليك !

فجلس « كادروس » وقد اذهلته قوة القس الخارقة . واكتب :

« سيدي .. إن الرجل الذى نستقبله في بيتك . والذى تعزم ان تزوجه من ابنتك ، هو قاتل غر معي من السجن المؤبد في طولون . وقد كان يعرف باسم « بنديتو » ، وكان رقمه ( ٥٩ ) في حين كان رقمي أنا ( ٥٨ ) ، وهو يجبل اسمه الحقيقي لانه لا يعرف لنفسه ابا :

واستطرد الكونت فقال لـ « كادروس » : « هيا .. وقع على الخطاب .. واكتب العنوان : « إلى البارون » دأنظر .. « المالى الكبير ، شارع ادى لاشوسيه دأنفان » .

فكتب « كادروس » ما أملى عليه . وحين فرغ من ذلك صاح به الكونت وهو يشير إلى النافذة :

« والآن اغرب عن وجهي ! ..

وحين خرج « كادروس » من النافذة وبدأ يهبط ، أدنى الكونت الشمعة منه ، كي يرى من في الشارع : إن شخصا كان يمسك الشمعة للقس في أثناء نزوله ! .. ثم تركه الكونت ومضى مسرعا إلى مخدعه حيث اطل من نافذته : فسأى « كادروس » يسير على الجدار متجها نحو الواجبة الجانبية للبيت . كهن يحاول الهروب من رفيقه الذى ينتظره في أسفل . ثم ينزل على الأنابيب بعد أن استنق من أن صاحبه لم يره .. لكنه لم يكذب بلخ الأرض حتى تلقاه هذا بطعنة حادة ق تلهره ، فصاح مدعورا :

— الفجدة !

وعلى اثر ذلك فتح باب الدار الخلفى . وظاهر منه الكونت فى ثياب القس . وسمه « على » خادمه يحملان مصباحين . وما لبثا أن نقلتا الجريح إلى إحدى الحجرات ، حيث محص الكونت جراحه الفظيعة وقال محدثا نفسه :

— يا إلهى ! .. إن انفجارك قد يتأخر أحيانا . ولكن كى تتم آخر الامر على أكمل وجه !

فى حين نظر « على » إلى سيده فى انتظار تعليماته . فقال له هذا :

— استدع فوراً قاضى التحقيق مسيو « دى فيلمور » . وهو يقطن فى شارع اسانت اونوريه . وعند مرورك بالمسكن أيقظ البواب وأرسله كى يحضر جراحا .

وحين ففتح « كادروس » عينيه مرة أخرى قال للكونت . أو القس :

— لقد خذلتى وقتلتى بعد أن أعد خطة لانتقام هذا البيت . أملا بلا شك أن أقتل الكونت فيصبح هو وارثه . أو أن يقتلنى الكونت فيستريح هو منى إلى الأبد !

نقال له :

— تستطيع أن تهلى على اعترافك ، ثم توقع عليه بنفسك !

فلمعت عينا الجريح ارنياها لفكرة هذا الانتقام السريع . على حين كتب « مونت كريستو » هذه العبارة :

— إنى أموت مقتولا بيد الكورسيكى المدعو « بندينو » رفيقى فى سجن بولور . رقم ٥٩ . .. ثم أعطى الرقبة « لكادروس » فاستجمع هذا قواه ووقع عليها . ثم خر على غراشه . وقد بدأ يحتضر !

وهنا قال الكونت « دى مونت كريستو » وهو يقرب الضوء من وجهه : « انظر إلى جيدا ! » ثم خلع الشعر المستعار وترك شعره الطبيعى يسقط على رقبته . وإذا ذاك جنف « كادروس » كالمعوق :

— لولا شعرك الأسود لقلت إنك الإنجليزى : اللورد « ويلمور » !

فقال له : كلا ! .. لست اللورد « ويلمور » . كما أنى لست الاب « يوزوى » !

.. فترى الكونت من الجريح وانحنى فوقه هامسا : « إذا .. أنا » .. ونظمت شغفاد شبه المفلقتين أسما بصوت خافت . « فاجفل » كادروس « مدعورا وحاول أن تراجع ، ثم ضم يديه اللتين رفعهما إلى أعلى . وهو يهتف :

— اواد يا إلهى ! .. اغفر لى إننى أنكرتك .. إنك موجود ولا شك !

ثم تنهد تنهدة عميقة وسقط على ظهره . وما لبث أن أغط نفسه الأخير !

- ٢١ -

## محاكمة في مجلس الشيوخ

استيقظ « البرت دى مورسيرف » ذات صباح غاضبا خادمه يعلن إليه قدوم الصحفي « يوشان » . ففرك عينيه وأمر خادمه بأن يغود الزائر إلى حجرة الاستقبال التى فى الطابق الأرضي . ثم ارتدى هو ثيابه على عجل وهبط إليه فوجده يذرع الحجرة ذهابا وجيئة ، ثم توقف حين شعر بدخوله ، فابتدره قائلا :

« إن قدومك إلى هنا بلا انتظار ليزارتى لك اليوم يعني فلا طيبا . . فهل ترى استطيع أن اصافحك قائلا : اعترف « يابوشان » بانك قد أسأت إلى ، واسترد صداقتى . . أم انك ستلجئنى إلى أن اقترح عليك اختيار السلاح الذى يروقك ؟ !

فقال « يوشان » : يا عزيزى « البرت » . . إتى عائد لتوى من ( يانينا ) وقد كان يسرئى يا صديقى أن أعثر عليك ، لكن ذلك النبا كان صحيحا مع الأسف . وذلك الضابط الفونسي « فرناند » ، الخائن الذى أسلم قلعة الوالى وهو يعمل وخدمته ، كان بعينه والدك ! . . وإليك الدليل فى هذه الورقة !

ونشر « البرت » الورقة التى قدمها له صديقه . وكانت إقرارا موقعا عليه من أربعة من كبار أهل ( يانينا ) البارزين . يشهدون فيه بأن الكولونيل « فرناند مونديجو » الذى كان يعمل فى خدمة « على باشا » والى المدينة قد سلم القلعة مقابل

يبلغ مليون ريال ! وكانت التوقعات الأربعة صحيحة وشرعية !

ولم يكذ « البرت » يفرغ من قراءة الورقة حتى أرمى متهاكما على مقعده فى الحجرة ولم يعد لديه أى شك فى أن اسم أسرته قد تطلع بالعار إلى الأبد ! وبعد فترة صمت كئيبة طويلة فاض به الحزن فأطلق لدموعه العنان !

ونفض « يوشان » بعد قليل للانصراف . تاركا « لالبرت » تلك الورقة . فتناولها هذا بيد مرتعشة وأحرقها ثم ألقي بها فى النار !

وبعد ثلاثة أيام نشرت صحيفة أخرى الفقرة التالية : « إن الضابط الفونسي الذى كان فى خدمة « على باشا » والى ( يانينا ) . وأشارت إليه صحيفة ( امبارسيال ) بنفذ ثلاثة أسابيع . لم تقتصر عقوبته على تسليم قلعة المدينة ، بل إنه باع ولى نعمته للأراكان . . وقد كان اسمه وقتئذ « فرناند » . لكنه أضاع إليه نيماء بعد لفاف من القاب النبلاء فصار يدعى الآن الكونت « دى مورسيرف » . وبات يعتبر فى مصاف الأمراء . . .

وهكذا بحث السر الرهيب من غيره فجاء كالشيخ المخيف . . وفى اليوم نفسه ثارت ضجة كبرى فى مجلس الشيوخ بين الأعضاء الوفورين بطبعهم ، فحرمين كل منهم على أن يصل إلى المجلس قبيل الموعد المعتاد ، وتبادل الجميع الحديث فى الحدث المروع الذى سوف يستمر . . .

من زملائهم اللامعين .. وكان بعضهم يعيد قراءة النبأ في الصحيفة « والآخرون يعلقون عليه وبذكرون وقائع وملابساته تزيد الثمة توكيدا !

وبقى الكونت « دى مورسيرف » وحده يجهل تلك الأنباء . فأنه لم يكن قد طالع الصحيفة التى نشرت . بل انفق الصباح في كتابة الخطابات وفي تجربة جواد جديد ! .. وهكذا وصل إلى دار المجلس في الموعد المألوف وعلى وجهه سيماء المعنادة من العجرفة والوقاحة . فهبط من عربته « وممر خلال سمرات الدار » ودخل قاعة الجلسة ، دون أن يلاحظ مهمة الحراس أو فتور زملائه نحوه . وكانت الجلسة قد بدأت منذ نصف ساعة . وأمسك كل عضو في يده بصحيفة الاتهام .. ولكن — كما هي العادة دائما — لم يشأ أحد من الأعضاء أن يأخذ على عاتقه مسئولية البدء بالمهاجمة .. وأخيرا نهض عضو له مكانته ، وكان الد خصوم « مورسيرف » . فارتقى المنصة في صرامة توحى باقترب اللحظة الحاسمة . ثم بدأ يتلو ما ورد في الصحيفة .. ولم يثنه الكونت في البداية للمتقدمة ولكن لم يلبث أن شحب وجهه شحوبا مخيفا جعل كل عضو يتوجس شرا وهو يسلط عليه عينيه !

واعقبت تلاوة الاتهام موجة من الضجيج والاضطراب . والهرج والمرج .. وعلق الجميع أسماعهم بعم المتكلم وهو يعلق على النبأ ، ويختم كلمته مطالبا بتأليف لجنة تقولى إثبات الاتهام أو حفضه .

وبلغ من مفاجأة « مورسيرف » بهذه الكارثة غير التوقعة

أنه لم يجر جوابا . فلم ينطق بغير بضع كلمات مبهمه وهو ينظر حواليه إلى أعضاء المجلس في ذهول .. نعرض الرئيس أخذ الأصوات . واسفر الاقتراع عن الموافقة على وجوب التحقيق ... فسئل المتهم عن المهلة التى يطلبها لتحضير دفاعه ، فأجاب من فورده :

— أنا اليوم تحت تصرفكم !

والفت لجنة من اثني عشر عضوا لفحص أدلة الاتهام والنفى . وقرر أن تبدأ اللجنة عملها في الساعة الثامنة من ذلك الميعاد .. فطلب « مورسيرف » الإذن له في الانسحاب كي يجمع المستندات التى أعدها منذ زمن لمواجهة هذه العاصفة .

وفي الموعد المحدد اجتمع أعضاء لجنة التحقيق - ودخل الكونت « دى مورسيرف » يحمل في يده أوراقا ، وكان هادئ الوجه ، حازم الخطى ، مفرط العناية بزيه العسكرية . وفي تلك اللحظة دخل حارس يحمل خطابا إلى رئيس اللجنة . فقال الرئيس وهو ينفذ الخطاب ، موجها كلامه إلى الكونت « دى مورسيرف » : « لك أن تبدأ دفاعك يا مسيو مورسيرف » .

فقدم الكونت « دى مورسيرف » مستندات تثبت أن والى ( يائينا ) كان يخضع بثقته الكاملة حتى آخر لحظة ، بحيث أنه عهد إليه في مفاوضة السلطان بشأن حياته أو موته ! .. ثم قدم الكونت الخاتم الذى كان « على يائينا » يختم به أوراقه الرسمية وخطاباته ، وقد أعطاه إياه كي يكتبه من الدخول عليه ( م )

وهنا استطرد الرئيس فقال :

— لعلك ترحب إذن بسماع شهادة شخص يعتبر نفسه شاهدا هاما فى النزاع ، إنه ولا شك قد جاء ليثبت بسرعة الكونت .. وهانذا اتلو الخطاب الذى تلقينته منه وهو :

— سيدى الرئيس .. فى استطاعتى ان ازود لجنة التحقيق بما يلقى الضوء على مسلك اللتفانت جئرال الكونت « دى مورسيرف » فى ( ايبيروس ) و ( مقدونيا ) . فلتست

حضرت وفاة « على باشا » . واعرف محير « فاسيليكي » و « هايدى » ، ويسرنى ان اضع نفسى تحت تصرف اللجنة . بل واطالب بمنحى شرف سماع شهادتى .. وسوف اكون فى حجرة الانتظار بالمجلس حين تسلم هذه الوثيقة إليكم !

وبعد حمس دقائق ظهر الحارس وبمه تلك الشهادة كاتبة الخطاب ، فنظر إليها الكونت « دى مورسيرف » فى دهشة ورعب .. وابتدعها رئيس اللجنة :

— هل كنت شاهدا عيان للأحداث موضوع التحقيق ؟

فاجابت الحناء المجهولة بذلك الصوت العذب الرنان الماثور عن الشرقيات :

— نعم : كنت فى الرابعة من عمرى . ولكن لما كانت تلك الاحداث وثيقة الصلة بحياتى . فقد وعيت جميع تفصيلاتها .

فسالها الرئيس :

— من أية ناحية كانت الاحداث وثيقة الصلة بحياتك ؟

فاجابت :

— إننى أنا « هايدى » بنت « على باشا » والى ( يانينا ) من زوجته « فاسيليكي » !

فى أية ساعة بالليل أو النهار . حتى وهو فى جناح الحريم . ثم أوضح الكونت كيف ان مفاوضاته مع السلطان بشأن العفو عن والى قد فشلت . فلما عاد ليدافع عن ولى نعمته ويدفع عنه الأذى ، وجده قد مات .. ثم قال الكونت :

— لقد بلغ من ثقة « على باشا » بى انه وهو يودعنى قبيل سفرى : عهد إلى برعاية محظيته المفضلة وابنتها . فى حالة وفاته !

وكان رئيس اللجنة قد منح الخطاب الذى سلم اليه . وقرأه باهتمام . مرة بعد مرة وهو يرمق المتهم بنظرات حادة . ثم خاطبه قائلا :

— إنك ذكرت ان والى ( يانينا ) عهد إليك برعاية ابنته وزوجته . فهاذا تم فى أمرهما ؟

فاجاب « مورسيرف » : « ما يؤسف له يا سيدى ان سوء الحظ لاحقنى فى هذا الشأن كما حدث فى مناسبات أخرى . فحين عدت كانت « فاسيليكي » وابنتها « هايدى » قد اختفتا .. ولما لم اكن غنيا . وكانت حياتى معرضة لخطر دائم ، لم استطع مواصلة البحث عنها ! » .

وهنا نهجهم وجه الرئيس والتفت إلى اعضاء اللجنة قائلا :

— أيها السادة .. لقد سمعتم دفاع الكونت « دى مورسيرف » . وبقي ان نسأله هل يستطيع ان يقدم لنا شيئا يثبتون صحة كلامه !

فاجاب الكونت :

— الواقع يا سيدى . ان جميع السفين كانوا يحيطون بالوالى أو الذين عرفونى فى بلاطه قد ماتوا أو اختفوا !

نقال الرئيس وهو ينحنى لها في احترام عميق :  
— هل تستطيعين إثبات هذه الصفة التي تدعينها  
إنفك ؟

نقالت : « نعم أستطيع ذلك .. غيذه شهادة ميلادى  
موقع عليها من أبى وكبار موظفيه الرسميين . وهذه شهادة  
معموديتى — فقد أنشأتنى أمى على دينها — ثم هذا خطاب  
محتوم من رئيس وزراء ( مقدونيا وإيبيروس ) .. وأخيرا —  
ولعله الدليل الأعظم — هذه وثيقة بيعى وبيع أمى إلى  
التاجر الأرمنى « الكوير » بواسطة الضابط الفرنسى الذى  
حفظ لنفسه — فى مساومته الدفينة مع الباب العالى —  
بزوجته ولى نعمته وابنته . ثلثا لخيانته إياه ! .. وقد باعنا  
بمبلغ أربعمائة ألف فرنك ! »

وأخرجت الغاء الوثائق من حقيبة حريرية كانت تملك  
بها تحت ثيابها ، ثم سلمتها لرئيس اللجنة !

وغامت على وجه الكونت سحابة من الشحوب المخيف ،  
واندفع الدم إلى عينيه إزاء هذه الاتهامات الغاضحة التى  
أصغى إليها أعضاء اللجنة واجمين .. على حين ظلت  
هابتلى « محتفظة بهدوئها الذى بدا اقصى من كل ثورة .  
ثم شرع المترجم يقرأ بصوت مسوع ترجمة وثيقة البيع ،  
المكتوبة بالعربية !

ولم ينطق الكونت « دى مورسيرف » بكلمة فى أثناء تلاوة  
هذه الوثيقة . وقد تجلت تعاسنه على وجهه واضحة  
الخطوط !

وقال الرئيس . يخاطب المقيم : « إن الكونت « دى  
مورسيرف » يعلم يقينا أن عدالة المحكمة من عدالة الله . وهى  
لا تعرف غير وجه الحق . وعلى هذا لن تدع المحكمة خصوك  
يسحقونك دون أن تتيح لك فرصة الدفاع عن نفسك : هل  
نطلب مزيدا من التحقيقات والأدلة ؟ هل نرسل عضوين من  
اللجنة إلى ( يانينا ) لهذا الغرض ؟ .. تكلم . أجب ! »

فقال الكونت بصوت خائر : « ليس عندى ما أجيب به ! »  
فقال له الرئيس : « هل تعنى أن ابنسة « على باشا »  
— دمه مما تقول ! »

ونظر الكونت حواليه نظرة تلمن تلوپ الوجوش . لكنها  
لم تستطع أن تنسى قضائه وأجيبهم : وعندئذ شق سترته التى  
أحس أنها تخفقه ، وفر من القاعة كالمجتون لا يلوى على شئ !  
وحين سكنت الجلبة التى أعقبت ذلك : قال الرئيس  
يخاطب أعضاء اللجنة :

— أيها السادة : هل ترون إدانة الكونت « دى مورسيرف »  
باعتباره قد ارتكب جريمة الخيانة ، وما يلابسها من  
القصرنات التى تجعله غير مستحق لأن يكون عضوا فى هذا  
المجلس !

نوافق أعضاء لجنة التحقيق على ذلك بالإجماع !

المسئول فسوف يموت أحننا قبل أن تغرب شمس هذا يوم ! » .

فقال « بوشان » : « إذا كنت حقا تعنى ما تقول فنبغى أن ننذ هذا القرار قسورا ، اعنى أن نذهب الآن لمقابلته دانجلر ! » .

وبعد قليل كان خادم البارون « دانجلر » يعلن سيده برقية « البرت » فى مقابلته . لكن « دانجلر » — إذ تفكر حوادث اليوم السابق — أبى أن يستقبله . . على أن رفضه هذا لم يجده غريبا . غان « البرت » كان قد تبع الخادم إلى قرب باب الحجرة التى يجلس فيها سيده . فلم يكده بسمع كلمة الرفض حتى اقتحم الباب . يتبعه « بوشان » . فصاح به « دانجلر » : « سيدى . . اليس لى أن أستقبل أو أستقبل فى بيتى من أشاء . . ماذا تعنى منى ؟ ! » .

فأجابته الشاب وهو يفتو منه : « أبغى أن أقترح لقاء فى مكان منعزل لا يزعمنا فيه أحد لمدة عشر دقائق : هذا يكفى . . ويعددها لن يبقى على قيد الحياة سوى أحننا فقط ! » .

فأجابته « دانجلر » وقد شحب وجهه من العصب والخوف : « دعنى أحذرک إذن . فمن عادتى حينما التقيت كلب مسعور أن اقتله . . هل هى غلطتى أن يجلب أبوك على نفسه العار ! » .

فقال « البرت » :

« نعم أياها التلن الصى إنها غلطتك . . من الذى كتب لى ( يايننا ) بفتور عن الأمر

— ٢٢ —

## مبارزة لم تتم !

حمل « بوشان » أبى صديقه المحطم « البرت دى مورسيور » أنباء محاكمة أبيه . فلما انتهى من سرد ما رغب الشاب وجهه الذى كسبه حمرة العار وغسلته الدموع . وأمسك بذراع « بوشان » قائلا :

« يا صديقى . إن حياتى قد انتهت . . وبودى لو أعرف خصمى الذى يلاحقنى بهذه الكراهية العمياء لكى أقتله أو يقتلنى . . وأنا اعتقد على صداقتك كى تسامعنى فى هذا البحث ، إذا لم يكن الاحتقار قد اقتلع هذه الصداقة من قلبك ! »

فقال له « بوشان » : « أذكر لك ما أحجبت عن الإشارة إليه لدى رجوعى من « يايننا » . . لقد توجهت فى أثناء تيملى بتحقيق الأمر هناك إلى مدير البنك الرئيسى فى المدينة لى أسأله عن معلوماته . . وما كدت أشر إلى الموضوع — قبل أن أذكر اسم أبيك — حتى بادرنى الرجل قائلا : « إننى أعرف الأمر الذى جاء بك إلى هنا . فقد سألنى عنه منذ أيام عميل لى من رجال المال الأرسبيين هو مسيو « دانجلر » .

فصاح « البرت » : « يا للشيطان . . آه . . إنه هو حذ الذى طالما لاحق أبى بغيرته العمياء من الكائنات التى بلغيب . . ثم هناك غسخ مشروع زواجى من ابنته دون سبب . الأمر الذى يزيد الحالة وضوحا . . إذا كان « دانجلر » هو

فقال « دانجلر » :

— أنا الذى كتبت بلا شك !.. واحسب أن من حق كل أب يعترم تزويج ابنته من شاب أن يستقر ما شاء عن أسرة ذلك الشاب وماضيه !.. وأنا أجزم لك بأنه ما كان ليُدور بخلدى قط أن أسأل أهل ( بانينا ) من تلقاء نفسى :

— إذن فمن الذى حثك على الكتابة ؟

— ليس غير صديقك الكونت « دى مونت كريستو » :

— وهل عرف الكونت الرد الذى تلقينه ؟

— نعم ، لقد عرضته عليه :

واحس « ألبرت » أن دمه يصعد إلى مخه . ولم يعد لديه شك فى أن الكونت « دى مونت كريستو » متحالف مع خصوم أبيه !.. ومن ثم انتحى « ألبرت » بصديقه « بوشسان » جانباً وصارحه بهذه الخواطر ، فقال له هذا :

— انت على حق : إن مسيو « دانجلر » لم يكن غير عامل ثانوى فى هذه المسألة المحزنة . أما المسئول الأول الذى ينبغي أن تطلب منه إيضاحاً فهو الكونت « دى مونت كريستو » .

وهنا التفت « ألبرت » إلى « دانجلر » قائلاً : « فلتعلم إذن أن هذا ليس فراقاً نهائياً بيننا ، إلا إذا ثبت لى صحة كلامك . وأنى ذاهب الآن لأطلب إيضاحاً عن الأمر من الكونت « دى مونت كريستو » ! » .

وعلم « ألبرت » أن الكونت موجود فى دار الأوبرا . فغصده إلى هناك . ولم يكده ينتهى الفصل الثانى حتى اقتحم مقصورة الكونت . يتبعه شاهداه : « بوشسان » و « شاتو رينو » .. فاندرد الكونت مرحباً :

— طابت ليلتك يا مسيو « دى مورسيفر » :

فاجابه : « ألبرت » : « نحن لم نأت إلى هنا يا سيدى كى نتبادل التحيات القلبية على الرياء والفنفاق ، والآداب الزائف أو الصداقة المزعومة .. وإنما جئنا لنتطلب إيضاحاً ! » .

فقال الكونت فى هدوء :

— الحق أنى لست أفتيك يا سيدى ، وإذا كنت أفهمك فلا مفر لى من أن أتبعك إلى أن سونك مرتفع أكثر مما ينبغي .. فأنا المضيف هنا . وأنا وحيدى صاحب الحق فى أن يعطى صونى على صوت سواى .. فلتفادى مقصورتى حالا :

ثم أشار له نحو الباب . فى أروع مظاهر الوقار !

فاجابه « ألبرت » وهو يضرب يده بفغازه : « حسناً !.. سأعرف كيف أجعلك تخرج من مكمنك ! » .

فقال الكونت فى هدوء :

— مرحى ، مرحى - أرى أنك تريد أن تتشاجر معى : لكنى سأعطيك نصيحة واحدة فى هذا الصدد ، يحسن بك أن تعيب جيداً . إنه لمن سقم الذوق أن تتظاهر بالنحدي ، فإن التظاهر لا يخدع كل إنسان بما به يفتخر « مورسيفر » .

( م م ) — الكونت دى مونت كريستو



— إنه اسك ! .. اسك الذي انا وحدي لم انسه .. إن  
مدام « دي مورسيرف » ليست هي التي تتوسل إليك الآن ..  
بل « مرسيديس » ! »

فقال الكونت :

— إن مرسيديس قد ماتت يا سيدتي . ولست أعرف  
الآن امرأة بهذا الاسم !

ف قالت :

— كلا إن مرسيديس على قيد الحياة يا سيدتي ، وهي  
ما تزال تذكر ، فهي وحدها التي عرفتك حين رأتك . بل  
عرفتك بصوتك قبل أن تراك يا « إدمون » ! .. ومنذ تلك  
اللحظة تيمت خطاك ورافقتك ، وخشيت بأسك . ولست  
في حاجة إلى أن أسأل من اليد التي أنزلت الضربة التي برنح  
تحت وطأتها الآن مسبو « دي مورسيرف » .. بل إن ابني  
بدوره قد استنتج من تكون ، وقد عزا المصائب التي دهمت  
إياه إلى تدبيرك :

— انت مخطئة يا سيدتي . فهي ليست مصائب .  
وإنما هي عقاب ! .. ولست انا الذي يضرب مسبو  
« دي مورسيرف » ، وإنما هي العناية الإلهية التي تعاقبه !

— ولماذا تمثل انت العناية الإلهية ؟ لماذا تذكر انت  
ما أرادت عي أن يطويه النسيان ؟ .. ماذا يهمك من امر  
« يانينا » ، و« اليها » ؟ « إدمون » ! .. أي اذى الحقسه بك  
« فرناند مونديجو » بخيائه « لعل باشا » .

.. وعلى كل حال لتفتق من الآن . ولتسكن الميسرة  
بالمدرسات . في الساعة الثامنة ، في غابة ( فنسين ) !

\*\*\*

وبعد حين استقل الكونت عريقه . وكان هادئا باسما .  
فوصل إلى منزله بعد خمس دقائق .. ولم يكذب يدخل حتى  
نادى تابعه « علي » وأبتدعه قائلا :

— احضر لي مسدساتي ذات الصليب العاجي !

وحين احضرها له تناول احدها فصوبه نحو طبق حديدى  
كان يتخذ هدفا يثدرب عليه . وفي هذه اللحظة طرق الباب  
ودخل خادمه « بابتستان » .. وقبل أن يتلق بكلمه رأى  
الكونت في الغرفة المجاورة امرأة نضع على وجهها نقابا .  
مقبلة في أثر الخادم ، فلما رأت المسدس في يد الكونت  
والسيوف التي على المنضدة امامه اندفعت داخلة .. وإذا  
ذاك خرج الخادم وأغلق الباب .. فدارت المرأة بمسبب  
فيما حولها كأنها تستوثق من أنهما وحيدان . ثم انحنت كمن  
تتأهب للركوع . وضمت يديها في توسل بالنس وهتفت في  
ضراعة :

— « إدمون » ! .. إنك لن تقتل ابني يا « إدمون » ! ..

فترجع الكونت وأطلق آهة تعجب . ثم ترك المسدس  
يسقط من يده ، وسألها :

— ما هذا الاسم الذي نطقت به يا مدام « دي مورسيرف » ؟  
فصاحت وهي تزيح النقاب عن وجهها :

- آه يا سيدتى . كل هذا امر يخص الضابط الفرنسى وابنة « فاسيليكى » . ولا يخصنى انا . أنت محقة فى ذلك .. وإذا كنت قد اقسمت لانتقم لنفسى ، فإن هدف انتقامى لم يكن الضابط الفرنسى . او الكونت « دى مورسيرف » . وإنما هو حبيد البوك « فرناند » زوج « مرسيديس » سلبية عشيرة ( كاثولان ) .. » .

فصاحت الكونتيس : « آه يا سيدى .. ياله من انتقام رهيب . من اجل غلطة كان القدر عو المسئول عن جعلى ارتكبها .. فالواقع اننى انا المفضة الوحيدة يا ادمون .. » . وإذا كنت تبغى الانتقام من لحد غلبك انتقامك منى انا الذى لم يكن لى من قوة الخلق ما يمكننى من احتمال غيابك ووجدتى ! .. »

- ولكن .. من كان السبب فى غيابى ، وفى دخولى السجن ؟

- لست اعلم .. وصدقنى !

- إننى اصدقك يا سيدتى . او هذا ما أرجوه على الاقل . . لكنى سأذكر لك السبب . لقد اعتقلت وسجنت لانه فى اليوم السابق لموعده زواجى منك . وفى مغيبى « لاروبر » . كتب شخص يدعى « دانجلر » خطابا ارسله الى حبيد « فرناند » بنفسه إلى الجهة الموجه إليها !

ثم مضى الكونت إلى درج مكتبه ففتحها واخرج منه ورقة حال لونها وبهت حبرها من طول الزمن . فوضعا فى يد

« مرسيديس » : ولم تكن سوى خطاب « دانجلر » إلى ماضى التحقيق :

فقال « مرسيديس » بعد ان قرأتها . وهى تمر يدها على جبينها البلى بالعرق :

- باللفظاعة ! .. وكانت نتيجة هذا الخطاب ان ..

- كانت نتيجة ما تعرفينه جيدا يا سيدتى . من اعتقالى على المائدة وإيداعى السجن .. لكنت لا تعرفين كم بقيت فى السجن . لا تعرفين انى عشت اربعة عشر عاما فى زنزانه يقصر « ايف » ، على بعد بضعة كيلومترات منك ! .. لا تعرفين انى قضيت تلك المدة اجدد القسم كل صباح على ان انتقم .. ولو انى لم أكن اعلم وقتئذ انك قد تزوجت من « فرناند » - جلادى - وان أبى قد مات من الجوع !

فقال « مرسيديس » وهى ترتجف : « هل يمكن ذلك ؟ » . فقال الكونت :

- هذا ما عرفته عند خروجى من السجن .. وهذا ما جعلنى أحرص على الانتقام لنفسى من « فرناند » . وقد فعلت !

ونكست المرأة التعمسة رأسها ، وتركت ذراعها تسقطان إلى جانبها وتخاذلت ساقتها تحتها .. ثم ركعت على ركبتيها متوسلة عائلة : « اصغى يا ادمون » . اصغى من اجلى انا التى مارلت احبك ! .. » .

فاندفع الكونت نحوها ورفعها عن الأرض .. فلما جلست على المقعد نظرت إلى وجهه المهيب الناطق بالرجولة ، وبالحنن والكراهية . ولم تنكلم ، فسألتها هو : « أتريدين ألا اسحق تلك الشجرة اللعينة ، وأن اتنازل عن هدفي في اللحظة التي يلمقته فيها - هذا مستحيل يا سيدتى .. مستحيل ! » .

هتفت الأم التمسة : « إدمون ! » .. عنديا أناديك باسم « إدمون » . لم لا تناديني باسم « مرسيديس » ؟ » .

« مرسيديس » ؟ .. حسن يا « مرسيديس » ! .. انت على حق ولا شك . فما زال لهذا الاسم سحره القديم . وإنما المرة الأولى منذ زمن طويل التي انطق فيها به في وضوح . أواد يا « مرسيديس » ! .. لقد هتفت باسمك في ظلمة البأس والحزن والجنون « مرسيديس ! » ويجب أن انتقم لنفسى ، فقد تعذبت أربعة عشر عاماً .. بكيت أربعة عشر عاماً ، والآن أصارك يا بنى ينبغى أن انتقم لنفسى !

« انتقم لنفسك يا « إدمون » ، ولكن دع انتقامك بحل بالمدينين لا بالأبرياء .. انتقم منه . ومعنى . ولكن ليس من ابنى !

« مكتوب في التوراة : إن ذنوب الآباء تقع على الأبناء حتى الجيلين الثالث والرابع .. فإذا كان الله ذاته قد ألقى هذه الأحكام على نبيه ، فهل أكون أنا أرحم من الله ! »

فاستطردت « مرسيديس » قائلة وهى تمد ذراعيها نحو الكونت :

« إدمون ! » .. منذ عرفتك في البداية عبت اسمك واحترمت ذكراك ! .. « إدمون » يا صديقى ! .. لا تظن الصورة النبيلة النقية التي تنعكس على مرآة قلبي ! .. لو عرفت الصلوات التي رفعتها إلى الله من أجلك وقت أن كنت أحسبك حياً . ومنذ رجحت أنك مت : لقد ظللت عشر سنوات أحلم كل ليلة بحلم واحد وهو أنك حاولت الهرب من السجن بوضع نفسك في كفن سجين آخر ميت ثم القيت من قمة قصر ( إيف ) فسقطت على الصخور وتحطمت جمجمتك ! .. « إدمون » : أقسم لك براس ابنى الذي التمس الآن عموك عنه إنى لبثت أرى تفاصيل هذه الفاجعة المخيفة كل ليلة مليئة عشر سنوات . وأسمع صرختك المروعة ورأسك يصطدم بالصخر : عكنت استيقظ من نومي ارتجف من الفزع وأنا أحس بقشعريرة كالبرد .. وهكذا ترى يا « إدمون » انى بدورى قد قاسيت ألماً مروعة .. والآن هانذا أرى من أحببت على أهبة أن يقتل ابنى !

فاهت « مرسيديس » بهذه الكلمات في لهجة أسى وياس مريرة : لم يستطع الكونت « دى مونت كريستو » إزاءها أن يضع زهرة حمراء موجهة !

إن الأسد روض نفسه والمنقمة تد هزم ! .. ولم يلبث أن قال لها :

« ماذا تطيعين منى ؟ .. حياة ابنك ؟ .. حسناً إنه سوف يعيش !

وهنا اطلقت « مرسيديس » صيحة جعلت الدموع تلمع في عيني الكونت . وقالت وهي تمسك بيده وترفعها إلى شفيتها :

— شكرا ! شكرا لك يا « إدمون » : الآن حققت ظني فيك . في الرجل الذي احببته على الدوام .. دعنى اعترف بذلك الآن !

— وليس في ذلك من پاس على كل حال . فإن « إدمون » المسكين لن يعيش طويلا كي يستمتع بحبك . إن الموت لن يلبث أن يعيده إلى القبر . شبحا يخفى في الظلام !

— ماذا تعنى يا « إدمون » ؟

— اعنى اننى ينبغي أن أموت ، فما احسبك تفترضين ان في مقدورى مواجهة الحياة لحظة واحدة بعد ان اعنت امام الملا من متى سوف ينتشى بصفحى كما لو كان انتصارا له ! . إن أول شيء احببته بعدك يا « مرسيديس » هو كرامتى . وتلك هى القوة التى جعلتني أسمو على الآخرين .. والآن جئت أنت فستحقنى بكلمة واحدة منك .. لذلك ينبغي أن أموت !

— لكنك تعدنى بشرفك ان المبارزة لن تتم ، اليس كذلك؟

— بل إنها مستتم ، ولكن بدلا من أن يسيل دم ابنك على الأرض . سوف يسيل دمي أنا !

فشهقت « مرسيديس » . واندفعت نحو الكونت . لكنهما

توقفت فجأة وقالت : « إدمون » ؟ .. ما دمت قد نجوت من كل ما مر بك . وما دمت قد رايتك ثانية على قيد الحياة : عيشك إذن إله تعلق ارادته ارادتنا .. وأنا أوثر به من صميم قلبي . وفي انتظار معونته أركن إلى وعدك بأن انى سيمبش . اليس كذلك ؟ ..

عاجاب الكونت وقد ادهشه تقبل المرأة لتضحيتها المبتة دون تردد :

— نعم يا سيدتى ، سوف يعيش !

— « إدمون » ، لم تبق لى غير كلمة واحدة أقولها لك : « لأن كنت ترى أن وجهى قد ذبل » وعينى قد انطفأتا ، وجمالي قد ذهب .. فإنك ستروى أيضا أن قلبي لم يتغير .. فوداعا إذن يا « إدمون » . ليس لى ما أطلبه من السماء أكثر مما حبستى به ، لقد رايتك ثانية يا « إدمون » ، ووجدتك نبیلا عظيمًا كمهدى بك في الماضى .. فوداعا يا إدمون .. وداعا .. وشكرا ! »

.. ثم فتحت « مرسيديس » باب حجرة المكتب واختفت قبل أن يفيق الكونت من الصدمة الموحجة التى أحدثها له حيوط انتقامه المرموق !

وحين دقت ساعة « الانفاليد » إيلانا بطول الساعة الأولى بعد الظهور ، كانت عربية مدام « دى مورسيرف » تبتعد بها في طريق الشانزليزيه .. في حين رفع الكونت « دى مونت كريستو » رأسه وهتف محدثا نفسه ثم مضى في طريقه

— يالى من غيبى !.. كيف لم أمزق قلبي وعواطفى فى هذا اليوم الذى اعتزمت فيه ان انتقم لنفسى ؟

\*\*\*

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى مضى الكونت وشاهده « مكسميليان موريل » إلى مكان المبارزة . حيث تقدم « مكسميليان » نحو « بوشان » و « شاتورينو » شاعدى خصمه ، فالتحقى الثلاثة بعضهم لبعض فى أدب . ثم وصل « البرت دى مورسيرف » فقفز من جواده على بعد خطوات وانضم إليهم :

كان « البرت » صاحب الوجه غائر العينين . شـنـ من لم يذق طعم النوم طيلة الليل .. وبعد ان شكر الحاضرين على نجسهم عنه الحضور قال :

— عندى كلمة أريد ان اقولها للكونت «دى مونت كريستو» امامكم جميعا !

فتقدم الكونت منه فى هدوء واتزان بتناقضان مع اضطراب خصمه . ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات .. فقال « البرت » فى صوت مختلج .

— سيدى الكونت !.. لقد وجهت إليك اللوم على تصرفك بصدد ملك مسيو «دى مورسيرف» فى (إيبيروس) .. وكان من رأى بصرف النظر عن آثامه التى ارتكبها ان ليس لك الحق فى مؤاخذته عليها !.. لكنى وقفت بعد ذلك على ما يدل رايى واقنعنى بانك تملك هذا الحق .. وليس غدر « غرناند »

موتديجو » « بعلى باتا » هو الذى من أجله التمس لك المذنب . وإنما هو غدر الصياد « غرناند » بك أنت ، والتعاسة المألقة التى لحقت بك بسببه .. وهانذا أقول علانية وعلى رموس الاشهاد إنك كنت محقاً فى الانتقام لنفسك من أبى .. وإنى بوصف كونى ابنه . أشكرك لأنك لم تقس عليه أكثر مما فعلت !

ومد الكونت « دى مونت كريستو » يده إلى « البرت » وقد نندت عيناه بالدموع . فصاحبه هذا فى احترام وثوقه أقرب إلى الخشوع !.. فى حين غمغم الكونت :

— حقا : إن الله موجود .. الآن فقط اكتمل إيمانى باتى مبعوث من السماء للانتقام !

\*\*\*

عاد البرت إلى منزل أبيه فى شارع « هلدرا » . وبعد ان التى نظرة ساخرة على كل أسباب القرب التى جعلت حياته منذ الطفولة سميذة سهلة .. بدا يجمع كل حاجياته مبتدئا بمسورة أمه . واملحته . ونحفه . ثم ترك فى أحد الأدرج المفتوحة جميع النقود التى كانت فى جيبه ، وكشفا بكل الأشياء التى تركها فى الخزائن . وحين فرغ من ذلك سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، ورأى أباه يستقلها ثم تسير مبتعدة به .. فاستدار الابن عن النافذة واتجه نحو حجرة أمه . وكأنها تحرك الاثنان بوجه شكوك . فاندفعوا فورا : أمه فعلت مثلما كان يفعله هو منذ ..

ومجوهراتها ونقودها مرتبة في أدراجها . وحى تجميع منابحها  
.. ففهم « ألبرت » مغزى ذلك . وهتف بانه وقد كاد تأثرو  
يعجزه عن الكلام !

— اوه يا أمى ، لا يسكن أن تكونى اعزمت مثل ما اعزمته  
.. لقد جئت لاودع بيتك ، ولودعك !  
ناجابه قائلة :

— أنا أيضا ذاهبة .. رعد و طنت نفسى على أنك  
سترافقتى ، قبل ثرائى خدعت فى ظنى !

— سأنفذ جميع رغباتك يا أمى العزيزة .. وما دام عزمت  
قد استقر على هذا القرار ، ولتصرف بحكمة : لقد خرج  
ابى منذ هنيهة . والفرصة الآن سانحة كى نذهب دون أن  
نقدم له إيضاها !

— أنا على أتم استعداد يا بنى :

وخرج « ألبرت » ليستدعى عرمة . وقد أعد فى ذهنه  
خطة الانتقال إلى مكان مفروشى متواضع فى شارع . دى  
سانت بيره ، وحين عاد بالعرمة وهبط منها لينادى امه اقترب  
بنه شخص مجهول وسلمه رسالة قائلا :

— إنها من الكونت : ثم اخفى «برنوشيو» من حيث انى !

ولم يكد الشاب يقرأ الرسالة حتى لمعت فى عينيه الدموع ،  
ودون أن ينطق بحرف سلم الرسالة إلى امه ، فقرأت فيها :

— عزيزى « ألبرت » .. لقد اكتشفت خططك . وأرجو  
أن اقنمك بوجبة نظرى . انت حر فى أن تغادر بيت أبىك  
وتأخذ أمك إلى بيتك . ولكن اذكر يا « ألبرت » أنك مدين  
لها بأكثر مما يستطيع قلبك المسكين النبيل أن يبذل لها .  
فاحتفظ بالصراع لنفسك واحتمل جميع آلامك . ولكن جنب  
أمك محنة الفقر التى لا بد ستقترن بمحاولتك . ولو فى البداية  
.. فنى لا تسحق نينا من التوبة التى حلت بها اليوم . والله  
لا يجب أن يتالم البرىء من أجل المذنب .. أنا أعلم أنك قد  
اعزمتها مغادرة منزل شارع « دى هيلدر » دون أن تأخذ  
شيئا من أموالها أو متاعها . لا تسألنى كيف علمت بذلك .  
وإنما حسبك أنى علمت به وكفى .. ! »

\*\*\*

وكان الكونت « دى مورسيرف » قد توجه بمرتبته إلى دار  
الكونت « دى مونت كريستو » . حيث أمر رب البيت بإدخاله  
إلى الصالون . وفيما كان هذا يذرع الحجر للمرة الثالثة . دخل  
مضيفه . قائلا فى هدوء :

— اهذا أنت يا مسيو « دى مورسيرف » ؟ حسببت انى  
اخطأت المسبع !

فقال « دى مورسيرف » وشفاه تخطلجان فى انفعال مائه  
عن الاستمرار فى الكلام : « نعم إنه أنا ! » .

— وهل لى أن اعرف سبب تشرفى بزيارتك فى هذه الساعة  
المبكرة ؟

— جئت لأقول لك : إننى بدورى أنظر إليك باعتبارك عدوى .. جئت لأقول لك إننى أمقتك بوحى القرينة . بحيث يخيل إلى أننى طالما عرفتك . وطالما كرهتك .. وبالأخصاص . بما دام شباب اليوم لن يتأرزوا . فقد بقى علينا أن نفعل . هل أنت مستعد ؟ أنت تعلم أننا سنقتل نقتل حتى يموت احدا !

— إذن فلنبداً ! ، لسنأ فى حاجة إلى شهود

— هذا صحيح . فنحن نعرف احدا الآخر فهم المعرفة ..

وهنا شحج وجه الكونت « دى مونت كريستو » شحوبا مخفيا ، ولعلت عيناه بيريق كالللب . ثم اندفع نحو غرفة مجاورة وعاد بعد لحظات مرتديا ستره لبحار وقبعة ينسدل من تحنها شعره الأسود الطويل . وقد عقد ذراعيه فوق صدره وتقدم نحو غريبه شامتا ، فى حين أصطكت أسنان هذا وارتجفت ثدياه تحته . فآخذ يتراجع فى غزع حتى اصطدم بمنضدة غاستند إليها .. على حين صاح به الكونت « دى مونت كريستو » :

— فرناند ! ، من بين المائة اسم التى اطلقتها على نفسى لست فى حاجة إلى أن أذكر لك غير اسم واحد ، لعلك عرفتة الآن من ههنا . فإنى برغم الأحزان والعذاب الذى قاسيته ، اطالعك اليوم بوجه ترد إليه سعادة الانتقام والنشوى شبابيه القديم ! ، وجه لا يد أنك رايقه مرارا فى أحلامك منذ زواجك من « مرسيديس » ، خليفتى !

ومد الجنرال يديه مستنجداً من الرعب الشديد الذى اعتراه وبخى يتلمس الجدار حتى بلغ الباب فانسحب منه وهو يطلق هذه الصرخة اليائسة : « إدمون دافنيس ! » .. وما بلغ الباب الخارجى حتى ارتوى بين ذراعى حوذيته الذى معاونه على ركوب العربيه ، وعاد به إلى البيت !

.. وإمام البيت كانت تقف عربيه متواضعة — لم تر من قبل امام بيت نبيل مثله — فدخل الجنرال إلى الداخل ، على حين كانت زوجته وابنه يهبطان السلم ، والفتى يخاطب والدته :

— نشجعى يا امه ، فلم يعد هذا بيتنا :

فاختفى الاب وراء إحدى الستائر فى آخر لحظة وهو يشفق شفقة مروعة لم يصدر مثلها يوما من صدر إنسان .. شفقة رجل تهجره زوجته وابنه فى يوم واحد !

وحسب بلغ مخدعه أطل ليلقى نظرة أخيرة على العربيه وهى تبعد حاملة أعز من له فى الوجود .. وفى اللحظه التى كانت العربيه تختفى فيها عن ناظره ، سمعت طلقة تارية تصاعد على أثرها الدخان من خلال ثغرة فى زجاج النافذة احدها الانفجار !

- ٢٢ -

## سم ينقذ من سم !

كان « مكسميليان موريل » قد عاد من مكان المبرزة إلى منزل أسرة « غيلفور » حيث كانت « غالنتين » في انتظاره في غرفة جدتها .. وفي أثناء حديثها عن اعتزام جدتها الانتقال بها إلى مكان مستقل بسبب عدم ملائمة طقس ذلك الحي لصحتها . قالت له :

— الواقع انى نقدت شبيبى وصرت احسن كان معدنى تجاهد كى تالف شيئا ما !

فسالها « مكسميليان » : « واهى علاج تستعملين لمداداة هذه الحالة ؟ » .

— ابتلع كل صباح بلعقة صغيرة من المزيج الذى اعاد من اجل جدى .. اعنى انى بدأت ببلعقة واحدة والآن اتناول اربع ملاعق .. وهو مزيج من الطعام إلى أقصى حد !

شحب وجه « نوارثيه » وهو يصغى إلى كلام حبيبته . كأنها أدرك خلوصته . فأسار لها كى تحضر القاموس لأنه يريد أن يتكلم ..

وفي تلك اللحظة اندفع الدم إلى وجنتى الفتاة . وصاحت وهى تترنح قليلا !

— اوه ، هذا غريب ! .. لست أدرى . لكن الشمس تسطع فى عيني !

واستندت إلى النافذة . فخرج « مكسميليان » نحوها متوجها : لكننا ابتصرته مطمئنة : « لا تقلق ، إنه عارضى طارىء . وقد زال .. ولكن . ليس هذا صوت عربة تقف أمام الباب » .

وفتحت الباب واطلقت . ثم قالت : « نعم ، إنها سدام « دانجلر » وابتغنا ، جاعنا لزيارتنا .. إلى اللقاء . فبأنه ينبغي أن أذهب قبل أن ترسلا فى طليى .. ابق مع جدى يا مكسميليان » ، وإلى اللقاء ! » .

لعب الشاب يراقتها وهى تهبط السلم المؤدى إلى جناح سدام « دي غيلفور » وجناحها هى .. وما كادت تنصرف حتى تقابل الشيخ المشلول إلى « مكسميليان » كى يحضر القاموس ويترجم إشاراته . وكان الشاب قد عرف طريقة التفاهم معه هكذا من « غالنتين » .

وقال « نوارثيه » للشاب : « أحضر الإبريق والكوب اللذين فى غرفة « غالنتين » ! » .

فدق الشاب الجرس للخادم ، وأمره بإحضار اليتين . وكانتا غارغتين تهاما ، فسأله سيده :

— كيف ذلك « وغالنتين » قالت إنها لم تشرب غير نصف مخنويات الإبريق ؟

وأجاب الخادم بأنه لا يدري ، ولعل الخادمة أفرغت الباقي . وأشار إليه سيده أن يسأل القادمة ، فأومأ طمعا ثم انصرف .. وعاد بعد حين يقول : « كانت اليتيتان « دي مونت كريستو » ( م ١٩ )



« فالتنين » قد عادت إلى وعيها . لكنها ظلت عاجزة عن الحركة أو الكلام . وبعد أن فحصها وكتب لها العلاج مضى إلى غرفة « نوارتييه » وأغلق الباب وراءه . ثم قال له : « أعتقد أن اليد التي أصابت « باروا » هي التي تهاجم « فالتنين » الآن ؟ » . فأوماً موافقاً . ثم أبتسم وهو ينظر إلى زجاجة المزيج الذى يتناول منه كل صباح . . نهف الطبيب :

- حسن ! . . فهمت يا سيدى . . إنك جعلت جسمها يألف هذا السم بالتدريج قبل أن تعطى الجرعة الفاتلة . . وهذا الاحتياط لماتت « فالتنين » قبل أن تمسكن من إسماعيلها !

وفي الوقت الذى عاد فيه الطبيب إلى مخدع « فالتنين » برفقة أبيبا . استأجر راهب إيطالى يدعى السنفور « جياكومو بوزونى » المنزل الملاصق لبنت « فيلفور » !

\*\*\*

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم نفسه كان البارون « دانجر » بفرع حجرة صالونه في قلق ظاهر . في انتظار دخول ابنته التي طلبت أن تتحدث إليه على انفراد في تلك الغرفة بالذات . ولم تلبث « أوجيتى » أن دخلت مرتدية ثوباً من اللساتان الأسود ، وقد صغفت شعرها وأمسكت قفازها كما لو كانت ذاهبة إلى دار الأوبرا !

وسألتها ابوها : « ماذا تريدين ؟ »

فيلفور « تعبر غرفتي إلى غرفة راحة أبيبا حين أحسب بالعلم فشربت ما بقي في القدح - أما الإبريق فقد انرفه لست « إدوار » كى يصنع بحيرة تفرح عينا بجماعته ! » .

وفي أثناء ذلك كانت مدام « دانجر » تنبى إلى مضيقتي بشرى خلية الأمير « كافالكانتى » لابنها : وفي أثناء الحديث التفتت الضيفة إلى « فالتنين » قائلة : « ماذا بك يا ابنتى ؟ لقد تعاقب الشحوب والاحمرار على وجهك أربع مرات في دقيقة واحدة ! » .

وانتهزت مدام « دى فيلفور » الفرصة فقالت للفظة : يحسن أن تذهبى لستريجى يا « فالتنين » . فانك لست على ما يرام ، ولتسربى قدما آخر من الماء ، فهو ينمك ! . .

وعلى أثر انصرافها قالت المرأة لضيفتها : « إن أمر هذه الفظة يزعجتى وأخشى أن تكون مصابة بمرض خطير ! » .

وفي أثناء عودة « فالتنين » إلى حجرة جدتها غلغت على عينيها حاية جعلتها تنزلق من السلم وتسقط على الأرض ، تلحق بها « مكسميلان » ورغمها بين ذراعيه . . وطمرت من عيني « نوارتييه » صرخة رعب شلت على فيه . . ثم أقبل « دى فيلفور » غير عفو ابنته وأخذها بين ذراعيه وصاح قائلاً : « طبيب . . طبيب . . مسيو « داغرينى » . . أولعل الأفضل أن ادعوه بنفسى » وخرج على عجل : في حين خرج « مكسميلان » من الباب الآخر !

وحين عاد مسيو « فيلفور » وبصحبة الطبيب ، كانت

— أعدك بذلك !

— إذن سأنزوح مسيو « كافالكانتى » .

وحددت الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه موعداً  
تحرير عقد الزواج . غارتدت العروسي ثوباً بسيطاً أنيقاً . فى  
حين جلست أمها تشرع مع « بوشان » و « ماتو رينو »  
و « ديواى » .. و « دانييل » يتحدث إلى فخر من  
رجال المال المدعويين عن مشروعات الفخاءب التى يمسر  
تنفيذها إذا عين وزيراً .. ثم تحدث الكونت « أندريا  
كافالكانتى » عن السوان القرف التى تشرع إدخالها على  
المجموعات الرفيعة بفدر لإيراده السفوى الضخم !

وفى الساعة التاسعة أعلن وصول الكونت « دى مونت  
كريستو » . وقد دخل فى حين كانت مدام « دانييل » تشع  
وقوعها على عقد رواج ابنتها . قائلة لصديقتها مدام  
دى فيلفور « . البس من سوء الحظ ان يحول حادث  
رقرة دار الكونت « دى مونت كريستو » دون حضور  
صديقنا مسيو « دى فيلفور » ؟ » .

وهنا قال الكونت « دى مونت كريستو » . الذى كان  
شيل الكلام بحيث كانت كل كلمة ينطق بها تلفت الأسماع :

— أخشى ان اكون انا التسبب بلا قصد فى إتاحة مسيو  
« فيلفور » عن الحضور .. فلقد عثر خدمى اليوم على ستره  
لمسارق الذى قتله شريكه عند هبوطه من نافذة دارى .  
وكانت قد غدت فى أثناء فحص الأسماع حراً

فاجابته فى لهجة حازمة جعلته يفتقر من مقعده كمالدوغ :

— اريد ان اقول باختصار : إبنى لن أنزوح الكونت  
ندريا كافالكانتى !

— ماذا .. أصغى إلى يا ابنتى . ولستوف احببتك  
بالصراحة التى تحبب . إبنى حين طالبك باتهام هذا الزواج  
لست تنظر إلى عذرت خطي من وراءه !

— معنى ان مركزك المالى مهدد ؟

— نعم يا ابنتى . وأنا اريد تزويجك من الكونت  
كافالكانتى « لأنه سوف يصح بين بدى ثروته الطائلة البالغة  
ثلاثة ملايين من الجنيهات .

عقالت الفتاة باحتقار : « هذا عظيم ! »

— أنت مطمئن ان احريك من هذه الثروة . بل ان هذه  
الاموال الثلاثة سوف تدبر ربح قدره عشرة ملايين أو اثني  
عشرة مليوناً . بفضل مشروع استثمار للسلط الجديدة حديث  
أنه « الاشتراك مع زميل لى .. » وسأرسل مسيو « دى  
خلال اسبوع أربعة ملايين « مقدار حصر فى الشروع . سر  
ان زواجك نفسه من هذا الثرى كفيل بأن يرد لى سمعنى  
المالية .

— هل تعدنى بأن تسترد مركزك المالى باستقلال هذه  
السمعة . دون ان نرس مبلغ الثلاثة ملايين ذاته ؟ وان تدفع  
بجزى المبالغ نصف مليون غرك عند الزواج . وان تترك لى  
حريته الشخصية كاملة ؟

وتساءل ضابط البوليس : « يكيم يا سادة يدعى  
« اندريا كافالكانتى » ؟ »

فساد المكان هرج و مرج ، وراح الكل يبحثون عن الأمير  
المختفى ، في حين هتف « دانجلر » مستعسرا : « لماذا يبحثون  
عنه ؟ » فاجاب الضابط : « إنه مجرم هارب من ليمان طولون .  
وهو متهم الآن بقتل زميله السابق في الليمان . المدعو  
« كادروس » في أثناء تاراده من دار الكونت « دى مونت  
كريستو » . »

لكن « اندريا » كان قد لاذ بالفرار .. !

\*\*\*

دقت الساعة الحادية عشرة . و « غالفنين » راقدة في  
مراشها مغالبة الحمى ، بعد أن نصرت الممرضة منذ عشر  
دقائق .. وكانت الحمى قد هيات للمريضة الوئنا من الاخيلة  
والهواجس والرؤى المتتابعة المختلفة .. وكان المصباح  
يوسل ضوءه الضئيل المرتعش . الذي يرسم اشكالا واشباحا  
تزيد في هواجس المحبومة . وغجاة خيل إلى « غالفنين » انها  
ترى بابها غرقها يفتح على مهل في سكون . ويتسلل منه إلى  
الداخل شبح يقترب من فراشها ملتصقا . وتذكرت  
« غالفنين » أن خير وسيلة لتبديد تلك الرؤى هي أن تشرب  
جرعة من الدواء الذى أعده لها الطبيب . فمدت يدها  
نطلبه .. وفي هذه اللحظة هرع الشبح نحوها كأنها تبتلعها  
من أن تشرب . فاستودت هي ذراعها مذعورة . في حين تناول  
شو الكأس مسكب فيها معلقة من دواء كان معه .. ثم همس  
لها :

.. وبتفتيشها وجدت غيبها ورقة تتضمن خطابا موجها إلى  
البارون « دانجلر » !

وهنا هتف « دانجلر » بتعجبا : « لى أنا ؟ ! » .  
فقال الكونت : « نعم ! ولما كانت هي والسيتره مع  
الدليل المادى في الجريمة فقد ارسلتها إلى قاضى التحقيق .  
خفية أن تكون هناك مؤامرة مدبرة ضحك ! » .

فقال « دانجلر » : « هذا معتول !.. ألم يكن السارق  
القتيل قاتلا من « خريجى » الليمان ؟ » .

— نعم .. وهو يدعى « كادروس » !

وهنا شحب وجه « دانجلر » قليلا . في حين تسأل  
الكونت « اندريا كافالكانتى » في سكون إلى خارج الغرفة ..  
فقال الكونت « دى مونت كريستو » :

— أرى أن قصصى قد أثارت جوا من الانزعاج يفتى  
الاعتذار بسببه للبارونة والآنسة « دانجلر » : « فحل لكم  
أن تتابعوا إجراءات العقد ؟ » .

وكانت البارونة قد فرغت من التوقيع . وردت الربشة  
لمسجل العقود ، فصاح هذا متادبا : « الأمير « كافالكانتى »  
.. الأمير « كافالكانتى » !.. أين سمو الأمير ؟ » .

وفي تلك اللحظة اقتحم الصائون نغر من جنود البوليس  
بقتدعهم ضابط اقترب من البارون « دانجلر » في حركة  
مريبة ، فماتلقت البارونة صرخة وسقطت مغشيا عليها ،  
في حين بدا على وجه « دانجلر » رعب شديد !

— الآن يمكنك أن تشرى !

كادت غالتفين تصرخ مفعورة ، لولا أن وضع الشبح يده على غيها ، فغففت وقد نبهت شخصيته : « الكونت دى مونت كريستو ؟ » .

فأجابها : « أصفى إلى . أو بالأحرى انظري إلى شحوب وجهي واحمرار عيني ! .. إثنى منذ أربع ليال لم يتمخض لى جفن . كى أسهر على حمايتك من أجل « مكسليان » ! » .

فغففت « غالتفين » وقد عاودها الإلهتان : « هل حدث ما كان ؟ »

فقال الكونت لها : « نعم لقد ذكر لى كل شيء . وأكد أن حياتك عنده أثمن من حياته . وقد وعدته أنك ستعيشين ! » .

— تقول إنك سهرت على حمايتى ؟ .. لكنى لم أرك ! ..

— قضيت معظم وقتى مخبئا خلف هذا الباب . المذرى بقود إلى المنزل الملائق . وقد استأجرته خصيصا لهذا الغرض ..

وفى أثناء مراقبتى الطويلة رأيت الأشخاص الذين يزورونك ، والطعام والشراب الذى يعد لك ، وكنت كلها وضع لك سم قاتل ، استبدلت به شرايا صحيا منعشا !

— سم قاتل ؟! .. ما هذه الأشياء المريبة التى تحدثنى عنها ؟

— لم تكونى أولى من تعرض لهذا الخطر هنا .. هل نسيت ما حدث للمركز والمركزية « دى ميران » : ولذلك الخادم الأمين « باروا » ؟ .. لقد سقطوا جميعا صرعى بالطريقة نفسها ! .. وكان المفترض أن يلقى المسيو « توارتييه » مثل هذا المصير فيموت بالسم أيضا ، لولا أن العلاج اللئيم بتعاطاه منذ ثلاث سنوات أعطاه مناعة ضده !

— يا للسوء .. إذن فهذا هو السبب الذى جعل جدى يسبقنى من دوائه طيلة الشهر الأخير ؟

— إنه دواء مر المذاق . ليس كذلك ؟ إذن فجدك يعلم أن قاتلا يعيش تحت سقف هذا البيت . ولمسله يرتاب فى شخصه .. وقد حرص على أن يحصلك — وأنت محبوبته — ضد ذلك السم . ولكن حتى هذا التحصين لم يكن لينقذك من سلاح آخر مهيت استعمل ضدك خلال هذه الأيام الأربعة الأخيرة !

— ولكن من يكون هذا القاتل ؟

— ألم شرى احدا يدخل غرفتك فى أثناء الليل ؟

— لقد طالما رأيت أشباحا تقترب ثم تبتعد . لكنى حسبنا خيالات الحمى . كما حسبك أنت فى البداية !

— إذن تدعى بكل شجاعتك ، وأرهفى سمعك لىكل سميت . وراقى كل شيء جدا خلال قضايتك بالنوم .. ونفاد تربعين كل شيء !

فلم تكن « فالتين » تترك الكونت وحدها ، اعتقدت ان  
اسمع صوتا يقترب .. اتركني الآن ! » .

— إلى اللقاء إذن .

ومشى الكونت على أطراف أصابعه إلى الباب الذي دخل  
منه . فاخنتى وراءه .. ومرت عشرون دقيقة . بطيئة .  
رهيبة . ثم فتح باب غرفة « فالتين » دون صوت .. ووجد  
شيحا يقترب من فراشها . ثم يهيم : « فالتين ! ..  
فالتين ! » فلما لم تجب ، سمعت سائلا بصب في الزجاجة  
التي تترك منها ، وإذا ذاك بذلت جهدها كي تفتح اجفانها  
قليلا وتظهر من خلالها .. غرات امرأة نصب في الماء سائلا  
من قارورة منها .. ولم تكن هذه المرأة سوى زوجة ابينا .  
بنام « دى فيلفور » .

ولم تنق فالتين من ذهول المفاجئ الذي استمر دقائق  
بعد خروج المرأة الأثمة إلا حين غنح الباب المقابل في سكون  
ودخل منه الكونت « دى مونت كريستو » وقال لها :  
« لا تنزعجى من أى شيء يحدث لك . حتى لو شعرت بأنك  
فقدت النظر أو السمع أو الوعي .. أو حتى حسيت  
فرجحت نفسك داخل نعش مغلق ! .. وإنما قولى لنفسك  
عندئذ : ( هناك صديق ، بمثابة أب ، يعيش من أجل سعادتي  
وسعادة « مكسميليان » ، وهو سيحمينى ، ذلك لئلى وحدى  
من يستطيع إتقاذك ، وسأفعل ! » .

ثم أخرج من جيبه حبة في حجم الحمصة وقدمها لها .

غابتعتها .. وإذا ذاك غال لها : « الآن يا طفلى المحبوبة .  
وداعا إلى حين » .. « اختفى ! »

وفي الصباح استقبلت الممرضة يقظة المريض فدخلت  
لنزعها .. فلما رأتها هامة ، ببشاء الشفتين ، صرخت  
مذعورة .. تدخل على صوت صرختها الطبيب « دافرىنى »  
وقال : « ماذا ؟ أحي الأخرى أيضا ؟ ربا ! » .

\*\*\*

هبط الكونت « دى مونت كريستو » من عربته أمام منزل  
البارون « دانجلر » واستقبله هذا بابتسامة حزينة قائلا :

— اجئت تمزيق ؟ .. لقد تكاثرت المصائب فى بيتى . لقد  
نرت ابنتى وهجرنى . بعد فضيحة « كافالكانتى » !

فقال الكونت فى هدوء : « إن أى حادث من النوع الكليل  
بتحطيم من لا يملك كنزا غير ابنته ، يصبح محتملا فى نظر من  
يملك الملايين ! » .

فقال البارون « دانجلر » : « إذا كان الغراء يجلب التمرية  
فنبغى أن اتعزى فإلى ترى .. وفى اللحظة التى دخلت فيها  
كنت قد فرغت من توقع صكوك بمبلغ خمسة ملايين من  
الفرنكات ! » .

فسأله الكونت : « هل هى مستحقة الدفع فورا ؟ » ،  
وإذا أوبأ موافقا ، قال له :

— إذن سأنزل المفارقة .. لنأخذ منها حصة  
بسته ملايين من الفرنكات ، لم نسمع بها هنا حتى الآن إلا

تسعمائة ألف فرنك : اى أن لى عندك خمسة ملايين ومائة ألف ، لكننى سأخذ هذه الصكوك التى تساوى خمسة ملايين وأعطيك إيصالا بانى تسلمت كل حسابى ... ابنى فى حاجه إلى هذا المبلغ اليوم !

وسارع الكونت إلى وضع الصكوك فى جيبه . غدا الفرح على « دانجلر » وقال له : « ولكن .. ولكن مدين بهذا المبلغ لجبة ما ، وقد وعدت بدفعه اليوم ! »

— إذن تدفع لى المبلغ بأية وسيلة أخرى غير هذه الصكوك .. ولو اتى كنت سأفأخر بان بك « دانجلر » فندفع لى خمسة ملايين من الفرنكات فى اللحظة التى طلبتها قبياً .. إنه أمر يدعم الثقة بك !

وطافت بذهن « دانجلر » فكرة مفاجئة . عرض على لطلب الكونت .

وقبما كان الكونت « دى مونت كريستو » يتأهب للانصراف ، دخل ممثل الجبة التى تدعى « دانجلر » بالخمسة ملايين . فقال له البارون :

— لقد سبقك الكونت « دى مونت كريستو » فأخذ من حسابه مبلغ خمسة ملايين من الفرنكات . ولو اتى حورت فى يوم واحد صكوكا بمشرة ملايين لأحدث ذلك عجزاً فى السوق . فبذل لك أن تحضر ظير غد .

فوافق الرجل على ذلك وانصرف . فى حين همس « دانجلر » لنفسه :

— فى هذا الموعد سوف أكون فى مكان بعيد !

أما « غائلتين » دفعت فى مقبرة « الاب لاشيز » . وغرق زوجها غرقه فى العمل . لكنه مجز مع ذلك عن أن ينسأها .. فتدخل ذات يوم جناح زوجته وكانت جالسة تقطب بسمس . مسح والمحلات . وقد ارتدت ثيابها وقفازيها تأهباً للخروج . « وبادر « غيلفور » فأحكم إغلاق الباب بالبرتاغ ثم وقف بين زوجته وبين الباب . فسألته وهى تحاول أن تقرا الفس : ماذا هناك ؟ »

فقال لها : « سيدتى .. أين تحتفظين بالسهم الذى تستعملينه ؟ »

فانطلقت من المرأة حرجة أو شهقة مكتومة . وشسحب وجيبها نحو الأموال . وأجابته متلعمة : « ابنى .. ابنى لا أقوم ماذا تعنى ! »

— لقد سألتك أين تخفين السهم الذى قتلته به صبرى وحماى وخادم ابنى ثم ابنتى ؟

— ما هذا الذى تقول ؟

— ليس لك أن تسألنى بل عليك أن تجيبى فقط !

— هل أجيب القاضى أم الزوج ؟

— القاضى يا سيدتى .. القاضى !

فأخضت المرأة وجهها بين يديها وغضت : « لواد يا سيدتى .. اتوسل إليك .. لا تصدق أطعمهم .. »

— يا لك من جبانة : لقد طالما لاحظت جبن أمثالك من الذين يقتلون بالسم - ولكن غانك وانت تعددين مسمومك وتزليين قاتلها ببراعة تبلغ حد الإعجاز . ان تقدرى النسيابة النر سوف تقودك إليها آثامك . ولكن لعلك قد احتفظت بشيء من سمك العجيب الفعال كى يتجيك من العقسات الذى نستحقينه ... !

فركعت الزوجة الشابة على ركبتيها ومدت إليه مدتي مناشدة ، فقال لها : « ارى لك تعترفين بجرائمك ، لكن الاعتراف للقاضى في آخر لحظة لا يخفف من شدة العقوبة . على ان زوجة القاضى الاول في العاصمة يتبنى الانهوت على المشقة فتلطف بضربة واحدة سمعة زوجها وابنتها . سيدتى - إنه لتصرف حكيم منك ان تموى بذلك السم نفسه » .

وارتمت عند قدمي زوجها وهى تطلق ضحكة هستيرية مخيفه . فقال لها وهو يوم بمغادرة الغرفة : « فكرى في الامر يا سيدتى ، وسأخرج الآن ، غاذا وجدت عند عسودى ان العدالة لم تأخذ مجراها فسوف أبلغ ضدك بلسانى . واقبض عليك بيدى ! » .

\*\*\*

يمكن البوليس من إلقاء القبض على المجرم البواب « اندريا كافالكاتى » — أو « بندينو » — ثم قدم للمحاكمة بفضل الجيود التى بذلها ميسو « دى فيلفور » قاضى التحقيق . وقد افتن في صياغة تقرير الاتهام بأسلوبه القوى الصارم . وفى الجلسة تودى المتهم وتليت عليه التهمة ثم ماله القاضى :

— اسمك ولتيك ؟

— اسمح يا سيدى ان اجيب على أسئلتك بغير الترتيب التقليدى المنبع : وإلا قلن اجيب على الإطلاق !

فنظر القاضى إلى المظفين في دهشة ، ونظر هؤلاء بدورهم إلى فيلفور : على حين ظل المتهم محتفظا بهدوء عجيب !

— سنك ؟

— سوف أبلغ الحادية والعشرين بعد أيام قلائل . فقد ولدت ليلة ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٧ في ضاحية « أوتوى » لقرية من باريس !

وهنا رفع « فيلفور » رأسه عن الأوراق التى كان يكتب فيها ، وشحب وجهه لدى ذكر تاريخ الميلاد ومكانه . . . في حين مسح المتهم شفتيه بمندبل فاخر !

وعاد « فيلفور » يسأله : « مهنتك ؟ » .

فاجاب : « في البداية كنت مزيفا . ثم صرت لصا ، واخيرا أصبحت قاتلا ! » .

واحدثت هذه السخرية ضجة في صفوف المظفين والنظاره . ونظر الجميع إلى المتهم الوقح باشمزاز ، على حين احمر وجه « فيلفور » وتللمل في مقعده كمن يبغي هواء يتنفسه نسأله المتهم وهو يبتسم :

— هل تبحث عن شيء يا سيدى الحق .

ولم يجب « فيلفور » . فتابه الرئيس أممته ... المنه

— والآن ، هل لك أن تذكر اسمك ؟

— لست استطيع ذلك . لأنى لا أعرفه .. لكنى أعرف اسم أبى : وفى وسعنى أن أذكره لكم !

وهنا تساقطت قطرات العرق من جبين « غيلفور » على الأوراق التى أمسكها بيده المتقلصة .. فى حين استقطرت المتهم لمقال فى هدوء :

— إن أبى يشغل منصب قاضى تحقيق :

لتساءل الرئيس ذاهلا : دون أن يلحظ الاتزعاج البادى على « غيلفور » : « قاضى تحقيق ؟ .. تقول قاضى تحقيق ؟ »

— نعم ، وإذا أردتم معرفة اسمه غسافكره لكم .. انه يدعى « دى غيلفور » !

وإذ ذاك انفجرت بين النظارة الماصعة التى حاولوا فى البداية تمهيداً توقيرا للحكمة .. وشخصت الميون جميعا نحو « غيلفور » ، الذى كانما حولته الصدمة إلى جثة جامدة . فى حين تابع المتهم اعتزاله فى صوت قوى فقال :

— أيها السادة .. إننى مدين لكم بالبراهين المثبتة لأقوالى . لقد ولدت فى المنزل رقم ٢٨ شارع « الثائورة » فى حجر ببطنة بالحريز الأحمر .. ثم أختفى أبى بين ذراعيه . بعد أن ذكر لأمى أنى ولدت ميتا ، ولغنى فى منشفة عليها حرقا « ه . ن » ثم حملنى إلى الحديقة حيث دفنتنى حيا !

وسمرت بين المظفين قسوة رهبة : على حين تابع الرئيس استلذه :

— كيف وقفت على كل هذه التفاصيل ؟

— كان هناك شخص أخذ على نفسه أن ينتقم من أبى ، تمكن له فى الحقيقة فى تلك الليلة . حتى رآه يدفن صندوقا فى الأرض . فطعنه بسكينه ، ثم أخرج الصندوق الذى حسبته يحوى كنزا ، فلما وجدنى حيا أخذنى إلى ملجأ اللقطاء فى باريس حيث بقيت به ثلاثة أشهر حتى أخرجتنى منه زوجة أخيه وعادت بى إلى بيتنا فى كورسيكا .. وهناك نشأت فى رعاية أولئك القوم الطيبين . لكن الوضع المطلوب الذى صاحب مولدى طغى على الفضائل التى حاولوا بثها فى قلبى .. فموت فى الرذيلة حتى صرت مجرما ، وذات يوم كنت لمن الأقدار التى خلقتنى شمريرا . فقال منقذى : « لا تجدف على الأقدار أيها الفتى التعس ، فالجريمة جريمة أبوك الذى .. لنجسيم حين دفنك حيا كى تموت خاطئا ، قبل أن يدركك غمران الله » .

« ومنذ ذلك اليوم كففت عن التجديف على خالقى ، وصرت المين أبى » ! ولماذا نطقت الآن بهذه الأقوال التى ملأت قلوبكم مستنظرا .. فإذا كنت قد ارتكبت بذلك جريمة إضافية ، فعاقبونى ، وإذا شعروهم معنى بأتى منذ يوم مولدى لأحققنى بالأقدار بالأسى والمرارة والبؤس غارثوا لحالى ! » .

وماله الرئيس : « وأمك ؟ .. »

فأجاب : « أبى بريئة .. فقد حسبتنى ميتا .. لمذلت .. عبا حتى بأن أعرف اسمها . ولست أعرفه » .



وعندئذ انطلقت من بين صفوف النظارة صرخة ثاقبة صادرة من امرأة كانت تغطى وجبها بنقاب .. فلها أجبت بالبكاء في نوبات هستيرية سقط النقاب عن وجبها فعرف الجميع غيبا « مدام دأنجلر » .. ولم يكذب « فيلفور » يقع عليها حتى هب عن مقعده واقفا دون وعى منه .. وتابع الرئيس أسئلته للتهيم ، قائلا :

— الادلة .. الادلة .. تذكر يا هذا ان هذه الأقوال المروعة يجب ان تستند إلى أدلة حاسمة !

فاجاب بنديتو ضاحكا : « تريدون الادلة ؟ .. انظروا إذ إلى وجه مسيو « دى فيلفور » ثم طالبوني بالأدلة ! » .

وانجبت جميع الأنظار إلى قاضي التحقيق . الذي عجز عن مواجهة آلاف العيون المسلطة عليه .. فنفذ من مقعده وسار مترنحا مشعث الشعر وقد بدت على وجهه خدوش اظفاره . فانطلقت من الجمع غمغمة دهشة .. وخاطبه المتهم ، قائلا :

— اي ! .. انهم يطالبوني بالأدلة . فهل تريد مني ان أقدمها ؟

وهنا قال « دى فيلفور » : « كلا ! .. لا غائدة من ذلك ! » .

فصاح به الرئيس : « ماذا تعنى ؟ » .

فقال : « أفنى أفنى أشعر باستحالة مقاومتي لليد الجبارة المميقة التي تسحقني .. إنني الآن بين يدي إله منتقم جبلي -

ولستم في حاجة إلى أدلة . فإن كل ما ذكره هذا الشاب صحيح ! .. وإني منذ هذه الساعة أضع نفسي تحت تصرف ممثل الاتهام الذي سيظفني ! » .

ثم سار نحو الباب كمن يمشى نائما ومضى إلى منزله حيث تدخل غرفة زوجته . وصاح بها . « هيلويز ! .. هيلويز ! » .

وجدوها واقفة في وسط الغرفة صاحبة الوجه غائرة لمبين . فبغت بها : « هيلويز . ماذا حدث ؟ » .

فاجابت في حيرة - بدت كأنها تمزق حلقها :

— لقد تم لك ما أردت .. ماذا تبغى بعد ذلك ؟ !

ثم سقطت بكل ثقل جسمها على الأرض .. « نهرع » دى فيلفور « نحوها وأمسك يدها التي كانت متقلصة على قنينة صغيرة ثم هتف :

— ربيد .. !

واندفع كالخيول إلى خارج الغرفة وهو يصرخ : « إدوارد .. إدوارد ! .. » ابن ابني ! يجب إبعاده عن البيت حتى لا يرى .. !

فاجابه الخدم : « السيد « إدوارد » في غرفة والدته .. لقد استخدمته منذ نصف ساعة ولم يخرج ثانية ! » .

واسرع عائدا إلى تلك الغرفة فانطلقت من مدبره صرخة مروعة وهو يلوح جثة ابنه في ركن قصي ، وغغم : « إنها بآلة ! .. ولم يستطع البقاء في أرضي .. » .

يجد شخصا يقص عليه احزائه ويبيكى إلى جواره .. عسى إلى غربة أبيه !

وهناك وجد « نوارتييه » بصنى بانتباه إلى « بوزونى » : « الذى كان هادئا باردا كعادته ! » فقال له « دى غيلفور » : « هل انت هنا يا سيدى ؟ .. او لا تظهر إلا فى صحة الموت ؟ » .

فالتفت الأب « بوزونى » إليه . وإذا رأى هيئة « غيلفور » أدرك أن الفضيحة التى دبر أمر إنارتها فى المحكمة قد تمت طبقا لخطة المرسومة ، فأجاب : « لقد جئت لأصلى على جثمان ابنتك .. ولأقول لك إنك قد دفعت دينك بما فيه الكفاية ، وإننى منذ هذه اللحظة سأصلى إلى الله كى يغفر لك ، كما اغفر لك أنا أيضا ! » .

فبتف « دى غيلفور » وهو يتراجع إلى الخلف مقزوعا : « يا للسماء ! .. ليس هذا صوت الأب « بوزونى » ! » .

فابنسم هذا وأوما موافقا ، ثم خلع عباءته وشعره المستعار ، واسدل شعره الطبيعى على عنقه .. فصاح « دى غيلفور » مرتاعا :

« الكونت « دى موت كريستو » ! » .

« إنك لست مصيبا تماما يا سيدى القاضى .. يسمى ن ترجع بذاكرتك إلى الوراء أكثر من ذلك لكى تعرف مواطنك القديم « إدمون دانتيس » ! » .

و« جن جنون » دى غيلفور » : « نطلق يعدو حتى بلغ الحقيقة ، نأخذ يحضر الأرض بناس فى بدء وهو يصيح :

« إنه ليس هنا .. ليس هنا ! لكننى سوف أجده .. سوف أجده ولو ظللت احفر إلى الأبد :

وكانها خشى الكونت أن تنطبق عليه جدران البيت المشنوم . فاندفع إلى الشارع وهو يسائل نفسه لأول مرة عما إذا كان قد أصاب أم أخطأ فيما فعل ! .. « أوه .. كفى .. كفى .. كفى .. » . فلانقذ الأخيرة ! » .

وحين بلغ منزله وجد مكسملين فى انتظاره . فقال له وهو يبتسم : « أعد نفسك للسفر يا « مكسملين » .. نسوت نفادر باريسى فدا ! » .

« ليس عندك ما تفعله هنا بعد الآن »

« كلا ! .. قاله يشهد أنى فعلت أكثر مما ينبغي ! »

وفى اليوم التالى رحلا . يرافقهما من الخدم « بابستان » وحده . فقد أخفت « عايدى » « عليا » معها ، وحتى « برتوشيو » مع « نوارتييه » :

\*\*\*

دخل البارون « دانجلر » بعربته مدينة « روما » من طريق بوابة « ديل بوبولو » . ثم اتجه بها إلى اليسار حتى أمر الحوذى بالوقوف أمام باب « فندق اسبانيا » .. وهناك دخل فتناول وجبة شجبة وسأل عن عنوانك « نيمو » وغرنش » .

وحين غادر الخندق بصحبة الدليل ، انسل من جبهة المتسكعين عند الباب شخص تبع الباريون ودليله بخفة رجال البوليس السرى وبراعتهم .. ولما دخلوا البنك تبعهما إلى الردهة الداخلية . حيث كلف « دانجلر » أحد الكتبة بإبلاغ المدير نبأ حضوره . ثم فُخل إلى حجرة المدير بعد قليل . في حين جلس مراقبه على أحد المقاعد بالردهة أمام الكاتب الذى انصرف عنه نحو خمس دقائق ، ثم رفع رأسه عن أوراقه . وإذا اطمأن إلى أن احدا لا يسمعه غير ذلك المراقب . قال بحدته : « أهذا انت يا سيو » .

فرد عليه هذا خامسا : « لعلك وجدت في هذا السيد صيدا دسما ؟ » .

فقال الكاتب : « كيف لا . وقد جاء ليسحب خمسة ملايين من الغرفكات ، بإيمال من الكونت « دى مونت كريستو » ؟ » .

وسأله المراقب : « كيف عرفت كل ذلك ؟ » .

فاجاب : « لقد اخطرونا به من قبل ! » .

ثم خرج « دانجلر » متبال الوجه . فودعه المدير حتى الباب .. ثم تبعه « بيبينو » بعد ذلك .

وفي الصباح استيقظ « دانجلر » متأخرا . فتناول إفطاره ثم امر بإعداد العربة للسفر ، معتزما الرحيل إلى الهندية . حيث يتسلم جانباً من ثروته التى بقيت له . ثم يتابع السفر إلى غينا . حيث يتسلم بقيتها . ويقيم هناك .

على انه لم يكد يقطع بعربيته ثلاثة قراسخ يعد روما حتى

أوقفت عربته فجأة وفتح بابها . وأطل منه أربعة من رجال العصابت المسلحين . امره أحدهم بالهيوط . ثم عصبوا عينيه وقادوه إلى مغارة في قلب الصخر . حيث أدخلوه زنزانة خالية نظيفه تقع تحت سطح الأرض بعشرات الأمتار . وفي ركن منها فراش من القش مغطى بجلد الماعز .. ثم أغلقوا عليه الباب !

ومر يوم كامل ، ذاق فيه المونير السجين آلام الجوع ، وتنبه أخيرا على حركة بقرب الباب . فإذا « بيبينو » يجلس خارج الزنزانة يعد طعاما شهيا وقد وضع إلى جواره رجاچه من النبيذ وسله من العنب .. غسال لعاب « دانجلر » . وضرق الباب بخفة . فأقبل عليه اللص بسأله :

— هل فخطمتك جائع ؟

فقال له :

— عجبا ! .. كيف لا وأنا لم أتناول طعاما منذ ٢٤ ساعة !

نعم يا سيدى ، اتى جائع .. جائع جدا !

فسأله « بيبينو » :

— ماذا تحب من ألوان الطعام .. إننا هنا جميعا رهن

إشارة فخطمتك !

— أريد دجاچه . وسمكا ... أى شيء .. المهم أن

أكل !

وعندئذ نهض اللص وصاح كما يفعل النذل في المطاعم :

— دجاجة محمورة لصاحب الفخامة !

ولم تمض لحظات حتى أقبل شاب نصف عار يحمل على رأسه صينية بها الطبق المطلوب . فوضعه اللص أمام السجين ، ولم يكدها يتناول السكين والشوكة ويهم بقطع الدجاجة حتى استوقفه « بينو » قائلا :

— المادة هنا أن تدفع قبل الأكل . فقد لا يعجبك الطعام !

وقال « دانجلر » لنفسه :

— لقد سمعت أن الدجاج رخيص هنا في إيطاليا ، حتى أن الدجاجة لا يزيد ثمنها على ١٢ سنتيما ، ولن أدعهم يخدعوننى !

ثم أخرج من جيبه ليرة تذهب بها إلى اللص . فتناولها هذا ولكنه استوقف السجين عن الأكل مرة أخرى ، قائلا في هدوء :

— فخامتك مدين لى الآن بمبلغ ٩٩٩ ليرة !

فتفتح المليونير فاه ذاهلا ثم قال ساخرا : « كم أنت نظيف ! .. يا لها من دعابة ! .. إليك ليرة أخرى ودعنى أكل » .

فأخذ اللص الليرة الجديدة في عدم مجالة وقال : « يبقى لى في ذمتك الآن ٩٩٨ ليرة .. سأحصل عليها في الوقت المناسب » .

فقال « دانجلر » وقد ساءه أن الدعابة طالعت :

— إنك لن تحصل عليها على الإطلاق . اذهب إلى الشيطان أنت ودجاجتك ما دمت لا تعرف مع من تتعامل !

وهنا أشار « بينو » إلى الشاب نصف العارى « فرفع المائدة ورجع بها من حيث أتى . في حين عاد اللص إلى تناول طعامه خارج الباب !

وارضى « دانجلر » على جلد الماز ، وانقضت ثلاثون دقيقة بقت له قرنا من الزمان . غلها عجز من تحمل الآم الجوع ، نهض وانجه إلى الباب وهف قائلا : « تعالى هنا ياسيدى .. لماذا تدعنى أموت جوعا ؟ .. قل لى ماذا يطلبون منى ؟ » .

فاجاب : « إنك أنت يا سيدى الذى ينبغي أن تطلب .. مر ونحن ننتظرك » .

— إذن افتح الباب فوراً .. اسمع يا هذا .. أريد شرباً آكلاً ، انهم ؟

— أى لون من الطعام تفضله ؟

— قطعة من الخبز الجاف ، ما دام الدجاج يباع في هذا المكان اللعين بسعر جثونى !

— خبز ؟ حسناً ! إذن تدفع أربعة آلاف وستمائة وثمانية وتسعين ليرة ، فقد دفعت لخمايك ليرتين مقدما ! .. إن كل ألوان الطعام هنا سواء في الزمن ..

ملايين وخمسين ألف فرنك ، أى ثمن خمس دجاجات ونصف دجاجة !

وهنا ارتعد « دانجلر » ، إذ انكشفت الحقيقة لمعبيته ، وأدرك مدى الخطر الذى يهدده ، فصاح باللص :

— إنكم تريدون تجریدی من كل شيء .. الأفضل من ذلك أن تنهشوا لحمى وعظامى ! أين هو كبيركم ؟ أريد أن أراه حالا !

وفى اللحظة التالية ظهر « لوبجى فامبا » أمام الباب ، فسأله « دانجلر » : « كم تطلب فدية لى ؟ » .

— لا شيء غير الملايين الخمسة التى تحملها ! فازدرد دانجلر لعابه وقد شعر برعب لا مثيل له ، وقال :

— ولكن هذا المبلغ هو كل ما بقى لى من ثروة ضخمة ، فإذا حرمتنى منه ، فالأولى أن تأخذ حياتى أولا !

— نحن ممنوعون من أن نريق دمك ! هنا رئيسى اعلى منى !

واستمر تصميم « دانجلر » على عدم الدفع يومين ، عرض بعدها مليون فرنك تمنا لوجبة طعام .. فأرسلوا إليه عشاء فاخرا وأخذوا منه المليون .. ومنذ تلك اللحظة اعتزم المسجون الا يقن على نفسه بشيء ، وفى نهاية اليوم الثانى عشر تناول عشاءه الشهى ثم حسب حسبته .. فإذا المبلغ الباقي معه لا يجاوز الخمسين ألف فرنك !

وهنا حدث امر غريب ، فان الرجل الذى غرط فى الخمسة ملايين لم يتحمل التقريط فى الخمسين الفا : بل اعتزم أن يحتفظ بها ولو مات جوعا !

وانقضت ثلاثة أيام على هذا المنوال ، وفى اليوم الرابع كان قد أصبح حطام إنسان ، هيكلا باليا .. حتى لقد راح يقات من غتات الجير والحصر الذى يكسو بلاط الحجره .. ! وأحيانا كان يهذى .. ثم عرض على « بيبو » ألف فرنك تمنا للتمه واحدة من الخبز ، لكن اللص لم يجب !

وفى اليوم الخامس جر جسمه جرا إلى الباب ، وركع على ركبتيه مناشدا اللص قائلا : « الستم مسيحيين ؟ اتريدون قتل شخص هو فى نظر السماء أخ لكم ؟ » وهنا سمع « دانجلر » صوتا عميقا رزينا يسأله : « هل شعرت بحاجتك إلى التوبة والتكفير من ذنبك ؟ » .

فجعل الصوت شعر رأسه يقف .. وحاولت عيونه الضمغيتان أن تميزا الأشياء ، فأرأى وراء اللص شخصا ملتفا بعباءة ، تكاد تحجبه الظلال ، فسأله وهو يرتعد غرقا :

— أكثر من أى ذنب .. ماذا تعنى ياسيدى ؟  
— عن الشر الذى ارتكبته !  
— إبنى أكثر عن كل شرورى يا سيدى لعلى أنال الغفران !  
— إذن غانا أصفح عنك !

ثم خلع الرجل الغريب عباءته ، وتقدم نحو النور مهتف دانجلر :

— الكونت « دى موت كريستو » .

فقال له : « أنت مخطئ » إننى لست الكونت « دى موت كريستو » ! » .

— إذن من أنت ؟

— أنا الرجل الذى بعته وانتزعت منه خطيبته وسحقته ، كى تصل على جثمانه إلى المجد والثراء .. أنا الرجل الذى قتلت أباه جوعاً ، وعرضته هو للموت جوعاً .. ومع ذلك فهو يغفر لك ، لأنه بطبع فى أن يغفر الله له ! .. أنا « إدمون دانفيس » ! » .

وعندئذ أطلق « دانجلر » صرخة مروعة وخر على ركبتيه .. فصاح به الكونت :

— انهض .. فحياتك فى أمان : الأمر الذى لم يقع لشركائك .. فأحدهم جن والثانى مات .. احتفظ بالخمسين ألف غرنك لك .. إننى أملكك إياها .. أما الملايين الخمسة التى سرقتها من المستشفيات فنقد ردتها إليها بد أمينة !

ثم التفت إلى « غابيا » قائلاً : « حين يفرغ من طعامه .. أطلق سراحه ! » .

\*\*\*

كانت الساعة السادسة مساءً ، حين أنزلق البيخت الفلخر على صفحة البحيرة الكبرى الممتدة بين جبل طارق والدرفنيل ، وبين تونس والبنديقية ، حاملاً على ظهره « مكسليان موريل » فى طريقه إلى جزيرة الكونت « دى موت كريستو » ، حيث واعد الكونت على اللقاء هناك !

وحين هبط الشاب وجد الكونت فى انتظاره ، وأخذته هذا إلى كهوفه المفروشة بالدهقس والحريز ، وأغمر الطنائس والرياش ، ثم قال له :

— أصغ إلى يا صديقى : أنت تعلم أنه ليس لى أهل ، وإننى قد اتخذتك بمثابة ابن لى ، وسوف أورك المائة مليون غرنك التى أملكها .. فاستمتع بها ، إنها تفتح لك أبواب المجد والسعادة ، وكل شيء !

فأجاب الشاب فى لهجة التصميم : « كلا ، لن يعوضنى ذلك عن فقد ملاكى الجميل .. أريد أن أموت كى الحقى « باللقين » .. لقد وعدتنى بأن تمنحنى الموت ، بطريقتك السهلة المريحة .. فأنجز وعدك ! » .

وإذ رأى الكونت تصميم الشاب ، سقاه جرعة من مادة كان يحتفظ بها فى زجاجة صغيرة محلاة بالأحجار الكريمة .. تبدأ « مكسليان » بفقد حواسه بالتدريج .. حتى خيل إليه أنه يرى أبواب السماء تفتح لاستقباله ، و « فالنتين » تخف لقلبه .. ثم غاب كل شيء عن ناظره .. ووقد بلا حراك !

وبعد قليل ، أحس أنه يفيق .. فغلب فى رقدته ، حتى استرد شيئاً من وعيه ، ثم هتف :

— آه .. لقد خدعنى الكونت ! ما زلت على قيد الحياة ! ومضى يهتف ليختطف سكيناً كانت على منضدة قريبة ، كى ينهى بها حياته .. وإذا ذلك سمع صوت « فالنتين » تهتف به :

— أفق يا حبيبي ، وانظر إلى !

كان الكونت « دي مونت كريستو » قد سقى « فالنتين » ليلة زارها في مخدعها مخدرا يجعلها تبدو في هيئة الميتة ، فلما دفنت وانصرف المشيعون ، أخرجها من تمسحها الذي كان قد ترك به تقبا يمر فيه الهواء ، ثم سقاها سائلا أعادها إلى وعيها .. ونقلها إلى جزيرته كي يبعد الطريق إلى لقائها مع حبيبها « مكسليان » .

وفي أثناء إغفاء الشاب ، أدخلها إلى حيث برقد ، ولبت الاثنان يرقبان بقطة النائم ، وقال الكونت يحدث الفتاة :

— « فالنتين » .. لا شيء سوف يفصلكما على الأرض ، بعد أن دفع « مكسليان » ثمنه إلى أحضان الموت كي يلقاك ! .. يكفيني سعادة أني جمعت بينكما .. فليساعدكما الله !

وبعد لحظات ، أفاق الشاب من تأثير المخدر ، فلم يكد يصدق عينيه .. وركع جاثيا على ركبتيه أمام حبيبته التي ردت إليه ! وفي الصباح التالي كان الحبيبان ينتزهان على شاطئ البحر ، حين اقترب منهما قبطان اليخت ، وسلم إلى الشاب رسالة من الكونت « دي مونت كريستو » هذا نصها :

— عزيزي « مكسليان » .. سوف يحملكما اليخت إلى حيث ينتظر « نوارتيه » حبيدته الغالية ، كي يباركما قبل الزواج .. أما كهوفي التي في الجبسزيرة ، وقصرى في الشانزليزيه ، وقصرى الآخر في ( تريبور ) فهي هدايا الزواج

التي يجيها « إدمون دانتيس » لابن سيده القديم « موريل » ، ورجائي أن تشارك زوجتك إياها .. أما ثروتها التي ورثتها عن أبيها الذي جن ، وأخيها الذي مات بين أحضان أمه ، قاتنى أطمع في أن تتنازل عنها للفقراء ! .. وقل للملاك التي ستشارك حياتك أن تصلى بين حين وآخر من أجل رجل حسب نفسه .. كما فعل إبليس من قبل — في مرتبة الله ، لكنه يعترف الآن — في خضوع ومذلة — أن الله وحده هو الذي يملك الإرادة العليا والحكمة اللانهائية .. فعمل هذه الصلوات تخفف من وخر الضمير الذي يشوب حياته ! .. أما انت يا « موريل » فإليك سر تصرفي معك : ليس في الدنيا سعادة مطلقة وشقاء مطلق ، وإنما هناك مقارنة بين حالة وأخرى .. ومن ذاق الألم والمعذاب كان أقدر الناس على أن يحس السعادة القصوى ، ويتبين أن نعرف الموت كي نقدر مع الحياة .. !

● فلتعش يا عزيزي ولتسعد مع العزيرة « فالنتين » .. وإياك أن تنسى يوما أن حكمة البشرية جمعاء تخلص في هاتين الكلمتين : « انظر وتفرح بالأمل ! » .

صديقك

« إدمون دانتيس »

أو

الكونت « دي مونت كريستو »



# روايات كتيابي إصدار جديد

عزيزى القارئ :

فى صباح ٢٤ فبراير (١٨١٥) ،  
أشرقت الشمس فى نعومة على  
المياه الزرقاء للبحر الأبيض  
المتوسط حول جزيرة ( ألبا ) ، حيث  
كان نابليون بونابرت - الحاكم  
المطلق لفرنسا قبل ذلك - قد أصبح  
ملكاً لهذه الجزيرة الصغيرة فحسب .

وبعد أن كان الحاكم على رعايا بلغ تعدادهم  
١٢٠ مليون نسمة ، صار الآن حاكماً لرعايا  
الجزيرة البالغ عددهم ستة آلاف نسمة فقط .  
وفى فرنسا ، كانت أسرة ( البوربون ) الحاكمة قد  
عادت إلى العرش فى شخص «لويس الثامن  
عشر» ، الشقيق الأصغر للملك السابق «لويس  
السادس عشر» ، الذى أعدمته الثورة . وكان  
أصدقاء نابليون فى باريس  
يخططون لإعادة الإمبراطور  
السابق إلى عرش فرنسا ، بينما  
كان هو نفسه منهمكاً فى  
التخطيط لعودته المتفجرة إلى

هاسى مراد